خاص

منتديات بحور المعارف

WWW.ELMA3ARIF.BA7R.ORG

مكتبة منتديات بحور المعارف

هذا الكتاب

مقدم من طرف منتديات بحور المعارف

- كتب دينية
- علوم القرآن
- علوم السنة النبوية
- تاريخ إسلامي
- موسوعات
- روايات عالمية
- أدب عربي
- كتب الشعر
- سياسة

- تاريخ
- اقتصاد
- إدارة
- فلسفة
- علم نفس
- شخصيات ومشاهير
- معالم وأماكن
- كتب علمية
- كتب الطب

- كتب المرأة
- كتب الطبخ
- كتب انجليزية
- كتب فرنسية
- كتب تربوية
- كتب ثقافية
- كتب أطفال
- إعلام آلي
- بحوث ورسائل جاهزة

للمزيد من الكتب والموسوعات الحصرية زوروا منتديات بحور المعارف وأحصلوا عليها مجانا

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية الحقوق قسم العلوم السياسية

تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية

فرع الدبلوماسية والعلاقات الدولية

إعداد الطالبة: إشراف أ. الدكتور:

إكرام بركان مبروك غضبان

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
د. صالح زياني	أستاذ محاضر	باتنة	رئيسا
أ.د مبروك غضبان	أستاذ التعليم العالي	باتنة	مشرفا و مقررا
د. أعجال محمد الأمين لعجال	أستاذ محاضر	بسكرة	عضوا مناقشا
د. شادية رحاب	أستاذ محاضر	باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2009- 2010

إهـــــــــداء

إلى

أمـــــــــي

إلى

كل من أحبني و يحبني و سيحبني يوما

إلى

كل طالــــب علم

شكر و عرفان

الى

المشرف البروفسور مبروك غضبان الأب قبل أن يكون الأستاذ لك منى كل الحب و الاحترام و الاعتراف بقدراتك العلمية رجائي أن تغفر لي هفواتي و تمنياتي لك بالعطاء الدائم .

الى

أعضاء لجنة المناقشة بالاسم

الدكتور زياني صالح كرئيس و الدكتورة شادية رحاب و الدكتور لعجال محمد أمين كأعضاءمناقشة .

إلى

كل أساتذة العلوم السياسية فردا فردا

خطـــة الدراســـة

مقدمة ....ص 3

الفصل الأول : الاطار المفاهيمي لدراسة و تفسير الصراعات المعاصرة بين المنظور القديم و الجديد لفترة ما بعد الحرب الباردة

المبحث الأول : أدبيات نظرية حول الصراع ....ص 10

المطلب الأول : الجدل حول مفهوم الصراع ....ص 10

المطلب الثاني : مصادر الصراع و أنواعه ....ص 20

المطلب الثالث: تحول طبيعة الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة ....ص 24

المبحث الثاني : التفسير الواقعي لظاهرة الصراعات في العلاقات الدولية ....ص 35

المطلب الأول:التفسير الكلاسيكي الواقعي للحروب و الصراعات (مورغثو)- الطبيعة الشريرة ....ص 37

المطلب الثاني : التفسير الواقعي الجديد (كنيث والتز) -المعضلة الأمنية بين الدول / داخل الدول.......ص 38

المطلب الثالث : تقييم المنظور الواقعي و تفسيره للصراعات ....ص 44

المبحث الثالث : البنائية كمنظور جديد لتفسير الصراعات المعاصرة ....ص 46

المطلب الأول : ظهور الطرح البنائي في نظرية العلاقات الدولية و أهم المبادئ التي يقوم عليها........ص 46

المطلب الثاني : الدول و بقية الفواعل [الجماعات الاثنية] كوحدات تحليل في الصراعات المعاصرة ....ص 50

المطلب الثالث : العوامل المثالية في مقابل العوامل المادية و تأثيرها في الصراعات المعاصرة [الأفكار ، الخطاب الثقافة ،الهوية، الاثنية ....] ....ص 52

المطلب الرابع : البنية الفوضوية والمعضلة الأمنية حسب التصور البنائي.............................ص 57

الفصل الثاني : مكانة البعد الثقافي في العلاقات الدولية و أهمية مكوناته في تفسير الصراعات المعاصرة

المبحث الأول : الإطار العام للثقافة ....ص 63

المطلب الأول : الثقافة كمفهوم ....ص 63

المطلب الثاني : الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالحضارة...ص 69

المطلب الثالث :الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالهوية ....ص 71

المطلب الرابع: الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالايديولوجيا ....ص 75

المبحث الثاني : البعد الثقافي في العلاقات الدولية ص77

المطلب الأول : سوابق الاهتمام بالعامل الثقافي في العلاقات الدولية ....ص 78

المطلب الثاني: الثقافة منظور جديد لتفسير العلاقات الدولية.......................................ص 80

المطلب الثالث : صراع الحضارات كمنظور حضاري مفسر للصراعات في العلاقات الدولية ....ص 90

المبحث الثالث : تأثير مكونات البعد الثقافي و دورها في تغذية الصراعات المعاصرة ....ص 97

المطلب الأول : دور الدين تأثيره كمكون ثقافي في التنظير و الممارسة لحقل العلاقات الدولية ....ص 97

المطلب الثاني : مكانة مكون اللغوي بالنسبة للبعد الثقافي و مدى تأثيره في الصراعات المعاصر..........ص 110

المطلب الثالث : أهمية القيم و البناء المعياري(العادات، التقاليد، العرف، المعتقدات، الطقوس و الشعائر) كمكونات ثقافية في العلاقات الدولية...ص113

الفصل الثالث : " المكون الديني" كمفسر للصراعات المعاصرة .

المبحث الأول : صراع أتباع دين معين ضد أتباع دين آخر- دراسة حالة مصغرة للصراع في نيجيريا بين المسلمين / المسيحيين ص121

المطلب الأول : نيجيريا و التركيب الاثني ....ص 122

المطلب الثاني : السوابق التاريخية لمشكلة الصراعات الاثنو_دينية في نيجيريا ....ص 125

المطلب الثالث : الوجه الآخر للصراع في نيجيريا " البعد الديني"...ص 129

المبحث الثاني : صراع دين معين ضد أتباع دين آخر مرفق بصراع مذهبي - دراسة حالة مصغرة للصراع في لبنان...ص 139

المطلب الأول:الخلفية التاريخية للتنوع الطائفي في لبنان ....ص 140

المطلب الثاني: النظام الطائفي و مشكلة المحاصصة السياسية ....ص 141

المطلب الثالث: دور المكون الديني كمفسر لحالة لبنان الطائفية...ص 145

المبحث الثالث : صراع أتباع مذهب معين ضد أتباع مذهب آخر داخل الدين الواحد - دراسة حالة مصغرة للصراع في ايرلندا - الكاثوليك /البروتستنت ....ص 160

المطلب الأول : فهم السياق التاريخي للصراع في ايرلندا الشمالية ....ص 162

المطلب الثاني : بذور الصراع الطائفي الحديثة و إعادة اشعال الصراع...ص 164

المطلب الثالث : تحليل دور الدين في الصراع لحالة ايرلندا الشمالية ....ص 169

النتائج العامة لدراسة الخصوصية الدينية للحالات الصراعية الثلاث ص177

الخاتمة ....ص 182

فهرس الأشكال ....ص 188

فهرس المراجع ....ص 189

مـقدمـــة

قادت التحولات التي يشهدها عالمنا اليوم في جميع المجالات السياسية و الاقتصادية و الثقافية إلى إعادة النظر في العديد من القناعات النظرية التي كان يظن أنها من البديهيات والمسلمات التي كانت و إلى وقت قريب مضى لا تثير الريبة أو الجدل، فتتالي الأحداث وشمولها لكل الأنشطة والمظاهر الدولية تجعلنا أمام مشهد صراعي خاص ليس من السهل إدراجه ضمن نسق تفسيري قائم، ولا يمكن أيضا التعامل معه كحدث عابر يمكن توقع ماله ونتائجه ذلك أن أغلب الأزمات و الصراعات المعاصرة لها من الأسباب ما لا يمكن احتواءه عن طريق مفاهيم الأمن العسكري التقليدية التي تكفل الأمن بين الدول.كما لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى الأبعاد العسكرية أو الاقتصادية منفردة،فالخطوط الفاصلة بين مفاهيم الحرب والسلام ، السياسة الداخلية والخارجية ، والجهات الفاعلة من الدول ومن غير الدول، تفقد وضوحها،كما أن الحدود لم تعد قادرة على أن تكفل الحماية فالتهديدات أصبحت متداخلة ,والاضطرابات الاجتماعية والسياسية المجسدة في الصراعات العرقية والدينية ذات الأبعاد الثقافية و الحضارية أضحت بارزة ، فمع نهاية الحرب الباردة والتغيرات الجذرية التي مست تلك الرؤى بعد أحداث 2001/09/11، أصبحت الدراسات الإستراتيجية تميل بطريقة غير مسبوقة للتركيز على العامل الثقافي الذي اعتبره عالم الاجتماع الفرنسي المشهور **ألان تورين** «البراد يغم» الجديد لفهم عالم اليوم. وقد انعكس هذا التحول في اتجاهين بارزين: قانوني عكسه تمدد التشريعات الدولية إلى الملفات الاجتماعية والقيمية كموضوعات الجندر والسكان وحقوق الإنسان.. وديني عكسه الاهتمام الجديد بالظاهرة الدينية في أبعادها المختلفة (الأصولية المتطرفة، والصراعات القومية القائمة على الخصوصية الدينية...).في ظل انشغال العالم بأزمات وتهديدات داخلية وخارجية وتأثر الكثير من مناطق العالم " البلقان و البحيرات الكبرى,المنطقة العربية بما فيها منطقة الشرق الأوسط " سياسياً واقتصادياً واستراتيجياً.

يأتي بروز الدور الريادي للبعد الثقافي بكل ما يحمله من خصائص معيارية في الوقت الذي كان فيه الوضع الدولي يطرح عدة تساؤلات حول الأهمية المضافة لهذا البعد و قدرته على طرح البديل سواء فيما يتعلق بتفسير ما هو مطروح في حقل العلاقات الدولية أو إعطاء فهم أفضل للقضايا المستجدة على الساحة العالمية............ و قد كانت أدبيات أطروحة صامويل هنتغتون حول صدام الحضارات كفيلة أن تطرح هذا البعد على الخريطة العلمية في العلاقات الدولية ثم جاء "جوزيف ناي" الذي أضاف أهمية إلى البعد الثقافي في السياسة الدولية بطرحه لمفهوم "القوة المرنة" كعامل ثقافي في العلاقات في كتابه "القوة المرنة.. وسائل النجاح في السياسة العالمية" الذي نشر في عام 2004. و الذي يتفق مضمونه مع صمويل هنتجتون الذي يقول" **أن النجاح المادي يجعل أي ثقافة أو أي إيديولوجية جذابة كما يؤدى الفشل الاقتصادي أو العسكري إلى أزمات بالنسبة للهوية**" .

1-التعريف بالدراسة:

يمكن القول ان موضوع الدراسة هو موضوع مركب لا يبحث في مفردة واحدة و هي الصراعات المعاصرة وإنما يتناول موضوع تأثير مكونات البعد الثقافي في الصراعات المعاصرة ، وحصرا دور المكون الديني في الصراعات التي تعيشها الدول اليوم، و على الرغم من صعوبة الإلمام بجميع جوانب الموضوع المراد بحثه، فإنه تم أخذ الجوانب المهمة التي

تؤثر بشكل أو بآخر على المادة العلمية المبحوثة , ذلك أن توسع الموضوعين يحول دون التطرق إلى جميع حيثياتهما.
فمنذ أن شهد العالم سقوط المعسكر الشيوعي و تغير بنية النظام الدولي و ما تبعه من تغيرات جذرية مست جميع الإبعاد المتفاعلة و المؤثرة على الساحة الدولية كان من الطبيعي أن يتم السعي إلى المرحلة الأكثر رقيا من مراحل تطور التنظير في العلاقات الدولية ألا و هي محاولة تفسير الظواهر الدولية و تحليلها انطلاقا من منظور يضم مختلف الأبعاد (السياسية والعسكرية والاقتصادية والجغرافية والثقافية ...)للوصول إلى نظرية عامة في العلاقات الدولية. وكان لإخفاق هذه الرؤيا أن طرحت بديلين تمثل الأول في محاولة تعديل النظريات التقليدية و تغيير منطلقها التفسيري المادي و تكييفه وفق المستجدات الدولية الحاصلة و يبرز خاصة في النظرية الواقعية و مختلف تياراتها ،والثاني محاولة طرح البديل و التسليم بجمود النظريات التفسيرية **و هو ما يبرر الحاجة إلى تبني بعد جديد يضم متغيرات معيارية و إحيائها أو بعثها من جديد.**
فقد تزامنت موجة تطور التنظير الحاصلة في حقل العلاقات الدولية مع دراسة الصراعات المعاصرة خاصة تلك التي ظهرت أو عاودت بالظهور بعد انهيار الاتحاد السوفييتي إذ أنها لقت العديد من الاهتمام و البحث و التقصي لتغير الظروف المحيطة بدراسة الصراعات بصفة عامة إذ أصبح مجالها يتخطى الإطار الدولي (الصراعات بين الدول) بل يخترقها إلى داخل الدول ذاتها (الصراعات داخل الدولة الواحدة) و تزداد حدة تلك الصراعات الداخلية إذا ما كانت تركيبتها الاثنية منوعة تحتوى على أكثر من جماعة متمايزة الهوية ، الثقافة ، التاريخ .. هذا الطرح النظري الجديد في الصراعات أصبح يقوض المقاربة الواقعية التي هيمنت على الحقل النظري في العلاقات الدولية لمدة ليست بالقصيرة و هو ما خلق بدوره فرصا تنظيرية تتجاوز الطروحات النظرية التقليدية ، و كانت البنائية من بين الطروحات التي استطاعت أن تجد لنفسها مكانا يزاحم التواجد الواقعي الذي لم يولي اهتمامه بالأوضاع الداخلية بقدر اهتمامه بالمتغيرات الخارجية و تأكيده على الجوانب المادية دون القيمية. فعقب تفكك الاتحاد السوفييتي إلى دويلات متعددة الاثنيات كان لزاما على الاتجاه الواقعي مسايرة التغيرات الراديكالية الحاصلة في حقل العلاقات الدولية عامة و مجال الصراعات بشكل خاص و المفاهيم المادية المرتبطة به ، فبعد المرحلة التي عقبت انهيار المنظومة السوفيتية برز إلى السطح النظري مفاهيم و مصطلحات لطالما همشت و غيبت عن الساحة التنظيرية و التي أرجعتها المجموعات الاثنية و الصراعات التي خلقتها و القائمة على مقومات ثقافية أكثر من غيرها من المقومات والمفاهيم الشائعة طيلة الحرب الباردة . وقد وجدت النظريات التقليدية في العلاقات الدولية نفسها أمام موجة تنظيرية تجديدية يصعب عليه الإلمام بها والتي بدأت من ظهور معطيات جديدة منها :

- تحول الصراعات من دولية إلى داخلية و نقل التنظير من مستوى دولي إلى مستوى داخلي (زوال المنظور التقليدي لدراسة الصراعات)
- بروز و انبعاث للصراعات المعاصرة منها الصراعات الهوياتية و الاثنية و الثقافية القائمة على أبعاد بعيدة كل البعد عن ما هو سائد (ظهور منظور جديد لدراسة الصراعات المعاصرة) .

- عودة مفاهيم همشت و غيبت عن الساحة التنظيرية منها عودة الثقافة إدخالها إلى قلب العلاقات الدولية،و بروز قضايا الاثنية و الجندر و الأخلاق و الدين و التي كانت لوقت طويل في الظل، إذ أصبحت تمثل مواضيع جوهرية بالنسبة للأجندة الدولية و لا غنى عنها في التنظير في العلاقات الدولية .
- تأثير مسائل الثقافة و الهوية و الدين على الصراعات المعاصرة إذ باتت العوامل الثقافية تحرك اليوم جماعاتٍ ومجتمعات عدة في عالمنا المعاصر وتضع ديناميات جديدة في الصراعات الجارية فيه و عدم الأخذ بها و عدم التطرق إليها يجعل من تحليل و تفسير موضوعات أو قضايا في العلاقات الدولية تحليلا ناقصا.
- ظهور نقاشات أكاديمية حول العودة القوية للأديان رغم كون أطروحة عودة الأديان هي محل جدال واسع في حقل العلاقات الدولية و الجدل القائم حول ما إذا كان المكون الديني يدخل ضمن العوامل المهمة أم اعتبار الدين كمتغير يمكن إدماجه في التيارات الرئيسية العلاقات الدولية لا يزال قيد البحث.

2- أهمية الدراسة :

حاولت الأدبيات النظرية المعاصرة التي تطرقت إلى مكانة الهوية و الثقافة و الأخلاق و الدين و منها النظرية البنائية إبراز المكانة الحقيقية للبعد القيمي في العلاقات الدولية، و محاولة إرجاع القيمة النظرية لها من خلال تبيان أن الصراعات الحالية لم يعد تحليلها وتفسيرها قابلا للمفاهيم المادية فقط دون الرجوع إلى المفاهيم القيمية التي قد تكون أكثر توفيـــقا و أكثر تعمقا من غيرها من المفاهيم التقليدية في فهم القضايا الدولية الراهنة .

بالتالي تعمل هذه الدراسة **على إظهار الدور الذي يلعبه البعد الثقافي في العلاقات الدولية و في الصراعات المعاصرة تنظيرا وممارسة** ،هو ما يخلق علاقة تفاعلية بين البعد الثقافي كتنظير أو كمتغير فعال في العلاقات الدولية و بين البعد الثقافي كمكون أصيل في نشوب الصراعات المعاصرة الذي ظهر نتيجة التغيرات التي أفرزتها الحرب الباردة رغم أن هذا البعد الثقافي ليس جديدا في المجال الدولي.

من هنا فإن هذه الدراسة **تهتم بالجانب السلبي المؤدي بمكونات البعد الثقافي(اعتبارها سبب و مفسر) للصراعات التي نشهدها حاليا** خاصة تلك التي تحدث داخل الدولة الواحدة فكما لهذه **المكونات الثقافية الدور الايجابي الوحـــــدوي و التكاملي لها الدور السلبي الصراعي و الانفصالي** وهو نفس ما ذهب إليه هنتنغتون أن الانقسامات الكبرى والأسباب الطاغية للصراعات بين البشر ستكون ثقافية " فما يهم الناس ليس هو الأيديولوجيا أو المصالح الاقتصادية بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة، فذلك هو ما يجمع الناس وما يحاربون من أجله، ويموتون في سبيله " بل و يتوقع منظر صدام الحضارات أن تكون أخطر هذه الصدامات هي تلك التي سيكون مسرحها خطوط التماس بين مختلف الحضارات حيث يقول في كتابه: " كما أن أخطر الصراعات الثقافية هي تلك التي على طول خطوط التقسيم الحضاري وفي عالم ما بعد الحرب الباردة، **الثقافة قوة مفرقة ومجمّعة في الوقت نفسه**، الشعوب التي تفصل بينها الأيديولوجيا تجمع بينها الثقافة وتقرب بينها لذلك يعتبر صمويل هنتنغتون أن الثقافة والهوية الثقافية التي هي على المستوى العام حضارية هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة،ويستشهد بمقولة الرئيس والمفكر التشيكي **فاكلاف**

هافيل: " الصراعات الثقافية تتزايد وهي الآن أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ، ويلاحظ أن الصراعات الثقافية والحضارية هي التي تشغل العالم وتهدد بقيام حروب إقليمية وعالمية، فلا أحد يعير الحروب الدائرة في الصومال ورواندا وبوروندي أهمية، ولكن الصراع في فلسطين والبلقان يشغل العالم ويستدعي تدخلاً كبيرا ومباشرا من القوى والأحلاف العظمى، وحدها الثقافة كانت أساس تقسيم يوغسلافيا ووحدة ألمانيا وتفكك الاتحاد السوفيتي" .

3-أسباب اختيار الموضوع :

غالبا ما يتعلق اختيار الموضوع بأسباب موضوعية و أخرى ذاتية **فالذاتية** هو اهتمامي الخاص للتعرف بطريقة أكاديمية على الحالات الصراعية و الأزمات الداخلية ذات الأبعاد الهوياتية التي كثيرا ما تثيرها وسائل الإعلام، إلا التطرق إليها يبقى ناقصا من الناحية العلمية لتتبعه الأسلوب الصحفي الذي كثيرا ما يخضع لمبدأ التحيز و هو ما يلغي مصداقية الحدث و اهتمامي الشخصي بدراسة بمجال الصراعات خاصة الحضارية و الدينية منها و التي لم تكن من قبل بهذا الاندفاع و الحماس و القبول لدى دارسي العلاقات الدولية ، لذلك فعودة مثل تلك الصراعات يمثل عودة للكثير من التساؤلات التي تمكن أن بطرحها الباحث أو الطالب عن دور الدين في الصراعات المعاصرة.

أما الدوافع **الموضوعية** منها كانت قائمة حول :

- من وراء التطرق إلى هذا الموضوع هو أهمية هذا الموضوع بالنسبة لطالب العلوم السياسة و العلاقات الدولية التي تتأتى من ربط شيئين أولهما نظري "البعد الثقافي " و تأثير مكوناته في " الصراعات المعاصرة" و هو الشيء المادي الواقعي في العلاقات الدولية.بالتالي فهو يعمل على توفير خلفية أساسية من المعطيات حول العلاقة التنظير بالواقع الدولي من خلال طرح رؤيا مزدوجة تجمع بين العامل الثقافي كبعد أصيل في العلاقات الدولية و بين العامل الثقافي كمفسر للتوترات و الصراعات المعاصرة لذلك فمثل هذا الموضوع أو القضايا تخضع لمبدأ التنظير و الممارسة في العلاقات الدولية إذا ما سلمنا بتنامي الاهتمام المزدوج بالصراعات ذات الأبعاد الثقافية /الحضارية المتنوعة من طرف " الباحثين و المختصين" من جهـــة و السياسيين و متخذي القرار من جهة أخرى .

-تماشي هذا الموضوع مع عودة البعد الثقافي و موجة النظريات القيمية من جهة و ضرورة إيجاد منظور جديد كالمنظور البنائي للتعامل مع الصراعات المعاصرة ومحاولة إبراز الأهمية التي ينبغي إعطائها للصراعات الاثنية و الثقافية/ الحضارية و اعتبارها السمة الغالبة لصراعات اليوم كونها ظلت و لفترة ليست بقليلة دون أهمية مرتبة الصراعات الإيديولوجية الدولية – أهمية التعرف على ملامح الثقافة و مكوناتها التي لطالما عرفت لدى علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا و غيبت لدى علماء العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، و معرفة أيضا مدى صمودها أمام مفاهيم مركزية احتكرت الدراسات الأكاديمية لعقود و عقود منها القوة و الاقتصاد، المصالح .....

4-إشكالية الدراسة:

تعمل هذه الدراسة تبيان القدرة التفسيرية **للبعد الثقافي** المنافسة للبعد الاديولوجي و العسكري أو الاقتصادي للظواهر الصراعية قبيل الحرب الباردة. و لعل هذا الواقع يلقي على عاتق المنظرين المهتمين بالقضايا الدولية و على رأسها الصراعات الجديدة, عبء توجيه جهدهم العلمي نحو تقصي مختلف الأبعاد التي تفسر الظواهر الصراعية و منها البعد الثقافي. وهو ما يقود إلى طرح **الإشكالية:ما مدى أهمية و قدرة البعد الثقافي قي تحليل و تفسير الصراعات المعاصرة ؟**

و في ضوء ذلك هناك تساؤلات فرعية و المتمثلة في:

- ما الفائدة المضافة لمفهوم الثقافة- بما يشكله من منظور جديد -في العلاقات الدولية ؟
- ما قدر الأهمية التي يجب إعطاؤها للأبعاد القيمية ، الثقافية منها والدينية سواء في دراسة العلاقات الدولية أو تحليل الصراعات المعاصرة ؟
- هل حقا الصراعات الثقافية خاصة الدينية منها قد حلت محل صراع القوى أو صراع الطبقات كمحرك للعلاقات الدولية ؟و هل الصراعات المعاصرة تقتصر على الأبعاد القيمية والثقافية أم يمتد إلى الأبعاد المادية ؟

5-فرضيات الدراسة : للإجابة على هذه الإشكالية سيتم طرح عدة فرضيات منها

- شكل التحول في طبيعة الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة عاملاً رئيسياً في نشوء منظور ثقافي قيمي في ظل فشل تعامل المنظورات التقليدية ذات التوجه المادي معها .
- تزايد الاهتمام بالبعد الثقافي كان عائدا لتراجع تفسيرات الأبعاد الاقتصادية و الاديولوجية و العسكرية لفترة ما بعد الحرب الباردة و هو ما أعطي أسبقية لهذا البعد في تفسير مستجدات الظواهر الدولية منها الصراعات المعاصرة .
- تلعب الصراعات الثقافية/ الحضارية ذات الخصوصية الدينية الدور البارز و الحلقة الأثقل في الصراعات المعاصرة اليوم.

6-مستوى و وحدات التحليل :

منهجيا هناك غياب إطار منهجي واضح بين باحثي و منظري العلاقات الدولية فمنهم من يتخذ الفرد و منهم من يتخذ الدولة و آخرون يعتمدون على النظام الدولي (تبعا للواقعية التقليدية و الجديدة) و كذلك الجماعات و المؤسسات كوحدة تحليل (النظرية البنائية)

عموما الكثير من الباحثين في مجال الصراعات يجدون صعوبة في الفصل بين وحدات التحليل بل يؤكد البعض منهم على أن الضرورة العلمية تحتم عليهم استخدام أكثر من وحدة تحليل و هو ما سوف يتبع في هذه الأطروحة . على أن أهم وحدة قد تظهر تباعا في البحث هي الجماعة أو العلاقة البينية التي تحدث بين جماعتين أو أكثر خاصة و أن مجال دراستنا يركز على الصراعات الداخلية التي غالبا ما تتم بين مجموعات متمايزة عرقيا دينيا لغويا ... هذا لا ينفي تداخل وحدات تحليل أخرى كالدولة.

7- مناهج الدراسة:

إن تعقد ظاهرة الصراعات الدولية وتعدد المنطلقات التفسيرية لها يقتضي تعددا منهجيا موازيا لدراستها. و هو ما يتطلب عدد من المناهج كل واحد منها يكمل الآخر و يرجع ذلك لثراء مجال الصراعات الاثنية و الثقافية. و من اجل أن تكون الدراسة شاملة ووافية على قدر المستطاع ،تم اعتماد **المنهج الوصفي** حيث أن هذا المنهج يخص بوصف الصراعات القائمة حتى يمكن القاء الضوء على المشكلة محل الصراع و بالتالي يمكن بلورة رؤية واضحة لأسباب هذه الصراعات ،كما أنه يعبر عن الطرق والوسائل التي يتبعها الباحث لوصف واقع الظاهرة الصراعية في حقل العلاقات الدولية و أيضا لسد الحقائق المتعلقة بموضوع الصراعات من جـــهة و تنامي تأثير البعد الثقافي فيها **و** دراسة حالة تدخل ضمن المنهج الوصفي كأساس لهذه الدراسة من خلال دراسة ثلاث حالات للصراع ،هذا دون إهمال **المنهج المقارن** و الذي يأتي إلزاميا لحاجة الدراسة إلى المقارنة بين أكثر من نموذج للنماذج الصراعية المدروسة ،أما استخدام المنهج التاريخي فلأنه يعلق أهمية كبرى على التطور التاريخي للصراعات الحاصلة ويعمل على رصد تطور الأحداث عبر فترات زمنية في الزمن الماضـــــي و يقدم لنا دائما خلفية للمسائل المراد بحثها.

8-النطاق الزمني للدراسة :

تحدد النطاق الزمني للدراسة بالرغبة في أن يكون ممتدا إلى أقصى حد ممكن بحيث يتيح إمكانية رصد أبعاد الظاهرة الصراعية و تحليلها و قد تحددت نقطة البدء فترة ما بعد الحرب الباردة متواكبة مع طفو عوامل كانت في سبات و هو ما شكل علامة بدء مناسبة لتأثير تلك العوامل على التفاعلات الصراعية القائمة على القاعدة الثقافية في النظام الدولي مرورا بأحداث 2001/09/11 و ما أنتجته من التغيرات مست حقل العلاقات الدولية تنظيرا و ممارسة وصولا إلى لحظة الدراسة هذه و هذا لا يمنعنا من التوغل في أحداث تسبق ذلك التاريخ إذا ما تطلب الأمر .

9-صعوبة البحث:

ككل الباحثين في الجزائر أو العالم العربي و خاصة في تخصص العلاقات الدولية- مجال الصراعات تكاد الأدبيات المتعلقة به معدومة باللغة العربية هذا الأمر يضطر الكثير من الباحثين إلى اللجوء إلى المراجع الأجنبية التي تعتبر المرجع الأم سواء كانت ،كتب أو مجلات أو حتى مواقع انترنيت ، و هو ما يتطلب البحث الكثير للوصول إليها و وقتا إضافيا لنقلها إلى العربية في ظل صعوبة ترجمة بعض المصطلحات السياسية الأكاديمية من الانجليزية إلى اللغة العربية ، وإن ترجمت إلى اللغة العربية يبقى يكتنفها عدم اليقين في ظل صعوبة ضبطها بالشكل العلمي المراد لها .إضافة الى توسع الموضوع و صعوبة التحكم في محتوياته و هو ما أدى الى تضييع الكثير من الوقت .

10- محتويات و محاور الدراسة :

التزاما بالمنهج المعتمد و بقدر توفر المادة العلمية و التوافق في المفردات المؤثرة سيتم بدأ الدراسة بالإطار النظري ، فقد تم الاعتماد لتحليل و تفسير الصراعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية على إطار نظري وثيق الصلة بالصراعات و مفاهيمها و البداية كانت من تقسيم الدراسة إلى ثلاث فصول :

يهتم **الفصل الأول** بدراسة كل ما يتعلق بالصراعات يستدعي في المقام الأول الرجوع إلى الأطر التحليلية و النظرية الوضعية و ما بعد الوضعية التي تناولت الظاهرة الصراعية و حاولت تفسيرها أو فهم بعض خصائص هذه الصراعات، هذا التغير في المرجعية الأنطولوجية[1] السائدة و المحصورة في الدول و انتقالها إلى الخوض في البنى الداخلية للدول بقيمها وثقافاتها يتطلب الإلمام بكل الجوانب النظرية للموضوع و يتوجب أخذ المحاورة الثالثة كمرجعية لتأطير نظري متكامل يشمل كل ما هو وضعي / مادي و ما بعد وضعي / قيمي.

أما **الفصل الثاني** قبل الولوج إلى تحليل إمكانية تأثير البعد الثقافي بكل ما يحويه من خصائص على مسار الصراعات المعاصرة تطرقنا إلى الثقافة كمفهوم عام و علاقاتها بمفاهيم متداخلة ذات صلة ثم انتقالها من متغير ثانوي إلى محرك أولي في تحليل العلاقات الدولية ، و التعرض أيضا إلى الإشارة الثقافة و أهميتها يحتم التطرق لدور أطروحة صدام الحضارات في تبيان موقع الثقافة في العلاقات الدولية و كل ذلك دون تجاهل دراسة مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية و ما تمثله مثل هذه الخصائص من قاعدة صلبة لنشوء ثقافة و التي تشكل مجتمعة البعد الثقافي في العلاقات الدولية، و محاولة معرفة كيفية تأثير هذه المكونات على الصراعات المعاصرة .

و يعنى **الفصل الثالث** بتزايد الوعي بأهمية دور الدين و توظيفه في حقل العلاقات الدولية خاصة الصراعات منها.كما يعني بتوجيه النظر إلى دور الدين في تحرير كم معتبر من الصراعات ففي الدراسة. تناولنا بشيء من التفصيل الصراعات الدينية المختلفة و التي رغم اشتراكها في نفس المكون إلا أنها تجسد صراعات ذات خصوصية دينية فإذا كان الصراع في نيجيريا بين دينين مختلفين أولهما مسيحي و الثاني إسلامي فالصراع في ايرلندا الشمالية بين الكاثوليك و البروتستانت هو صراع مذهبي داخل الدين المسيحي الواحد ، في حين يأخذ الصراع في لبنان صيغة أكثر تعقيدا من الصراعين الأول و الثاني إذ أنها عملية صراعية تتوسط الحالتين السابق ذكرهما إذ تتداخل فيها الديانتين المسيحية و الإسلامية مثلما تتداخل فيها المذاهب المختلفة لذلك كثيرا ما يسمى الصراع في لبنان على أنه صراع متعدد الأشكال يمكن أن يدرس على أكثر من زاوية ، و عموما فقد تم التطرق إلى دراسة تلك الصراعات كحالات مصغرة خصص لكل حالة منها مبحث للخروج أخيرا ببعض المقارنات و الاستنتاجات الملمة بالحالات الثلاثة قيد الدراسة .

---

[1]- الانطولوجية : يعود مصطلح الأنطولوجية إلى أصل يوناني من onto وتعني الوجود، وlogie أي العلم. وقد ورد هذا المصطلح أول مرة سنة 1613، في القاموس الذي ألفه رودولف غوكلينيوس Rudolf Goclenius. وأول من استخدم هذا المصطلح عنواناً لكتاب هو كريستيان فون وولف (1679-1754) hristian Von Wolff، في القرن الثامن عشر. لذلك فـــ Ontologyأو علم الوجود، أحد مباحث الفلسفة، وهو العلم الذي يدرس الوجود بذاته، الوجود بما هو موجود، مستقلاً عن أشكاله الخاصة، ويُعنى بالأمور العامة التي لا تختص بقسم من أقسام الوجود، الواجب والجوهر والعرض، بل تعمم على جميع الموجودات من حيث هي كذلك، وبهذا المعنى فإن علم الوجود معادل للميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة .metaphysiqueفهو نسق من التعريفات الكلية التأملية في نظرية الوجود عامة.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي لدراسة و تفسير الصراعات المعاصرة بين المنظور القديم و الجديد لفترة ما بعد الحرب الباردة

- **المبحث الأول** أدبيات نظرية حول الصراع
- **المبحث الثاني** التفسير الواقعي لظاهرة الصراعات في العلاقات الدولية
- **المبحث الثالث** البنائية كمنظور جديد لتفسير الصراعات المعاصرة

معظم الأدبيات الأكاديمية لها مناهج نظرية لفهم الصراعات -- فإذا كان الاقتصاديون يركزون على نظرية اللعبة واتخاذ القرارات ، وعلم النفس لاستكشاف الصراعات ، و علماء الاجتماع يتخذون من الصراعات الطبقية كنقطة محورية لفهم الصراع، فإن باحثي العلوم السياسية يركزون على المستوى الوطني والصراعات الدولية. لذلك فاستعراض أدبيات الصراع ككل هو مهمة شبه مستحيلة ، و سيتم في هذا الفصل عرض مقدمة موجزة للمفاهيم المتنازع عليها ، ومختلف الظواهر المعقدة التي تدعى بالصراع من خلال الإشارة إلى مفهومه و الجدل الدائر حول فئات الصراع و كذا تفسيرات مختلف النظريات الوضعية وما بعد الوضعية له. و عموما، فالهدف من المبحث الأول هو كشف الروابط المفاهيمية و تأثيرها في مستوى شدة الصراع و من ثمة محاولة الوصول إلى دينامية عامة للصراع ثم محاولة ربط الواقع بالتنظير من خلال الكشف عن الأدبيات التي تتعلق بتحول طبيعة الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة و التي شملت متغيرين أولهما اتجاه الصراع من بين الدول إلى داخل الدول و ثانيها تزايد الصراعات الداخلية الممثلة في الصراعات الدينية بينما يتم التطرق في المبحث الثاني إلى التفسير الواقعي لظاهرة الصراعات في العلاقات الدولية بشقيه الكلاسيكي و الجديد و تعقب التطور النظري الوضعي الحاصل للواقعية الجديدة خاصة في تحول اهتمامها نحو الأوضاع الداخلية للدول من خلال التحول المفاهيمي الحاصل لها خاصة المتعلق بالمعضلة الأمنية التي تناولت الظاهرة الصراعية و فسرتها انطلاقا من كونها دولية ثم داخلية . و إذا كان المبحث الثاني يبرز أهمية التفسير الوضعي فالمبحث الثالث يعد الأساس الما بعد الوضعي و الناقد للتفسير الواقعي المادي من خلال إدخال الدول و بقية الفواعل [الجماعات الاثنية] كوحدات تحليل في الصراعات المعاصرة و إظهار مدى أهمية العوامل المثالية في مقابل العوامل المادية و تأثير تفسيراتها في الصراعات المعاصرة و سيكون عرض كل هذا في الشكل التالي :

المبحث الاول : أدبيات نظرية حول الصراع

تعتبر ا لمفاهيم من الجوانب الأساسية في العلم ولذلك يجب أن نلتزم بالدقة في استخدامنا لهذه المفاهيم فيجب أن تكون واضحة لا غموض فيها حتى لا يحدث تناقض أو تعارض في استخدامنا إياها. ويتركز الاهتمام في هذا المبحث على محاولة تحديد مفاهيم الدراسة من خلال التمييز بينها و بين غيرها من ا لمفاهيم التي ترتبط بها.

المطلب الأول : الجدل حول مفهوم الصراع فهمه من خلال مستوياته أو فئاته

1. مفاهيم الصراع المختلفة

مع انتشار الصراعات فإنه ليس من المستغرب أن يكثر النقاش حول هذا الموضوع و الذي يكتسب أهمية أيضا في العلوم السياسية.و من المدهش أن المفهوم الدقيق لمصطلح **الصراع** المهيمن حتى اليوم يعتبر واحد من أكثر المفاهيم غموضا وإثارة للجدل ،و هو الأمر الذي يتسبب في الصراعات نفسها في كثير من الأحيان حسب كل من Bonacker وImbusch لذلك فمعهد **هايدلبرغ الدولي لبحوث الصراع**، يعرف الصراعات باعتبارها :

"... تصادم المصالح (اختلاف في المواقف) على القيم الوطنية على الأقل بين الطرفين (الجماعات المنظمة ،

والدول ومجموعات من الدول ، المنظمات) التي هي مصممة على السعي نحو تحقيق مصالحها و نصرة قضاياهم" .[1]

ويشهد هذا التعريف بحقيقة أن عدد الصراعات تأخذ مكانها نتيجة ضعف الدول أو انهيارها فعلا ، والتي تكون غير قادرة على التدخل في الصراع بقواتها الخاصة.

بينما يعرف الباحث الاجتماعي " Lewis A Coser "الصراع بأنه" ***تنافس على القيم و على القوة و الموارد يكون الهدف فيه بين المتنافسين هو تحييد أو تصفية او إيذاء خصومهم"***

كما يرى **أحمد فؤاد أرسلان** أن الصراع الدولي ***"هو ظاهرة عدم التوافق أو التناقض في المصا لح ، القيم و الاهداف القومية بين القوى الفاعلة في النظام الدولي الذي يتميز بحتمية التفاعل بين وحداته المتفاوتة في طاقاتها و إمكانياتها و المتناقضة في منطلقاتها القيمية و الإيديولوجية ...."*** [2]

أما الصراع في نظر **دويتش** هو ***" وجود أنشطة حادثة أو أفعال جارية تتعارض مع بعضها البعض وهو نشاط الذي لا يتفق مع واحد آخر و هو الذي يمنع ،أو يعرقل في حدوث أو فعالية النشاط الثاني. الصرا ع يمكن أن تكون صغيرا كوجود خلاف و كبيرا مثل وجود الحرب"***[3].

فمن وجهة نظر انطولوجية ، فإن البحث في مفاهيم ومصادر وفئات الصراع عادة ما تتمحور حول نهجين اثنين للصراع: **منهج ذاتي** وآخر **موضوعي**(شميد). هذا الأخير يبحث عن أصل الصراع في الميادين الاجتماعية والسياسية المنشأ وبنية المجتمع ، ويرى أن الأهداف المعرضة للخطر يمكن أن تتوافق بدقة[4] حيث ان التصور الموضوعي يعتبر الصراع على أنه وضع تنافسي تكون فيه الأطراف واعية بتعارض المواقف إذ يريد فيه كل طرف احتلال موقع يتعارض و المواقع التي تريد أن تحتلها الأطراف الأخرى. على العكس من ذلك ، فإن التصور الذاتي يعني إدراك الوضع الموضوعي إدراكا خاطئا لأنه ينطلق من الذاتية و الخصوصية [5] و لذلك فإن وجهة النظر الذاتية(دويتش)تركز في المقام الأول على تعارض الأهداف والخلافات.وانها تظهر ما يلي : "... أن تعارض الاختلافات تؤدي إلى الصراع. .. فليس هدف عدم التوافق هو الأهم وإنما تصور أطراف الصراع لعدم التوافق ". و هو جوهر تحليل الصراعات السياسية المعاصرة خاصة الصراعات الاثنية و الدينية و الهوياتية القائمة على أسس عاطفية أكثر منها موضوعية.

أما فيما يتعلق بالنزاع كمفهوم و علاقته بالصراع فمن خلال عرضنا لمختلف الأدبيات المتعلقة بالصراع كمفهوم يتراءى إلينا تكامل المفهومين بالرغم من بعض الاختلافات الظاهرة و إن كان البعض يجتازها معتبرا إياهما وجهين

---

[1] – Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** " pdf Duisburg, 23rd February 2006 http://www.europeanization.de/downloads/conflict_review_fin.pdf

[2] – عبيد الله مصباح(زايد) ،**السياسة الدولية بين النظرية و الممارسة**،(دار الرواد،ليبيا،الطبعة الأولى2002) ص 151-153 .

[3]– Roger T –(Johnson), David W. (Johnson) : "**About conflict and Conflict Resolution** " the coopirative learling at thz univesity of Minnesota http://www.co-operation.org/pages/conflict.html

[4] – Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** " Op;Cit p. 4

[5]– قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**،(منشورات خير جليس، 2007 باتنة الجزائر) ص 10 .

لعملة واحدة .

الصراع هو : النزاع الناتج عن الاختلاف جرّاء تباين الرؤى والعقائد والأفكار والبرامج والمصالح بين مجموعتين أو أكثر و رغم ذلك يختلف الصراع عن النزاع في أنه حالة من الاختلاف في المواقف و الاتجاهات يمكن اعتباره أعمق من النزاع و لذلك عادة ما يكون الحديث عن إدارة الصراع و ليس حله خلافا للنزاع الذي يمكن حله باستخدام مختلف وسائل حل النزاعات فالصراع أوسع : مثل الصراع الحضاري بين الاسلام و الغرب و الصراع الاديولوجي بين المعسكر الشرقي و الغربي. و العلاقة بين الصراع و النزاع تبدو من خلال إبقاء النزاع على مسائل معينة لفترة طويلة دون أن يكون هناك حل لها فعند هذه الحالة يكون النزاع صراعا أو عندما يهدد أحد الأطراف باللجوء الى استخدام العنف في حل النزاع و هو ما يجعل المصطلحين في تداخل أحيانا ،اذ ينقلب الصراع الغامض الى نزاع مع وجود عوامل أخرى قد تتدخل في هذا و ذاك ، و مقابل الصراع يبدو النزاع قابلا للتسوية لأنه يحفظ مصالح معينة للأطراف بينما قابلية التسوية في الصراع أصعب من النزاع و غالبا ما يستخدم المفهومان و كأنهما مفهوما واحدا .[6]

2. مفاهيم الصراع المرتبطة بالصراعات الغير عنيفة " عدم التوافق/الخلاف/ التوتر

يفهم تطور مراحل الصراع وتصنيفاتها من خلال المفاهيم المرتبطة به بشكل حاسم لأنها قد تعطي مؤشرات عما قد يحدث وما يمكن ان يسهل إدارة الصراع. بالاعتماد على Messmer 's وألبرت ستتر، يأخذ موضوع **عدم التوافق** في الصراع بين الأطراف ، كالأساس لتصنيف الصراع إلى فئتين رئيسيتين : صراعات غير عنيفة والصراعات العنيفة . فوفقا لتحليل أدبيات الصراع الحالية يعتبر COSIMO واحدا من الذين عملوا على تصنيف الصراع ، هذا الأخير الذي يقف على النماذج الدينامية للصراع ، و يتضمن خمس مراحل كثيفة ، واضعا في الاعتبار مراحل غير عنيفة وأخرى عنيفة التي تتراوح بين الصراعات الكامنة إلى الحرب.[7]

غياب العنف لا يعني تلقائيا غياب الصراع ، التضارب و **عدم الاتفاق** حول المصالح يمكن أن يستمر دون اللجوء إلى العنف أو الإكراه و عندما يكون الصراع قائما بالفعل فهذا يعني فقط غياب الأساليب العنيفة التي تستخدمها الأطراف في النضال من أجل حل **الخلافات** حول القضايا التي تتعارض التي لها أهمية وطنية بالنسبة لهم.فهنا الأطراف لا تستخدم القوة ضد بعضهما البعض. ومع ذلك ، فإن وجود الصراع غير العنيف يجب أن يكون ملاحظا ومعترفا به من قبل العالم الخارجي ، وكذلك على الأقل من جانب واحد من الأطراف المعنية بالإضافة إلى ذلك ، ينبغي التأكيد على أن تصعيد العنف لكل الصراع يتطور من مرحلة غير العنيفة الى العنيفة فوفقا لما ذكر أعلاه تصنيف COSIMO للصراع ، هناك نوعين من الصراعات غير العنيفة : الصراعات الكامنة ، الصراعات الظاهرة . وهناك

---

[6]- قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**, مرجع سابق الذكر ص 20.

[7] – لقد طور هذا التصنيف ديناميكية التصعيد ، الذي كان المعيار الأساسي الذي يستخدمه Pfetsch عندما أنشأ خمسة تصنيفات الصراع: الصراع الكامن،و الصراع الظاهر والأزمة ، أزمة حادة ، والحرب. و أهم الفرق بين هذه الصراعات هو أن الأولين هم من طبيعة غير عنيفة ، في حين أن الأزمة ، أزمة حادة وحرب تشتمل استخدام العنف أثناء الصراع .أما العيب الرئيسي في أدبيات الصراع هو أن معظم الدراسات و البيانات المتاحة تتركز حول الصراعات العنيفة ، لا سيما على الحروب. وبالتالي ، هناك نقص في المعلومات وقلة الأبحاث على الصراعات غير العنيفة.

صراع كامن لا يمكن اكتشافه من دون وجود بعض علامات واضحة تدل على موقف معين ، أو تعارض بين مصلحة دولتين على بعض المواضيع لذلك فإن **عدم اتفاق** المواقف و **الخلافات** المنصوص عليها وتصادم المصالح في الصراعات الكامنة يجب أن تكون على نحو المطالب الخاصة بمسألة القيم القائمة ، أو الأهداف والقضايا التي تكون لها أهمية وطنية. بينما الصراعات الظاهرة هي مرحلة من مراحل الصراع عندما تكون **التوترات** موجودة ، ويعبر عنها بطرق دون عتبة العنف **فتوتر** العلاقات بين الطرفين يمكن أن يؤدي الى نقطة تحول من حيث استخدام القوة التي قد تصبح أكثر احتمالا أو فرض العقوبات الاقتصادية ، التي تبقى من الوسائل التي يمكن بها لصراع مستتر أن يحول الى صراع ظاهر.[8] من خلال ما سبق يتحدد لدينا بعض المفاهيم المتداخلة في الصراعات الغير العنيفة و التي غالبا ما تعبر عنه او بشكل أدق تعبر عن مراحله هذه المفاهيم مثل الاختلافات، وعدم الاتفاق،التوتر و التي تعتبر كمرحلة ابتدائية لحصول الصراع فعلى الرغم من ارتباطها بمفهوم الصراع، وتميزها عنه من حيث الذيوع والانتشار، إلا أنها تتسم بوجه عام بتواضع مضمونها الصراعى مقارنة بمفهوم الصراع.

1- الاختلاف : Difference بداية الاختلاف يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانياً يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيها بهذا التناقض، ثم هو ثالثاً يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبنى موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقى هذه المواقف.[9]

إن إدراكنا أن هناك قدرا من الخلاف في مواقف جانبين (أو أكثر) من الأطراف المعنية في الصراع ليس بالمشكلة المستعصية، ولكن الخلاف الحقيقي يكمن إزاء الخلاف المتصور و الذي قد يكون مختلفا تماما عن بعضه البعض. في الواقع، يرافق الصراع مستويات كبيرة من سوء الفهم مما يؤدي إلى المبالغة في تصور خلاف كبير، اذا ما تمكنا من فهم صحيح لمجالات الاختلاف ، فإن ذلك سيساعدنا في حل المشاكل ومعالجة الاحتياجات الحقيقية للطرفين. ومن هنا فالاختلاف بذاته ليس سبباً للصراع، وإن اعتبر كمصدر له .

عموما يميل المشاركون في الصراعات للرد على هذا الخلاف على أساس تصوراتهم للوضع"و إدراكهم له بالنظرة الذاتية" ، أكثر من النظرة الموضوعية له. على هذا النحو ، يشكل (الأطراف تصوراتهم وردود فعلهم) ، من خلال القيم والثقافة والمعتقدات ، والمعلومات ، والخبرة ، الجنس- الجندر- ، وغيرها من المتغيرات. و هو ما ينشأ نوع يسمى بالتهديد المتصور -Perceived threat- الأفراد تستجيب أو ترد على التهديدات المتصورة ، أكثر من التهديدات الحقيقية التي تواجهها، رغم أن التصور لا يصبح واقعا في حد ذاته ، إلا أن سلوكات الأفراد، و مشاعرهم

[8] - Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** " Op;Cit p 5.

[9] - Abu Nimr(Mohammad), **Conflict Resolution** Cairo: (National Center for Middle East Studies, 1994) p2-3.

وردودهم الجارية أصبحت معدلة بتطور الشعور بالتهديدات التي تواجههم و إدراكها.[10]
وإن كان الاختلاف على هذا النحو فعدم الاتفاق لا يبتعد كثيرا عنه

2- عدم الاتفاق :يرتبط حدوث عدم الاتفاق Disagreement بتعبير الأفراد عن تفضيلاتهم وأولوياتهم مقارنة بتلك الخاصة بالآخرين، وهنا تجب الإشارة إلى أن عدم الاتفاق فى حد ذاته يمكن ألا يرتب أياً من أنواع الأذى أو الضرر أو أي نتائج محددة .[11]

و عادة ما يولد الخلاف و التعارض بين الأطراف المتصارعة مرحلة جديدة يكون فيها التوتر حول المسائل المطروحة واضحا

3- التوتر:هو حالة من القلق و عدم الثقة المتبادلة بين دولتين أو أكثر قد يكون التوتر سابقا و سببا في الصراعات و الازمات الدولية أو نتيجة لهذه الصراعات حيث من الممكن أن تتصاعد حدة هذا التوتر لتصل الى حد تتحول معه الأزمة الى صراع، قد يكون مسلحا(حرب) إذا لم يتم احتوائه بالطرق السلمية و عموما فإن أسباب التوتر تكون مرتبطة في الغالب بأسباب الصراع .[12]

فالتوتر يعبر عن "حالة من الشكوك و المخاوف المتبادلة و الناجمة عن تبدل مواقف الأطراف و سياسات بعضها تجاه البعض الآخر " و هذا يعني أن التوتر يمثل حالة سابقة على الصراع إذ قد يكون الأخير كامنا و لكن يظهر بسبب ظهور التوتر الذي يكون سببا للصراع و ليس نتيجة مترتبة عليه و من ثمة فان أسباب التوتر غالبا ما ترتبط بشكل وثيق بأسباب الصراع .[13] هذا عن المفاهيم المتصلة بالصراعات الغير العنيفة أما بقية المفاهيم فهي تدخل في خانة المفاهيم المرتبطة بالصراعات العنيفة

3. مفاهيم الصراع المتعلقة بالصراعات العنيفة

قبل الولوج إلى المفاهيم المرتبطة بالصراعات العنيفة و التي تشكل في حد ذاتها مستويات مهمة في تطور الصراع من وضعية إلى اخرى وجبت الإشارة إلى أن هته المفاهيم غالبا ما تكون السبب في تأسيس دورة كاملة لأي صراع حاصل و هو ما تعبر عنه الأدبيات المتعلقة بديناميات الصراع خاصة الكلاسيكية منها و التي لا نجدها إلا إذا ما تعمقنا في فحوى الصراعات العنيفة.

تدخل الصراعات مرحلة الصراعات العنيفة عندما تتجاوز الأطراف الطرق السلمية في تسعيها إلى تحقيق أهدافها، و تحاول الهيمنة ، وتدمير أو معارضة قدرة الأطراف التي تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة .

---

[10] - Academic Leadership Support" "**What is a Conflict**"
http://www.ohrd.wisc.edu/onlinetraining/resolution/aboutwhatisit.htm

[11] - Abu Nimr(Mohammad), **Conflict Resolution** Op ;Cit :p2-3.

[12]- قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**, مرجع سابق الذكر ص 30.

[13]- عبيد الله مصباح(زايد) ،**السياسة الدولية بين النظرية و الممارسة** ، المرجع السابق الذكر ص156.

و في اشارة الى تصنيف COSIMO تأتي" أزمة حادة " في المرتبة الثانية في فئة الصراعات العنيفة ، وارتفاع كثافتها مرتبط باستخدام العنف ، فاستخدام العنف أصبح سمة الاشتباك الناجم عن تداخل المصالح، و لكن أعلى شكل من أشكال الصراع العنيف هو الحرب --الشكل الأكثر تدميرا و سيلة للكفاح على القضية المتنازع عليها ، أو الأهداف المتعارضة.[14] و تحول الصراع من كامن الى ظاهر سببه التناقض الذي يظهر في المحيط يعقبه سلوكات اسس لمرحلة الفعل و رد الفعل و غالبا ما يكون الفعل نشاط يتسم بصفة عالية من العنف و هو ما يمثله المخطط الذي يبين الفرق بين الصراعات العنيفة و الغير العنيفة و مفاهيمهما التي تأخذ طابع العنف الظاهر"الأزمة و الحرب " و الكامن" الاختلاف و عدم الاتفاق و التوتر" على التوالي فكلما انتقلنا من العنف الكامن الى الظاهر كلما تغيرت طبيعة الصراع من الغير العنيف الى الأعنف .

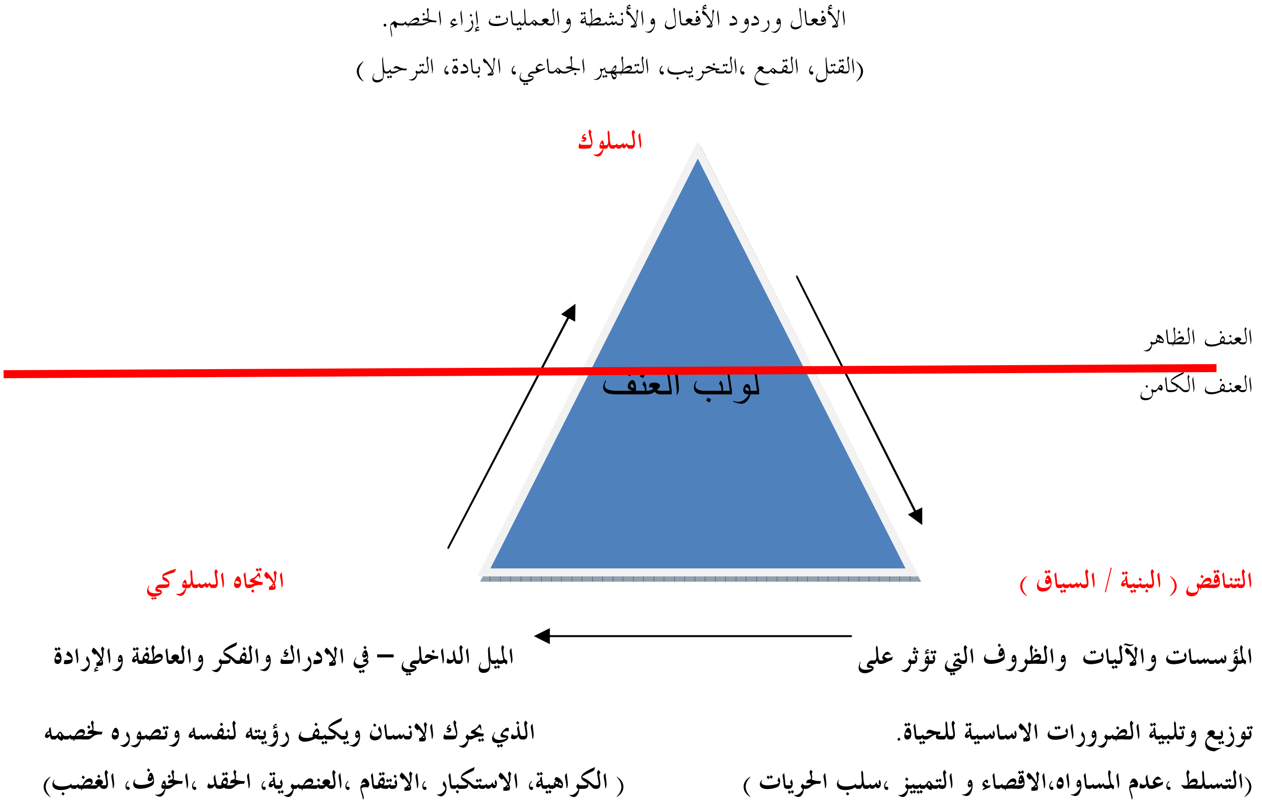

المثلث : التناقض– الاتجاه السلوكي – السلوك[15]

مما سبق يتبين لنا مفهومين مؤسسين لهذه الفئة من الصراعات العنيفة أولهما الأزمة و ثانيهما الحرب :

4– الأزمة : موقف مؤثر جدا في العلاقات بين طرفين متخاصمين لا يصل الى مرتبة الحرب بالرغم من قوة المشاعر العدائية و الحرب الكلامية بين الأطراف و الأزمة تبدأ عندما تقوم دولة ما بفعل تكون تكلفته كبيرة

---

[14] – Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** " Op;Cit p10.

[15] – المصدر : Galtung (Johan);"**Cultural Violence**", Journal of Peace Reserch 27(3):291-305 (1990)

لدولة أخرى و هي لا تعني نشوب الحرب بل تذهب الى اتخاذ القرار فاصل إما بتسوية الأزمة سلميا و التخلي عن فكرة الصدام المسلح أو بتصعيدها الى حالة الحرب بين الأطراف و عليه فان الحرب لا تدخل في سياق الأزمة بل هي مرحلة متميزة عنها و قد تكون نتيجة لها اذا ما تم اتخاذ قرار بذلك " [16]

و يعرف جون سبانير الأزمة بأنها : ***" موقف تطالب فيه دولة ما بتغيير الوضع القائم و هو الأمر الذي تقاومه دول أخرى مما يخلق درجة عالية من الادراك باحتمال اندلا ع الحرب "***

كما تعرف الأزمة أيضا ***"بأنها تحول فجائى عن السلوك المعتاد"*** .بمعنى تداعى سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف مفاجئ ينطوى على تهديد مباشر للقيم أو المصالح الجوهرية لأحد أطراف الصراع (أفراد، جماعات، دول)، مما يستلزم اتخاذ قرارات سريعة في وقت ضيق، وفى ظروف عدم التأكد، وذلك حتى لا تنفجر الأزمة في شكل صدام أو مواجهة (خاصة المواجهة العسكرية في حالة كون أطراف الأزمة دولا).[17]

في حال فشل التدابير لمتخذة لإحتواء الأزمة يكون الأطراف على وعي تام بضرورة الانتقال الى مستوى أكثر شدة يعرف بالحرب

5- الحرب : في الأدبيات التقليدية التي تتعلق بالامن والحرب والقوة العسكرية ، فإن الحرب تعتبر ظاهرة طبيعية و متكررة ضمن النظام الدولي. وغالبا ما يتصور حدوث الحرب لمنح واقع جديد للعلاقات بين الدول* ، والتي تتسم باستخدام العنف المادي من قبل القوات المسلحة للدول في ساحة المعركة ضد القوات المسلحة لدولة أخرى.غالبا ما اعتبرت الحرب أداة في أيدي السياسيين الذين يسعون لتحقيق أقصى قدر من المصلحة الوطنية في ظل نظام دولي تسوده الفوضى.

اليوم التعاريف التقليدية للحرب أصبحت دون مرتبة التعاريف المعاصرة -- لمرحلة الحرب الباردة –فمفاهيم الحرب التي صيغت عن طريق Carl von Clausewitz في بداية القرن الـــ 19 - الذي اعتبر الحرب بانها ***"عمل من أعمال القوة لإجبار العدو على القيام بارادتنا"*** أي اجبار الخصم على الخضوع وبأنه ***"أداة سياسية حقيقية ، واستمرارا للاتصال السياسي ، التي تقوم على وسائل أخرى"*** .- أصبحت بعض الشيء غير متماشية مع تطورات الفترة التي عقبت الحرب الباردة [18] ذلك ان التقصي عن أسباب الحروب ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار على سبيل المثال

---

[16]- قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**, مرجع سابق الذكر ص 21

[17]- محمود بدوى (منير) ، **"مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع "**،(دراسات مستقبلية ، مركز دراسات المستقبل ـــ جامعة أسيوط العدد الثالث ، يوليو 1997م) ص 45-46 .

*حسب ما يذهب اليه مفهوم Clausewitzian للحرب الذي يعتبر الحرب أداة رشيدة لسياسة الدولة ، على الرغم من طبيعة الحرب نفسها كانت غير عقلانية

[18] – Jyri (Raitasalo);" **Reconstructing War after the Cold War : The Transformation of Shared Western Understandings of War** " p 2

.http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/1/2/5/pages71257/p71257-2.php

الصراعات الإقليمية ، الصراع العرقي أو الصراع على السلطة لانها المدخل الأقرب لحدوث الحرب ، وخاصة المتغيرات الناشئة عنها و تأثيرها على دينامية الحرب ونتائجها ، و التي غالبا ما تكون معقدة جدا و متغيرة مما يجعل من وضع مفهوم نظري عام مهمة صعبة جدا. و محاولة إدراك Midlarsky هذه مشكلة و تفادي ما وقع فيه Clausewitz بالنسبة لتحليل الحرب في المستقبل تتضح بقوله : ***"على الرغم من علاج الحرب بوصفها فئة عامة مفيدة وقد اثبتت نفسها حتى الآن ، فالأبحاث المستقبلية قد تحتاج إلى صورة منظمة من بين العديد من الفئات ، كل واحدة منها قد تتطلب معالجة نظرية منفصلة "وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة أين تغير هيكل شدة الصراعات العنيفة في جميع أنحاء العالم إلى حد كبير ، و كثافة الحروب زادت بطريقة دراماتيكية. مما أثر على تكييف المفهوم النظري لأبحاث الصراع"*** . و في هذا السياق اقترح التحول الهيكلي للحرب و الذي تم طرحه من طرف باحثين أمثال Van Creveld و Holsti وKaldor في محاولة لاعطاء مزيد من تعاريف محددة حول الصراعات المسلحة لفترة ما بعد الحرب الباردة وضعت مصطلحات مثل "الصراعات منخفضة الحدة" ، و "حروب من النوع الثالث "، أو "حروب الجيل الثالث و" حروب جديدة " [19] و ذلك نتيجة للإمكانيات المستحدثة و المتماشية مع الأشكال جديدة من العمليات الحربية الناجمة عن التطور التكنولوجي ومبتكرة لاصطلاحات مفاهيم الحرب . و الناتجة أيضا عن الخطاب بشأن الحرب غير المتكافئة -- 'مكافحة الثورة في الشؤون العسكرية» فمفهوم 'حروب جديدة والتفاهمات اللاحقة المتعلقة بطبيعة عرقية و / أو الدينية خلق ضرورة طرح الخطاب المعياري بشأن التدخلات الإنسانية في الحروب.

من بين الحروب الجديدة الحرب على الارهاب التي بدأت بعد وقت قصير من هجمات 11 سبتمبر من جانب الولايات المتحدة و التي تفند أغلبية التعاريف التي قام عليها مفهوم الحرب طيلة الفترة السابقة و التي تعبر عن الطرح التقليدي في العلاقات الدولية. [20]

في هذا الشأن يأخذ طرح المنظور البنائي للحرب لفترة ما بعد الحرب الباردة بعدا آخرا يمكن القول انه يتماشى و التغيرات التي طالته كمفهوم، وذلك من خلال معالجتها للموضوع و التركيز على الفهم الذاتي المشترك بشأن الحرب وطبيعة الحرب كمؤسسة داخل المجتمع العالمي. فصياغة الكسندر وندت للحرب هي ما تفعله الدول وغيرها من وكلاء الدوليين فيها war is what states and other international agents make of it.

وهذا يعني أن 'طبيعة' الحرب تغيرت مع ما يتطلبه ذلك من تغييرات في تقاسم الأفكار المتعلقة بالحرب.

رغم ذلك توجد بعض التعاريف المتسمة بالمرونة و العمومية و التي نستطيع استخدامها في مختلف الفترات منها

---

[19] -Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** "Op;cit p 910.

بالإضافة إلى ذلك قام عدد من المؤسسات في مختلف أنحاء العالم بدراسة الصراعات –بمختلف مستوياتها– بقدر كبير من التفصيل لبعض السنوات. وشملت هذه المجموعة: معهد اوسلو الدولي لبحوث السلام (PRIO) ،مركز التنمية الدولية وإدارة النزاعات (CIDCM) ، ومركز دراسات النزاعات ماربورغ أو المركز النمساوي لدراسات السلام وحل النزاعات(ASPR) وبالإضافة إلى تحليل أسباب الصراعات والاحتمالات لتسوية هذه المؤسسات لها وأيضا ملاحظة تغير اتجاهات الصراع في عالم. ووفقا لهذه الدراسات التجريبية ومعاهد البحث في مرحلة ما بعد الحرب الباردة عدد الصراعات المسلحة الكبرى في جميع أنحاء العالم ينخفض ببطء ولكن باطراد.

[20] - Jyri (Raitasalo);" **Reconstructing War after the Cold War**" Op;Cit p 3 .

تعريف **Cioffi-Revilla** للحرب (حالة حرب) بأنها : ***"... وقوع اعمال العنف قاتلة وهادفة بين اثنين أو أكثر من الفئات الاجتماعية المتعارضة في الأهداف السياسية التي تؤدي إلى وفيات على الأقل لدى واحدة من المجموعة المحاربة و المنظمة تحت إمرة قيادة موثوق بها "*** .[21] و تعريف أ.**جونسون** للحرب على أنها" ***نزاع مسلح بين جماعات سكانية يمكن اعتبارها وحدات عضوية كالقبائل و الأحزاب الدينية أو السياسية و الطبقات الإجتماعية و الاقتصادية و كذلك الدول "*** . في حين يعرفها **برتراند راسل** بأنها" ***بمثابة نزاع بين مجموعتين تحاول كل مجموعة قتل و تشويه أو تعطيل أكبر عدد ممكن من المجموعة الأخرى للوصول الى هدف معين"*** .[22] و هناك نوع آخر للحرب يعرف بالحرب الاهلية و هي في المفهوم التقليدي صراع داخلي حقيقي فـــ Montherrlant مثلا يعتبر أن الحرب الاهلية هي" صراع مسلح "و غالبا ما يكون من أشد الصراعات المسلحة فتكا لأنه ليس صراع بين وحدات سياسية سيدة . و الحرب الأهلية أيضا صراع مسلح ينطبق عليه تعريف كلوسويتز **Clauswitz** أنها : "***عمل من الحياة الاجتماعية ", إنها نزاع المصالح الكبرى الذي لا يمكن حله الا بإراقة الدماء***" لذلك فإنها التطور الطبيعي للسياسة التي اختارها فريق من الناس عندما لا تسمح له السياسة العادية بتحقيق الهدف الذي و ضعه لنفسه كما و أن معيار الحرب الاهلية لا يكمن في صفة الصراعات، بل يمكن أن يرتدي شكل عمليات عسكرية تقليدية أو شكل حرب العصابات أو يمثل بطبيعة الاطراف المتنازعة ،إذ يمكن ان يتمثل بالكتل السياسية أو الطبقات الاجتماعية أو العنصرية أو الفرق الدينية أو في أسباب الصراع نفسه ,يمكن أن يستهدف النظام السياسي في الدولة القائمة أو خلق دولة جديدة عن طريق الانفصال .[23]

عموما، اندلاع الحرب يعنى فشل كل الوسائل أو الآليات الأخرى غير العنيفة في التوصل إلى تسوية أو حل مقبول بين أطراف الصراع, كما أنها – أى الحرب– تبدأ أيضا مرحلة جديدة يتم فيها اللجوء إلى استخدام العنف كآلية يمكن توظيفها لتحقيق مصالح أو مكاسب محددة لم يكن تحقيقها ممكنا من وجهة نظر أطرافها ما لم يتم اللجوء إلى الحرب لحسم الصراع بينهما.و رغم ذلك يختلف الصراع عن الحرب في أن الحرب تتم على صورة واحدة و بأسلوب واحد و هو التصادم الفعلي بوسيلة القوة المسلحة و لذلك فالصراع أعقد و أشمل.

لذلك ففي الأوضاع الواقعية لا تحدد مستويات الصراع بشكل هندسي، بل تلاحظ عند بروزها بشكل كبير. والمقصود هنا أن الصراعات والسلام لا تبرز بشكل مفاجئ، أو تنتقل بشكل سريع من مستوى إلى آخر، أو تنتهي أيضا بشكل مفاجئ. فالعلاقات لا تنتقل من السلام الكامل إلى الحرب الشاملة دون المرور بمستويات وسيطة و هو ما يؤكد اهمية كل مفهوم ودوره في سيرورة الظاهرة الصراعية . و هو ما يبينه الرسم البياني التالي :

---

[21] - Ibid pp 3

[22] - قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**, مرجع سابق الذكر ص 15 .

23 - زوزغبيب (شارل), **الحرب الاهلية** ,ترجمة برو (أحمد) ,(دار منشورات عويدات بيروت, الطبعة الاولى 1981) ص 13-14 -17.

أقل قهرا

Least Coercive

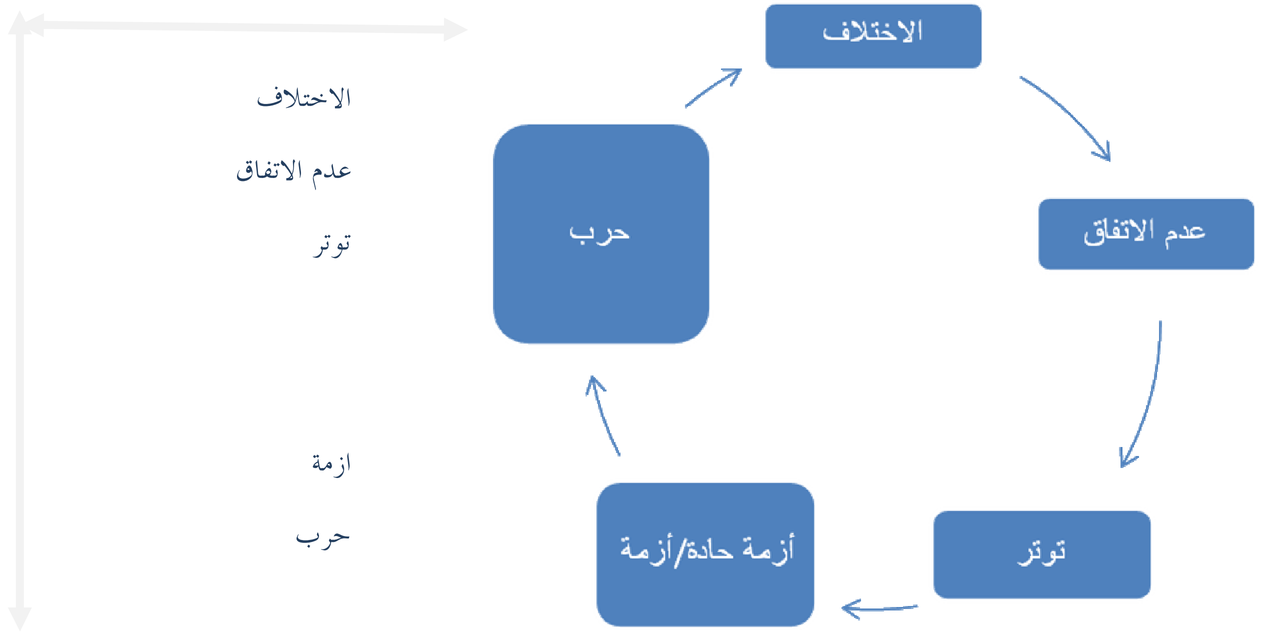

أكثر قـــــهرا

Most Coercive

مراحل الصراع   مخطط من تصميم الباحثة

يشير هذا المخطط إلى أن الخلاف هو أول شرارة الصراع يتطور إلى عدم إتفاق و الذي غالبا ما يولد توترات التي تقود إلى أزمات هذه الأخيرة إذا لم يتم احتوائها غالبا ما تفجر احتمال الحرب كما و ان قرار نشوب الحرب قد تكون بدايته نتيجة خلاف أولي بين طرفين كما و أن الانتقال من مرحلة أو مستوى إلى آخر ينجم عنه زيادة في حجم و عمق المرحلة التي تليها. وكما سبق أن أظهرت احتمالات التسوية السلمية للصراع فإن هذا الأخير يعتمد على تطور المراحل السابقة وتجدر الإشارة إلى أن الأدبيات المتعلقة بالصراع في عمومها تصف الحلقة الديناميكية للصراع و التي تتكون أساسا من التوتر والتصعيد والتخفيض و مرحلة التسوية ومع ذلك ، من المهم جدا أن يوضع في الاعتبار أن المراحل الأربع الأساسية لا يتبع بالضرورة القيام بها بعضها ولا يمر كل صراع عبر جميع مراحل مثل أزمة الصواريخ الكوبية التي لم تتحول الى حرب.[24]

على ضوء ما سبقت الإشارة إليه من استعراض لبعض اتجاهات التنظير المتنوعة حول الصراع ومفاهيمه المختلفة، فإنه يمكن الانتهاء بالقول أنه في مجال البحوث التجريبية ليس هناك تعريف مقبول للصراع لذلك فدراسة الحرب هي

[24] – Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** "Op;cit p11.

جوهر بحوث الصراعات على اعتبار انها أكثر الصراعات العنيفة تأثيرا و ظهورا و بالتالي أكثر الأشكال إمكانية للبحث و التقصي فعندما نتحدث عن الحرب كنوع نجدها الأكثر تطرفا من أنواع الصراعات .

المطلب الثاني : مصادر الصراع أنواعه

1- نظرة عامة حول مصادر الصراعات و أنواعها :

لم يختلف الباحثين في مجال الصراعات الدولية على موضوع أكثر من موضوع تصنيف الصراعات و معرفة أنواعها فما كان لهم إلا عرض أنواعها بالرجوع إلى طرحم الذاتي و الذي كثيرا ما ادرج في أعمالهم الأكاديمية خاصة الميدانية منها و في الحقيقة لا يوجد إجماع حول كم تلك الأنواع أو تصنيفاتها فكل نوع يخضع إلى معايير معينة تجعل من نوعا لا يقل أهمية عن غيره من الأنواع ،لذلك فالصراعات تختلف حسب التصنيفات التالية :

1- الصراعات متعلقة بالمعيار الجغرافي إما أن تتم داخل الدولة و إما ان تتم بين الدول بعضها مع بعض .
2- الصراعات الدولية من حيث طبيعتها :قانونية و سياسية و الصراعات ذات الطابع الاقتصادي .
3- الصراعات الدولية من حيث خطورتها و أهميتها : و تصنف الصراعات من حيث خطورتها بناء على الوسائل المستخدمة لإدارة الصراع
4- الصراعات الدولية من حيث عدد الاطراف المشاركة فيها : صراعات ثنائية وصراعات متعددة الأطراف.[25]
5- الصراعات المتعلقة بمصدر الصراع : فإنه يمكن التمييز بين صراع بنيوى وصراع مدركى.
6- الصراعات المتعلقة بمسببات الصراع فتقسم الصراعات إلى صراعات العلاقات، وصراعات المعلومات ، \وصراعات المصالح، و صراعات الهيكل، وصراعات القيم .
7- الصراعات المتعلقة بدرجة ظهور الصراع و منها الصراع الظاهر و الصراع الكامن.
8- الصراعات المتعلقة بدرجة العنف و التي يتم على أساسها التمييز بين الصراعات العنيفة ، و غير العنيفة.[26]
9- الصراعات المتعلقة بمواضيع الصراع و التي قسمها Holstiإلى 5 صراعات تتعلق بالاقليم و أخرى بالثروة الاقتصادية و أخرى تتعلق بعملية بناء الدولة إضافة الى الصراعات الاديولوجية و صراعات التعاطف الانساني (العرقية و الدينية) .

إذن تتنوع الصراعات حسب تنوع جوهرها و مرتكزاتها وطبيعة القوى التي تدعيها وتغذيها وتشترك بها ، وتتباين جرّاء اختلاف أطرافها والأدوات النظرية والعملية المستخدمة فيها وحجم المال والقوة والسلاح والتأييد المحشود لها ، و حول اختياري للنوع السادس من الصراعات فهو راجع إلى كونه يحتوي على ثلاث مسببات أساسية في أي صراع

---

[25] – قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**, مرجع سابق الذكر ص 34 و 38 و 40 .

[26]– محمود بدوى (منير) ، "**مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع**" ، مرجع سابق الذكر ص 71 .

حادث اليوم (المصالح و البنية و القيم) إضافة إلى كون النوع الأخير من الصراعات (صراع حول القيم) ***وخاصة تلك المتمثلة في أنظمة الحكومة والدين والأيديولوجية*** هو الصراع الذي يتضمن حدوثه ضجة كما و انه صراع العصر الصراع حول قضية يشار على أنها مسألة القيم ، تصبح أكثر أهمية من غيرها ومستعصية على الحل إذا ما قورنت بغيرها من الصراعات. لأن الناس تعرف نفسها جزئيا من المعتقدات الأساسية ، وعندما نعتقد أن هذه القيم هي التي تعرضت للهجوم ، فهم يشعرون انهم يتعرضون للهجوم. وبالمثل ، فإن من الصعب على الناس لتقديم تنازلات حول المعتقدات الأساسية لأنهم يشعرون أنهم يعرضون سلامتها للخطر.

هذا لا يمنع من أن يأخذ في تحليل أي صراع أكثر من واحد، فقد نجد صراع يحدد على أكثر من نوع مثل الصراع دارفور و الذي يعتبر صراعا داخليا ذو أبعاد دولية كما يعتبر صراعا حول مصادر الثروة تتمحور بشكل رئيس حول التوترات التي تنشأ بين الحضر والقبائل البدوية بشأن الأراضي زيادة على كونه صراعا عرقيا ذو درجة خطيرة.

2- أنواع الصراعات المتعلقة بمسبباتها (الدائرة)

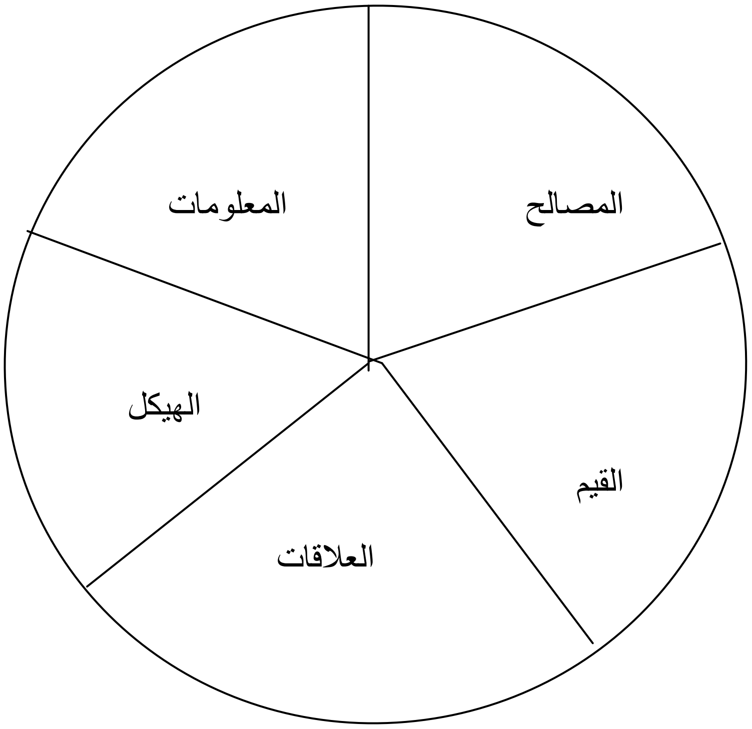

يشير مفهوم دائرة الصراع (الشكل أعلاه) إلى أداة تحليلية يتم بمقتضاها دراسة وتحليل جذور السلوك الصراعى ومسبباته[27] ، فباستخدام دائرة الصراع تتم دراسة وتقييم الصراع طبقاً لخمس مجموعات من المتغيرات (العلاقات ، المعلومات، المصالح البنية أو الهيكل ، والقيم).وعلى ضوء تلك المتغيرات ، يتم تقسيم الصراعات إلى صراعات جوهرية أو ضرورية، وأخرى غير جوهرية أو غير ضرورية. النوع الأول يتضمن صراعات المصالح ، والقيم، والصراعات

---

[27] - "**SOURCES AND TYPES OF CONFLICT**" pdf http://www.docstoc.com/docs/3558748/Conflict-Resolution-Part-Module-RS-SOURCES-AND-TYPES-OF-CONFLICT

البنيوية . أما الصراعات غير الجوهرية فتشمل صراعات المعلومات وصراعات العلاقات.[28] و سنتولى شرح هذه المتغيرات ذات العلاقة بالصراعات:

1-صراع المعلومات:Data conflicts

الصراعات المعطيات تحدث عندما يفتقر الأطراف إلى المعلومات الضرورية لاتخاذ قرارات حكيمة ، أو في ظل وجود معلومات خاطئة تختلف على المعطيات ذات الصلة ، أو حتى تفسير المعلومات بطريقة مختلفة . لذلك فبعض صراعات المعلومات قد تكون غير ضرورية الحدوث لأنها تحدث بسبب ضعف الاتصال بين الأطراف في الصراع. صراعات المعلومات أخرى قد تكون حقيقية مرتبطة بجمع البيانات وتفسيرها ، أو بالاتصال و معظم صراعات المعلومات سيكون حلها بـــ"حلول المعلومات."

2-صراع العلاقات:Relationship conflicts

صراعات العلاقات تحدث بسبب الوجود القوي للمشاعر السلبية ، والقوالب النمطية أو سوء الفهم ، وسوء التواصل ، أو تكرار أنماط سلوكية معينة و تكرار التصرفات السلبية. و المشاكل التي يخلقها صراع العلاقات تكون في كثير من الأحيان وقود الصراعات التي تؤدي إلى تصعيد الصراع المدمر. و دعم آمن وتوازن لوجهات النظر والتعبير عن المشاعر للاعتراف (حتى إن لم يتم الاتفاق) هو واحد من الأدوات الفعالة لإدارة صراع العلاقات.مثال

3- صراع المصالح Intrests Conflicts

صراعات المصالح تنجم عن المنافسة بسبب الاحتياجات المتضاربة. صراع المصالح ينتج عندما يعتقد واحد أو أكثر من الأطراف أنه من أجل تلبية احتياجاته ، لا بد من التضحية باحتياجات ومصالح الطرف الآخر و التي غالبا ما تكون متعارضة. و صراعات المصالح القائمة يمكن أن تحدث على أكثر من مسألة، المسائل الموضوعية (مثل المال ، والموارد المادية ، والوقت ، وما إلى ذلك) ؛ المسائل الإجرائية (طريق الصراع إلى حل) القضايا النفسية (تصورات حول الثقة والنزاهة ، والرغبة في المشاركة ، احترام ، الخ.) للوصول بالصراع القائم على المصلحة إلى حل ، يجب مساعدة الأطراف على تحديد والتعبير عن المصالح الفردية لتصبح معالجة كل هذه المصالح ممكنة بصورة مشتركة. أفضل حل لصراع المصالح القائم هو من خلال تحقيق أقصى قدر من التكامل بين مصالح الطرفين و كل النوايا الايجابية المرجوة والنتائج التجريبية.[29] وهكذا ، فإن هذا النوع من الصراعات تسببه المنافسة حول المصالح والحاجات غير المتوافقة سواء كانت تلك المصالح أو الحاجات حقيقية أو متصورة .

---

[28]- محمود بدوى (منير) ، **مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع** ، مرجع سابق الذكر ص68 .

[29] - **"SOURCES AND TYPES OF CONFLICT"** Op ;Cit p 2 .

4-صراع البنية أو الهيكل: Structure Conflicts

يحدث عندما تكون هناك أنماط السلوك أو التفاعلات مدمرة أو عدم المساواة في ملكية أو السيطرة على توزيع الموارد و أيضا عدم المساواة في القوة و السلطة ،و في ظل وجود عوامل مادية و جغرافية وبيئية التي تعوق التعاون فالصراعات الهيكلية تنجم عن ما تشكله القوى الخارجية للأطراف في هذا الصراع. فمحدودية الموارد المادية أو السلطة ، والقيود الجغرافية (بعد المسافة أو قربها، والوقت (القليل جدا منه أو كثير)، و الابنية التنظيمية، وما إلى ذلك من التغيرات يمكن أن يجعل الصراع الهيكلي يبدو وكأنه أزمة. يمكن أن تكون مفيدا لمساعدة أطراف التراع على تقدير القوى الخارجية والقيود التي تحملها. و الصراعات الهيكلية غالبا ما تكون لها حلول الهيكلية. تقدير الأطراف حول أن الصراع مصدره خارجي يمكن أن يكون له تأثير عليهم خاصة فيما يتعلق بالمشاركة فى معالجة الصعوبات المفروضة .

5-الصراعات القيمية (القيم) Values Conflicts

الصراعات القيمية ناجمة عن اختلاف في القيم والمعتقدات التي يستخدمها الأفراد لإعطاء معنى لحياقم (اختلاف طرق العيش و الإيديولوجية و الدين أيضا اختلاف الميزات التي تقيم من خلالها الأفكار أو السلوكات)كما تنتج مثل هذه الصراعات عن النظم العقائدية المتصورة أو الفعلية الغير متفقة أو متوافقة. و اختلاف القيم وليس من الضروري ان تسبب قضية للصراع. يمكن للناس العيش معا في وئام مع مختلف النظم القيمية و عليه فإن اختلاف القيم لا يسبب بالضرورة حدوث صراع على القيم. فالصراعات القيمية تنشأ عندما يحاول الناس فرض مجموعة قيم على الآخرين أو أن تدعي حصر نظمها القيمية التي لا تسمح باختلاف المعتقدات. وليس هناك جدوى من محاولة تغيير النظم العقائدية و القيمية قصيرة نسبيا خلال الوساطة والتدخلات الإستراتيجية. غير أنه يمكن أن يكون مفيدا دعم كل من المشتركين للتعبير عن القيم والمعتقدات و هذا للاعتراف من جانب الطرف الآخر.[30]

من هنا ، فإن لصراعات القيم أهمية تجعلها من أهم صراعات القرن العشرين، كما أنها استحوذت على قدر كبير من اهتمامات الدارسين في مجالات علم النفس والعمليات الذهنية وذلك بهدف الربط بين حجم الصراع والسلوك المرتبط بحل الصراع. وفى هذا الصدد ، فإن فك أو حل الارتباط بين القيم والمصالح، والعمل المشترك على اكتشاف الاختلافات القيمية، والأيدلوجية، والتركيز على إيجاد، واستخدام الصيغ التوفيقية والحلول الوسط تعد من أهم سبل حل الصراعات القيمية.[31]

عموما فالصراع لا يمكن معرفة أنواعه و كذى فهمه دون معرفة مصادره و ما هي قضاياه. وعلاوة على ذلك ، حل الصراع لن يكون ممكنا من دون فهم تلك القضايا .إذن فالصراع هو واحد من أهم المفاهيم المركزية للعلوم السياسية ، شانه في ذلك شأن مفهوم القوة ، المصالح ،الحرب أو السلام. و الأخذ بهذه الحقائق وتحليلها في هذه الورقة يكاد أن

[30] - Ibid p 3

[31]- محمود بدوى (منير) ، **مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع** ، مرجع سابق الذكر ص 75 .

يشمل جميع الصراعات المتنوعة. ومع ذلك ، من المهم بالنسبة لنا في هذا السياق إدراك أنه ليس مجرد وجود صراعات معناه وجود اشكالية أو حتى تهديد للأمن بل أشكاله، ذلك أن الصراعات كغيرها من الظواهر الفعالة في السياسة الدولية تبقى موجهة لتنفيذ مصالح جانب واحد دون الآخر و على اعتبار الصراعات جزء من حضور التفاعل الإنساني ،فـــ Frank Pfetsch[32] يرى أنه من الصعوبة بمكان التأكيد إزاء مسألة القضاء عليها ، ولكن يتعلق النشاط الإنساني إلى حد ما بالتنظيم أو التسوية السلمية و ذلك راجع الى تحول طبيعة الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة و هو ما سيتم التعرض اليه في العنصر الآتي :

المطلب الثالث: تحول طبيعة الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة

خلق انهيار القطبية الثنائية تغيرات جذرية في مضمون و مصادر الصراعات التي كانت قائمة أثناء الحرب الباردة، و التي تميزت باحتواء و تكييف مختلف الصراعات الدولية و الإقليمية وفقا للصراع المركزي بين القوتين العظمتين وهذا ما أدى إلى تحول شامل لظاهرة الصراع في البيئة الدولية ، فهي بصدد اكتساب هويات جديدة غير واضحة المعالم. فمع بداية التسعينات دخل العالم مرحلة جديدة في إطار ما أُصبح يسمى " باللانظام الدولي الجديد "، حيث ثمة انفلات للأوضاع عن مسارها الطبيعي و تحول شامل لمجموعة من المبادئ و المفاهيم التي تضبط مسار العلاقات الدولية (مفهوم السيادة و مفهوم حق الشعوب في تقرير المصير ،مفهوم حقوق الانسان ....) و هذه المرحلة هي فترة الانفجاريات القومية و الاثنية و الدينية التي شهدتها أوروبا الشرقية و آسيا الوسطى ،و الحروب الأهلية الطائفية في عدة مناطق من العالم[33] و هو ما طرح ضرورة النقاش حول تحول الصراعات من دولية الى داخلية .

1- نقاش حول التحول من الصراعات الدولية الى الداخلية :

إذا كانت الصراعات أثناء الحرب الباردة ذات مصدر استراتيجي أي تنتمي إلى دائرة المواجهة بين الشرق و الغرب، فإن تلاشي الصراع الأيديولوجي , أحيا من جديد الهويات القومية و الاثنية و أعطى نفسا قويا لعودة الصراعات العرقية و الاثنية في العديد من مناطق العالم . حيث راحت بعض الجماعات داخل بعض الدول تبحث عن هويتها القومية و خصوصيتها الذاتية الثقافية ما أدى إلى تفكك عدة دول ، كما أن عدة كيانات وطنية على شفة حفرة من التفكك .

هكذا في مناطق عدة من العالم عاد الشعور القومي بقوة و انفلتت من عقالها عدة صراعات قومية و طائفية كانت مكبوحة بالأمس، و قد عبرت عن نفسها تعبيرا انفجاريا ما كان من الممكن توقعه من حيث العمق و الاتساع. حيث

---

[32]- Pfetsch : ولد في ألمانيا 1936أستاذ السياسة الدولية في كلية العلوم الاقتصادية والاجتماعية في جامعة هايدلبرغ. عمل في معاهد البحوث الألمانية والأجنبية والألمانية في وزارة العلوم والبحوث .عمل مستشارا لمنظمة اليونسكو بشأن قضايا السياسات العلمية في بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .وقد كان أستاذا للعلوم السياسية مع إشارة خاصة إلى السياسة الدولية في جامعة هايدلبيرغ منذ عام 1976 من أهم كتبه :*Negotiating Political Conflicts* .

[33]- السعدي (محمد) ، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام،** (مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2006) ص 88 .

عادت بصورة أكثر كارثية مما كانت عليه في الماضي، إذ اقترنت بالتشدد العرقي و الهوياتي و التطرف الديني ، و هذا ما ولد التقوقع الثقافي و الحقد و العنف و التطهير العرقي ،و هو ما هدد العالم بالتشتيت و التفتيت . لهذه الأسباب يرشح الكثير من منظري العلاقات الدولية بأن تكون الصراعات الاثنية و الدينية بؤرة التوتر الأساسية في المسرح السياسي العالمي للقرن الواحد و العشرين ، و ذلك نظرا إلى البعد الثوري الجديد الذي أخذه مفهوم حق تقرير المصير و الذي قد يجعل الكثير من القوميات أكبر قوة سياسية في الساحة الدولية ، حيث فشلت العديد من الكيانات الوطنية في رهان الاندماج الهوياتي للجماعات المختلفة ، و في إدماج الحدود الثقافية للجماعات داخل الحدود الجغرافية للدولة . و حسب لوران كريستوفر (مسؤول سابق عن السياسة الخارجية الأمريكية) فإنه" ***إذا لم نجد طريقة لتعايش المجموعات القومية المختلفة في الدولة الواحدة قد تصبح عندنا خمسمائة ألف دولة لتتحول بذلك الصراعات القومية إل شبح جيوسياسي جديد يختزل إمكانيات ضخمة و قابل للانفجار في كل لحظة لقلب التوازنات و الترتيبات الجيواستراتيجية***" .[34] و لمحاولة معرفة الصراعات الداخلية و بعض خصائصها و التي غالبا ما يتم الإشارة اليها على أنها صراع أقليات أو أنه صراع اثني أو هوياتي أو حتى ثقافي و جب التطرق الى :

أ- مفهوم الصراعات الداخلية و علاقتها بصراعات ذات الأبعاد الثقافية و الاثنية.

ب- دور النخبة في الصراعات الداخلية.

ت- الصراعات داخل الدول ، وطبيعة التهديدات التي يتعرض لها أمن و وجود الدولة.

أ- مفهوم الصراعات الداخلية و علاقتها بصراعات ذات الأبعاد الثقافية و الاثنية:

التمييز بين الصراعات بين الدول والصراعات داخل الدول أصبح أقل وضوحا ، ليس دائما يمكن للدول أن تجسد الهوية مع مواطنيها أو تعتبر الشكل الأمثل و الأكثر تنظيما حتى تكون أفضل الطرق التي تنظر فيها الى مصالحها الخاصة ومصالح وأمن مواطنيها بمختلف فئاتهم فعجزها عن ذلك يجعل من مختلف المجموعات الاثنية تنادي بمطالب من أجل تقرير المصير في مواجهة الأقلية القاهرة ، قد تتحول الى صراعات تنطوي على خلافات بشأن الحكم الذاتي و السيادة ،كما و أن استمرار وجود الدولة في هذه المرحلة يتعلق بتهديدها و تهديدها لن يكون قادما من الدول المعادية ، ولكن من داخل الدولة نفسها ، فمعظم الأزمات والصراعات داخل الدول في منطقة البلقان ، في العقد الماضي كانت تعبيرا عن تآكل قدرة الدولة على التعامل مع مشاكل مواطنيها والتطورات الحاصلة في اقليمها و هو ما ينطبق على حالة الانكسار العنيف ليوغوسلافيا واستمرار حل جزء من هذه العملية المتآكلة. و عليه فالانقسام المؤدي إلى تقرير المصير والسيادة يمثل تحدي لفترة ما بعد الحرب الباردة. **إذ** كان الصراع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية يعبر عن المواجهة المسلحة بين الدول بوصفها ذات أقاليم واضحة و لكن مفهوم الصراع اتسع بعد ذلك بشكل

---

[34] - نفس المرجع السابق ص 91 - 90 .

كبير نتيجة لزيادة عدد الصراعات الداخلية، التي اتخذت في حالات كثيرة أبعادا عالمية تجعل من المستحيل تجاهلها .[35] ذلك أن النهاية المتساهلة الحرب الباردة و التفكك السلمي الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا و وحشية الأحداث التي وقعت في يوغوسلافيا وغيرها من مناطق العالم، جلبت الانتباه الى الأوضاع الأمنية داخل الدول والآثار المترتبة عليها و الدروس المستفادة من الصراعات داخل الدول ، وكشفت ان المدارس التقليدية للعلاقات الدولية لا توفر ما يكفي من الأدوات المرضية لفهم "الوضع الحالي للحرب والسلام في النظام الدولي.[36] كما و أن تعميم المناهج التقليدية لا يحصي خصائص أحداث الحرب (سواء انها ثنائية أو متعددة الأطراف ، إقليمية او دولية ، داخل الدول أو بين الدول) لتركيزه على عوامل ذات الأسباب و المصادر المادية،في حين أن عوامل كالثقافة ، والهوية الاجتماعية و العمليات المعرفية متجاهلة وإذا تجاوزنا الفهم التقليدي لاحتمالات الحرب والسلام ،فإن هذه العوامل (الثقافة و الهوية .....) ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في حالة فهم الصراع الداخلي وعمليات بناء السلام. و هو الاقتراح الذي تم طرحه من طرف الاتجاه ما بعد وضعي .

و إذا ما قمنا بمسح تاريخي من السهل أن نستنتج بأن الحروب و الصراعات التقليدية في العقود الأخيرة قد ثبطت – حسب رأي كل من Harbom و Wallensteen في نفس الوقت تم الابتعاد عن الصراعات الدولية العنيفة التي تشمل القوات العسكرية لاثنين أو أكثر من الدول نحو الحروب "الداخلية،[37] فالكثير من صراعات فترة ما بعد الحرب الباردة (باستثناء حرب الخليج) اشتملت على الصراعات الداخلية التي تعكس أعطال في تلك الدول و التحديات التي تواجه سلطة الدولة ، وغالبا ما تنطوي على استهداف المدنيين من السكان.
ورغم ذلك فالصراعات داخل الدول ليست بالظاهرة الجديدة. فمنذ عام 1945 كانت الصراعات الداخلية أكثر تكرارا وأكثر عنفا من الصراعات بين الدول ، مع نهاية الحرب الباردة أحيت معظم هذه الاتجاهات في الخطوط الاثنو– وطنية (العرقية) و الصراعات الانفصالية المسلحة ، دفع ذلك إلى تحول كبير في النظرة إلى قضايا الأمن والنهج البديلة له ، وخاصة في أوروبا على وجه الخصوص تغيير الحوار حول السيادة والهوية والأمن والمسؤولية الدولية يبدو أنها مواضيع ذات أهمية متزايدة.[38]

إن مصطلح الصراعات داخل الدول ، كما هو مستخدم من طرف Nathan و Assefa وWalter يشير "إلى الصراعات المسلحة العنيفة، والتي في المؤلفات العلمية يمكن أن يطلق عليها الحروب الأهلية الإثنية أو الصراعات الاثنو

---

[35]– سعد أبو عامود (محمد)،**العلاقات الدولية المعاصرة** ،(دار الفكر الجامعي الاسكندرية، 2008) ص 189 .

[36] – *Abazi(Enika)*, "***Intrastate Conflicts, International Interventions and their Implications on Security Issues, Case of Kosovo***" *University of Bilkent, Turkey;* www.peacestudiesjournal.org.uk/dl/July05Carla.**pdf**

[37] – *Wuori (Misti)* : « **International Conflict Mediation Organizations in the Post-Cold War World Order**", Pdf ; *Conflict Mediation Project PlanningMelton Alumni Educational Conference Berlin, March 2000 p 5* . www.connectedforever.org/projects/cr/negotiationdraft1.pdf

[38] – Ibid p 6.

سياسية. هذه الصراعات يمكن أن تشمل علاوة على قضايا مثل الانفصال والحكم الذاتي ، قد تشمل مسائل الهوية والأمن ، أو الدين والشعور بالرفاه" والصراعات داخل الدول قد تتم بين الدولة و السكان المدنيين ، حيث السكان المدنيين قد ينتمون إلى عرقيات مختلفة أو مجموعة أقلية.[39] و مثال على ذلك العنف الداخلي في ايرلاندا الشمالية و الباسك باسبانيا و هي احتجاجات دموية من اقليات انفصالية لمشاكل قديمة موروثة صعبة الحل ، الحروب القبلية في افريقيا و الثورات في امريكا الوسطى ، و الحروب الاهلية في كولومبيا و نيجيريا واوغندا و موزنبيق و الصومال و السودان و إثيوبيا و أفغانستان و السلفادور و الحروب بين الهند و باكستان.[40]

و المتبصر لكل هذه الأحداث يستطيع أن يجزم ان مثل هذه الصراعات التي تهدد وجود الدول هي صراعات تغطي معظم انحاء العالم المتخلف منه و المتقدم على السواء و الاضطرابات الداخلية و الثورات التي يمكن أن تنشئها أقلية لغوية او دينية ومع ذلك ليست كل الصراعات الداخلية يمكن أن تؤدي إلى الانفجار نحو الحرب. الصراعات داخل الدول تنفجر بطريقة عنيفة ، عندما تنطوي على مواجهة مسلحة بين دولة ذات سيادة مستقلة و الحركات الانفصالية المبنية على أساس محلي تسعى الى الانفصال أو تسعى نحو إقليم داخلي بحكم ذاتي و هو ما يعبر عنه بالحرب الأهلية . كما لا تزال قضايا الصراعات الاثنية [41] أكثر من أي وقت مضى ، واحدا من الأسباب الرئيسية للصراعات داخل الدول و التي تثيرها أقليات[42] اثنية متعارضة المصالح و يجب الإشارة بالقول أن صراعات الأقليات ليست بالضرورة مرتبطة بالصراعات الاثنية. ومع ذلك ،فصراع الأقليات متصل اليوم بمعظم الصراعات الإثنية السائدة.[43]

---

[39] - Ibid .

[40]- صادق صبور (محمد) ، **الصراع في الشرق الاوسط و العالم العربي** ،(دار الامين للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى 2006) ص 76.

[41]- الاثنية كمفهوم تعني حسب الموسوعة الامريكية جماعة تتميز عن غيرها إما بالعرق أو القومية أو الدين أو المولد(الاصل – مولود داخل الدولة أو الوافد اليها) أو الدولة القومية ،هو مصطلح يطلق لوصف الواقع الثقافي لمجموعة بشرية و هو يستخدم لوصف مفاهيم تنطبق على العرق الحضارة الشعب القبيلة و يستعمل استعمالات عديدة و غير دقيقة أحيانا و قد يكون المقصود به مجموعة لغوية كما هو الحال بالنسبة لقبائل الهاوسا في نيجيريا و النيجر أو عرقيا و هو ينطبق على سكان إفريقيا من غير أبنائها الأصليين و قد يكون قبليا كقبيلة الكيكويو في كينيا لكن هذا التعبير يبقى وصفا يتسم بالمرونة للجماعات البشرية التي تتميز ثقافيا عن غيرها بقيمها الثقافية و لغتها المشتركة .

[42]- فالاقلية هي تلك الجماعة التي تتسم بسمات طبيعية – اثنية Phsical- Ethnic أو ثقافية Culturel كاللغة و الدين أو القومية أو العرق أو القبيلة و تفرعاتها و ياتي هذا التاكيد على هذه السمات و عند التصدي لمفهوم الأقلية فإننا لا نجد في الواقع اتفاقا بين الباحثين حول ذلك كما اننا لا نجد معيارا واحدا يجتمعون عليه و من بين المعايير التي يمكن البدء بها هو المعيار الكمي (العدد) و ذلك أن الاصل اللغوي لكلمة الاقلية إنما يوحي به و يدل عليه فالاقلية من الناحية اللغوية هي القلة أما قاموس ويبستر عرف الأقلية بأنها جماعة من السكان تختلف عن الجماعة الأكبر في سمة واحدة أو أكثر من السمات ذات الخلفية الاثنية كاللغة الثقافة الدين و ينتج من ذلك عادة معاملة تفضيلية لصالح الجماعة الأكبر بمعنى خضوع الأقلية لمعاملة تمييزية أي قائمة على أساس التمييز. و لقد تعرض المعيار الكمي في تحديد مفهوم الأقليات لانتقادات عديدة مثلا ترى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية أن الأعداد النسبية لأية مجموعة بشرية داخل إطار الجماعة الوطنية – داخل الدولة الواحدة لا تعد كافية لتعريف أو تحديد وضع الأقلية داخل الجماعة و هنا يدخل المنظور السوسيولوجي الذي يرى في الأقلية "جماعة تزيد نسبتها أو تقل إلى إجمالي السكان تشترك في واحد أو أكثر من المقومات الثقافية أو الطبيعية و في عدد من المصالح تكرسها تنظيمات أو أنماط خاصة للتفاعل و ينشأ لدى أفراد هذه الجماعة بسبب التمييز ضدهم وعي بالتمايز في مواجهة أفراد الجماعات الأخرى مما يؤكد تضامنهم و يدعمه " و هي ترى أن تعريفها يراعي الربط بين عناصر ثلاثة هي المقومات الثقافية أو الطبيعية أو الشعور بالتمايز بموجبها و المصالح المستقاة من الحرص عليها و قد جاء هذا الربط تحسبا للانتقادات التي وجهت الى التعريفات التي ركزت على كل عنصر على حده .

43- ابراهيم بغدادي (عبد السلام)، **الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا** , (مركز الدراسات الوحدة العربية , بيروت لبنان , الطبعة الاولى1993) ص 77- 79- 80 .

و صراع الأقليات يفترض قدرة الأقليات السياسية على التعبير وصياغة محدداتها الثقافية ، والتعليمية ، و مطالب الحكم الذاتي ونتيجة لذلك ، يعرف صراع الأقلية باعتباره "... شكلا من أشكال العداء النشط بين حكومة الدولة وممثلين للأقلية حول مدى الفرص المتاحة للأقليات للتأثير على استخدام وتنظيم الأقاليم(دون الدولة) التي تسكنها " بيد أن هذا التعريف ، يضيق من مفهوم صراعات الأقليات وحصره إلى مستوى الصراع السياسي على الاقاليم الاثنية. كما أن الصراع داخل الدولة يمكن أيضا أن يتضمن الحكومة كالقوة الرئيسية في هذه القضية. في هذه حالة عدم التوافق بين اثنين من الأطراف المتنازعة ، ومن بينها الحكومة نفسها ، ومعظمها يتعلق بالنظام السياسي ، والمتعلقة بتشكيل الحكومة أو استبدال الحكومة المركزية ، وهذا هو جوهر الصراع.و قد يسمى هذا الصراع من قبل بعض العلماء كـــ(Wallensteen / Sollenberg) **بالصراع المسلح مع التعارض الحكومي** . بالطبع أكثر الشيء المهم الذي يميز هذه الصراعات هو أن الهدف الرئيسي لكل طرف من الأطراف الإبقاء أو للاستيلاء على السلطة، حيث يسعى كل واحد من الطرفين جاهدا لايجاد حل داخل نفس الدولة.خلافا لما حدث في الصراعات الإقليمية التي يناضل الطرفان من أجل القوة في وحدات سياسية مختلفة .لذلك فبعض المنظرين يعتبر أن معظم الصراعات الداخلية خاصة الاثنية منها تظهر في شكل من أشكال الحرب الانفصالية ، وذلك نتيجة للخوف الأقلية التي لا يمكن ان تضع ثقتها في دولة يحكمها نظام الغالبية يمكن أن يساء استخدامها للإضرار بحقوق الأقليات. و بشكل عام يعرف Gurr الصراع الاثني" ***المجموعات التي تعرف عن نفسها باستخدام معايير عرقية من أجل تقديم المطالب نيابة عن المصالح الجماعية ضد الدولة أو ضد الفاعلين السياسيين الآخرين***".[44]

يمكن القول عموما،أن التهديد الرئيسي للسلام الإقليمي والعالمي منذ أواخر الثمانينات لم يأت من المواجهات الرئيسية المشتركة بين الدول ، ولكن من مصدر آخر : الصراعات الداخلية والصراعات التي تحدث داخل حدود الدول. قد حلت محل الصدامات الإيديولوجية في الحرب الباردة كأنواع رئيسية للصراعات.و للتوضيح ،فإنه من أيار / مايو 1988 ، عندما كانت الحرب الباردة على وشك الانتهاء وحتى يومنا هذا ، كانت هناك 47 الصراع تدخلت الامم المتحدة في ثلاثة فقط من هذه حروب التي جرت بين الدول في (الغزو العراقي للكويت عام 1990 ، والصراع الحدودي بين ليبيا وتشاد في عام 1994 في الصراع الحدودي بين إثيوبيا وإريتريا 1998-2000). و اضافة الى الغزو العراقي الأخير من جانب الولايات المتحدة يصل العدد الإجمالي الصراعات بين الدول خلال فترة ما بعد فترة الحرب الباردة إلى أربعة، مقارنة مع 44 من الصراعات الداخلية في نفس الفترة.[45] ذلك أن الصراعات الداخلية ذات الأبعاد الحضارية / الثقافية خلقت حلقة جديدة من الحركات الاثنو- قومية وبرزت من جديد في الآونة الأخيرة في أوروبا الشرقية (بما في ذلك منطقة البلقان) ، وآسيا الوسطى وإفريقيا. وعلى الرغم من الانخفاض اللاحق للزوال

---

[44] - Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : "**Conflict – a literature review** "Op;cit p13.

[45] -Ercan Yılmaz(Muzaffer) ; **Resolving Internal Conflicts in the Post-Cold War Era: Is Peacekeeping Enough? ;** Journal of Economic and Social Research 8(2), 27-42 p 30.

. Detailed www.un.org1 Source: UN statistics, January 2006, obtained from the official UN web site , information about the internal conflicts which the UN ahs intervened can be found on this website.

الإمبراطورية السوفيتية ، وتفكك يوغوسلافيا ، وانهيار الشيوعية ، والانخفاض التدريجي للفكر بصفة عامة ، فقد لعبت دورا كبيرا في هذا التطور ، ومن الضروري أن ندرك حقيقة أن الصراعات الداخلية[46] ليست مجرد نتيجة لعودة ظهور العداوات التاريخية التي تم قمعها من قبل مراكز الامبريالية. بدلا من ذلك ، فإن هذه الصراعات الأساسية تعكس اشتباكات بين الشعوب من مختلف المجموعات العرقية والثقافات المختلفة ، بل والحضارات المختلفة. فالخوف المفرط وعدم الثقة ، والاختلافات الأساسية حول القيم السياسية والاقتصادية والدينية ، والتي هي نتاج قرون ، كلها تلعب معظم الوقت دورا لعدم وجود ساحة المعركة واضحة وإشراك أطراف متعددة[47]، مع تفاوت قوة تجعل هذه الحالات أكثر تعقيدا من غيرها من الصراعات ولذلك ، فإن الصراعات الداخلية ذات الخصوصيات الثقافية و التي يكون من الصعب إدارتها وحلها لذلك تبقى الأولى من حيث الأهمية أكثر من غيرها من الصراعات الحضارية بين الدول .[48]

و عليه فالصراعات الاثنية و الثقافية وحروب الأقليات هي نتاج الشعور بانعدام الأمن عندما تظهر مجموعة اثنية واحدة غير متأكد من نوايا المجموعة الاثنية الأخرى و الاثنين يجمعهما بالفعل عداء متبادل أما إذا قام الصراع الداخلي بين حكومة و مجموعة اثنية فإنه يصبح حربا أهلية . كما تستطيع النخبة السياسية من خلق الصراعات الاثنية و تهيئها للتلاعب بالهويات العرقية في سعيها للحصول على السلطة و هو ما بوضح دور النخبة في تلك الصراعات .

ث- دور النخبة في الصراعات الداخلية

من المعروف أن النخبة السياسية هي المركز الذي يستحوذ على القوة، أو مركز امتلاك القوة في الدولة أو النظام السياسي أو الأقلية؛ لذا فإن النخبة السياسية وطبيعة دورها كان عاملاً من العوامل الرئيسية التي كانت ومازالت تؤدي دوراً محورياً في خلق أو صنع الصراعات أو تسويتها.

إن النخبة السياسية والثقافية للأقليات تعد بمثابة قادة التوجيه والتأثير أو النفوذ في سلوك الأقلية السياسي، ومن هنا فإن طبيعة مواقفها وسلوكها كان يؤدي إلى "التعايش" أو "الصراع" ما بين الأقلية والدولة التي تستقر فيها. وهذه الأجواء و التنافسات كانت تنعكس على شكل عنف وسلوك صراعي ما بين "الأقلية"، و"دولة الأغلبية".[49] فرغم وجود العوامل الهيكلية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية مجتمعة ، و معها عامل الأحقاد التاريخية ،فهي لا تكفي لاندلاع الصراع ، حيث يعتبر الكثير من محللي الصراعات ان الأبحاث انهمكت في دراسة العوامل الكامنة ، على حساب

[46] - يقول هندرسون في هذا الصدد أنه حتى الآن الصراعات الداخلية التي حدثت و التي تحدث لم تأخذ نصيبها من الاهتمام الأكاديمي حيث كان هناك أجحاف في التطرق إليها إذ هناك من الصراعات التي نكاد نعرف طبيعتها في اشارته الى الصين إذ لم تكن هناك أبحاث تجريبية تثبت صحة الفرضيات التي قد توضع لدراستها مقابل التطور الهائل الحاصل على مستوى الدراسات الأكاديمية التي تتعلق بالصراعات الدولية بمختلف فئاتها و التي أخذت الحظ الوافر من الدراسة و التقييم و ربما هذا راجع الى الفترة التي شاعت فيها مثل هذه الصراعات أثناء الحرب الباردة و التي دعمها التنظير الأكاديمي المبني على هيمنة الدول كوحدات أساسية و وحدوية ف صياغة السياسية الدولية و الفاعل الرئيسي في الصراعات العالمية.

[47] - Ibid p 31 .

[48] - Lebaron(Michelle); **Transforming Cultural Conflict In An Age Complexity;** Berghof Handbook for Conflict Transformation30 Mar 2001 (First launch Jul 2000); "Berghof Research Center for Constructive Conflict Management" . p 1 http ://www.berghof-handbook.net/uploads/download/lebaron_hb.pdf

[49] - الصاوي (على)،" **النخبة السياسية في الوطن العربي** "،(مركز البحوث و الدراسات الاستراتيجية، جامعة القاهرة ،1996) ص 7 .

دراسة العوامل المؤدية مباشرة الى اندلاع الصراع . فهذا الاندلاع يحتاج الى قادة يحرضون الجمهور ، و يلعبون دور العامل المحفز على الصراع ، و يسميهم براون بالزعامة السيئة . كما أن دول الجوار ذات العلاقة بإحدى الجماعات يمكنها أن تلعب الدور المحفز على الصراع ، و يسميها ماكل براون* "الجوار السيئ" . و هو ما أكده سنجر الذي يعتبر أن انتقائية تدفق العوامل التاريخية والثقافية (العرقية واللغوية والدينية) دليل يرفع مستويات العداء مع تقليل احتمالات حل الصراعات بدون عنف وفتح الطريق إلى الحرب .في معظم الحالات ، الاختلافات الثقافية تصبح خط العداء يمكن أن تستغل من قبل النخب بنجاح لحشد الدعم للحرب. النخبة يمكن أن تؤثر للغاية على إعادة تعريف المصالح الوطنية ، عن طريق استخدام السلطة والمؤسسات الرسمية .[50]

ج- الصراعات داخل الدول ، وطبيعة التهديدات التي يتعرض لها أمن و وجود الدولة

هناك اتجاه في الأدبيات الأكاديمية لقطع الواقع بطريقة تستجيب لممارسة الشؤون الدولية و تنظيمها على افتراض الدول كالجهات الفاعلة تعمل وفق مبدأ نظام الفوضى و الذي أساسه موضوع الأمن الذي يركز على الدولة المركزية و ترى تلك الأدبيات أن الأمن كمفهوم مازال ويظل من المواضيع الأساسية 'المرتبطة بتوزيع السلطة و الآثار ذات الصلة لتركة الدول في النظام الدولي ، في حين البعد الإنساني والاجتماعي لا تزال في موقف إخضاع للبعد الأول، كما تواجه ديناميات الصراعات داخل الدول تحليلات مجزأة يبدو أكثر فأكثر تعسفية ، و الكشف عن الحالات الشاذة لدراسات الأمن الحالية فيها التباس بالنسبة لطبيعة الفواعل خاصة بالنسبة لموضوع الأمن و ملاءمة الهياكل المحلية للعلاقات بين الدول و قضايا الأمن في النظام الدولي، فضلا عن مسألة الصلة بين الدولة و الأمن الإنساني والاجتماعي . وبناء عليه فصراعات الأمن المجتمعي تمدد ليصبح المشكلة الأكبر التي تؤثر على الأمن السياسي للدولة المعنية ، وإذا كان يتجلى هذا الصراع في النضال من أجل الانفصال فهو يمثل تحدي للمبدأ الأساسي من وجودها وسيادتها. و من الواضح أن الأحداث التي وقعت في بلد واحد من شأنه أن يؤثر على بلدان أخرى في المنطقة إذا كان الأمن الإقليمي يحدد مجموعة من الدول ، و لذلك فهو كثيرا ما يمثل مخاوف أمنية وثيقة تربط بشكل قريب من الأمن الوطني و الذي يمكن أن تعتبر حقيقة جزء من وجود الآخر ." و عليه يتضمن المنظور الأمني المعقد لـــ Buzan، ثلاثة مستويات من (الأمن) هي : الأفراد ، والدول و النظام الدولي ، والتكامل بينهم "أمن كل واحد يصبح جزء منه، شرطا لازما لأمن الجميع" وخلاصة القول حسب مولر **"الأمن الفردي والأمن العالمي هما وجهين لنفس العملة " و عدم الأخذ بالبعدين الانساني و الاجتماعي خلق معضلة الأمن الهوياتية للمجتمع** فأينما تكون المجموعات الاثنية المتعارضة فهي تؤدي إلى انعدام الأمن بالنسبة للآخرين ، و من المؤكد أن يشكل الأمن المجتمعي مشكلة خطيرة يمكن أن تترجم كتهديدا لـــ"الاستدامة ، ضمن ظروف مقبولة من أجل تطور الأنماط التقليدية للغة والثقافة والدين و العرف والهوية الوطنية، ضف إلى كون معضلة الأمن المجتمعي يمكن أن تصعد بعيدا

---

[50] - *Wuori (Misti)* : **International Conflict Mediation Organizations in the Post-Cold War World Order** Op;Cit .

أكثر مما يمكن الذهاب إليه، من استنفاد الموارد أو القضاء على حزب واحد إلى مظاهر مقيتة كالتطهير العرقي والإبادة الجماعية ، أو حتى من خلال إضعاف هائل مما تسبب على وجه الخصوص في أضرار لا تعوض على المشاركين.

والهدف من مثل هذه المظاهر هي القضاء على الوجود الاجتماعي للآخر .و المعضلة الأمنية المجتمعية في معظم الحالات تترجم كمعضلة أمنية هوياتية. حسب Buzan حيث "المجتمعات هي أساس الهوية. وهي ما يمكن لمجموعة من الشعوب ان يشيروا الى انفسهم ب'نحن'...تحديد وسائل 'نحن' ، و هم [51]، كلها تحديات لتشكيل هويات جديدة و حركة الشعوب تحمل هويات مختلفة .

كما توضح الفروق الجماعية أنها لا تولد المشاكل الأمنية فالاختلافات يمكن أن تكون مصدرا للثراء والديناميكية والتقدم أو العكس اعتمادا على التفاوض على المصالح الجماعية وتكشف أنماط الاستجابة المتبادلة في عملية التفاعل و على ذلك فالهوية تخلق المعضلة الأمنية عندما يستخدم كضغط سياسية تعكس تضارب المصالح على الحفاظ على السلطة والهيمنة على بنية هذه العلاقات. التفاعل الصراعي يظهر مع فرض الهوية بمظاهر أنانية بدلا من المشاركة "مع المجموعات الاثنو قومية التي ينظر لها على انها الضامن الوحيد للحماية من تزايد مناخ الخوف تصعيد الصراع يؤدي الى سلسلة من آثار ردود الفعل ، والتي غالبا ما تقود إلى التفتت.

عموما تحدد الهوية المجتمعية بعلاقتها بالصراعات في المقام الأول بوظيفة العرق و الدين ، والتي اكتسبت مكانة.... لما لها من ارتباط تاريخي بتطور الدولة الحديثة الهوية الاجتماعية و تحدث الخلافات حولها حسب الفهم و التوقعات الذاتية للمجموعة ، واعتمادا على توزيع المعرفة 'التي تشكل المفاهيم الذاتية... و مفاهيم الآخري[52]." و هو ما أدى بالكثيرين الى اعتبار الصراعات الدينية من أبرز حلقات تحول الصراعات لفترة ما بعد الحرب الباردة نتيجة عدة اعتبارات سيتم تناولها كما يلي :

2- تصاعد الصراعات الدينية و دور الدين في صراعات اليوم و الكيفية التي يغير بها الدين طبيعة الصراع

من الصعب حل الصراعات التي تدور حول سمات الهوية كالدين مثلا و القيم إذ علينا أن نكون اكثر حساسية لتلك الصراعات المرتبطة بالهوية و لغة و دين لجماعة من الجماعات على الصعيد الداخلي أو الحدودي أو الخارجي ، إذ أوضحت أحداث لا حصر لها على مدى العقود القليلة الماضية، أن الدين واحد من أكبر — إذا لم يكن أكبر— مصدر للصراعات في العصور الحديثة. فحول تصاعد الصراعات الدينية نجد أنه في عالم ما بعد الحرب الباردة أصبحت الخلافات الإيديولوجية ثانوية بالنسبة الى صراعات الهوية،الصراعات بين الدول استخلفت بالصراعات بصورة متزايدة داخل الدول كنتيجة مباشرة لهذا التحول الكبير ، شهدنا أيضا زيادة موازية على أدبيات الصراعات العرقية. في حين أن معظم هذه الدراسات ركزت في البداية على الهوية العرقية ككل ، مع مرور الوقت تم تضييق التركيز على

---

[51] -Lebaron(Michelle); **Transforming Cultural Conflict In An Age Complexity**,Op ;Cit p 3

[52] -Ibid p 4.

الجوانب المختلفة للهوية الواحدة باعتبارها مصدرا للصراع. للخروج من هذه الكتابات جاء اثنين من السمات الرئيسية للهوية الى الصدارة : اللغة والدين. وبخاصة الدين وسرعان ما أصبح واحد من أكثر المكونات دراسة مصادر الصراع في عصرنا،و كان ذلك لسببين. أولا ، كان ينظر إلى الدين ، من طرف البعض ، على أنه أكثر أهمية من تأثير البدائل الأخرى للهوية نظرا لأهميته في المهام الاجتماعية و لأن له إطار مفاهيمي يساعدنا على فهم حقيقة مجموعة من القواعد و المعايير التي تربط سلوك الفرد مع الإطار العام باعتباره مصدرا للتنظيم في المجتمع و السبب الثاني الأكثر العملية فهو يستند الى التصور العام خلال العقود القليلة الماضية شهدت المزيد والمزيد من الصراعات الدينية ، و البعض اوجد صلة بين هذه الصراعات والصراعات العرقية ، والتأكيد على الدين أكثر سمات الهوية العرقية بروزا. و بالتالي فإن الدين في أي وقت مضى هو أبرز جوانب الهوية. التركيز على الصراعات الدينية لم يأت اعتباطا. فموجز النظر في الثلاث أو الأربع عقود الماضية يدعم الحجة القائلة بأن الدين دورا متزايدا في الصراعات السياسية. [53] حيث سلطت الصدامات العنيفة ــ في أماكن مثل أيرلندا الشمالية، ونيجيريا، والسودان، والشرق الأوسط، والعراق، وتيمور الشرقية، وكوسوفو، والهند، وسريلانكا ــ الضوء على الصراعات الخطيرة بين الأديان، وكذلك بين الأديان والدولة العلمانية.كما يؤكد المحلل السياسي "جوناثان فوكس" ؛ الذي يقول: إن الصراعات المتصلة بالأديان ستواصل هيمنتها على الأحداث خلال ما بين عشر إلي عشرين عاما قادمة.و لاحظ ــ بدءًا من عام 2002 ــ أنه من الممكن تصنيف غالبية الصراعات باعتبارها دينية. أما بداية التصاعد في الصراعات الدينية فيعود إلى زمن نشوب الثورة الإيرانية تقريبا في أواخر السبعينيات، أين وقعت سلسلة من الصراعات الدينية ــ بما في ذلك الثورة الإيرانية والحرب الأهلية في أفغانستان وما شابه ذلك ــ شكلت أول تصاعد لدور الدين في الصراعات ." و بدأت الموجة الثانية في أواخر الثمانينيات، وأوائل التسعينيات .تزامن ذلك تقريبا مع وقت انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفكك الكتلة الشرقية على الرغم من وقوع منازعات أيضا خارج الكتلة الشرقية؛ إلا أن غالبيتها كانت دينية أصبحت الصراعات الدينية أكثر شيوعا[54]."

حول دور الدين في صراعات اليوم : نظريا يعتبر معظم الباحثين في مجال الصراعات الدينية أن المشكلة ليست في التركيز على مفهوم خاطئ ولكن سوء تقييمه ، وبشكل أكثر تحديدا فإن المشكلة ليست في اختيار مفهوم الصراعات الدينية ، ولكن كيف تعرفها و تعريف المشكلة يؤدي بنا إلى تعاملنا مع شقين. الأول يتعلق بالصراعات التي نركز عليها فبدلا من تعريف "الصراع الديني" كصراعات حيث الدين هو القضية المركزية ، فإن معظم هذه الدراسات اقتصرت على بحث الصراعات بين الجماعات من مختلف الأديان، هذا يقتصر على مجال الدراسة وتبين أن زيادة

---

[53] – Kursad (Turan), Menderes (çinar) : **The Role of Religion in Intra-state Conflicts: The Misevaluation of Religion-Based Conflicts**
http://www.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/3/1/2/6/0/p312600_index.html

[54] – *radio nederland wereldomroep*
http://static.rnw.nl/migratie/www.rnw.nl/hunaamsterdam/amsterdamforum/alh-redirected

مستوى الصراعات الدينية لم تكن في المقام الأول بسبب الصراعات بين مختلف التقاليد الدينية ، ***إذ أن الدين لا يتسبب في وقوع معظم الصراعات ، على أنه عندما ينشأ صراع فإنه غالبا ما يكون للدين تأثير هام عليه. إذا ما تناولنا الصراعات العرقية خلال التسعينيات، نستطيع استخلاص انه عندما تكون الأقلية العرقية أقلية دينية في نفس الوقت نلاحظ تضاعف مستوى العنف تقريبا بالمقارنة بالصراعات القومية؛ التي ينتسب فيها الجميع لنفس الديانة."*** [55]

و حول كيفية تحول الصراعات السياسية الى صراعات ذات طابع ديني: في كثير من الحالات ،إيديولوجية هوية الصراع قد تغير خلال الصراع إلى شيء مختلف عما كان يتوخاه الأيديولوجيون أو المنظمين للصراع. وثمة صراع يبدأ ذا طابع سياسي قد يتطور الى صراع عرقي أو ديني .ومن الأمثلة على الصراع في الشيشان ، والتي كانت أساسا في البداية صراع سياسي ولكن في وقت لاحق اكتسبت سمات عرقية أدت به في نهاية المطاف الى صراع ديني و وجدوا درجة كبيرة من تعقيد للبحث عن خيارات لحله. هذه التحولات أحيانا تنحرف عن قصد من الذين حرضوا على الصراعات ويبدو أن يتطور على أساس منطقهم . و عمليات تحويل ايديولوجية الصراع يمكن أيضا أن يحول طبيعة الانقسامات الحالية في تلك المجتمعات و تغير الصورة (من يتصارع مع من)؟وهكذا ، فإن الأطراف الذين يكونون على جانب واحد ،يتفرقون عندما يأخذ الصراع إطارا أو طابعا عرقيا كما تبدأ في محاربة بعضها البعض إذا ما أصبح يعرف بأنه صراع ديني.[56]

و عليه لا يمكن تصنيف الصراعات في العالم باعتبارها دينية في أساسها؛ حيث أن لمعظم الصراعات في العالم جذورا سياسية. أما ما يعتبر مؤكدا ــ حيث أصبح شديد الوضوح اليوم ــ فهو أن التعبير عن تلك الصراعات قد أصبح يتم على نحو متزايد بصورة دينية ، من بين الأسباب الرئيسة لذلك انتهاء الحرب الباردة ففي أعقاب انتهاء تلك الحرب، لم تعد كبرى الأيديولوجيات العلمانية مثل الماركسية والشيوعية.. إلخ ــ التي حاولت تغيير العالم انطلاقا من أيديولوجيات علمانية ــ ذات مغزى إطلاقا. مما خلّف ذلك فراغا حاول البعض سده بنوع جديد من الأيديولوجيات الدينية. كلما كان هناك صراع فإنه يتجه للتعبير عن نفسه من خلال الأيديولوجية السائدة في وقتنا الحالي؛ ممثلة في الأيديولوجية الدينية. يستتبع ذلك ــ علي نحو قاطع ــ وضوح تزايد دور الدين في الصراعات السياسة والدولية."
أما عن فئات الصراعات الدينية : صنف فوكس فئتين مختلفتين من الصراعات الدينية التي يجب تقييمها بشكل منفصل. هذا التمييز الذي أدلى به مؤخرا اعتمد فئتين : صراعات الهوية الدينية ، حيث تنتمي إلى مجموعتين مختلفة الديانات أو الطوائف الدينية ، و الحروب الدينية و التي تكون فيها جماعات تنتمي إلى نفس الدين ، و يتألف الصراع

[55] -Ibid

[56] - McC Adams (Robert)and others :**Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies**: **Proceedings of a Russian-AmericanWorkshop** ,(National Academy of science 2004) p 23.

الديني الأصولي من التحديات التي تواجه الدول الأكثر علمانية[57]. ويعتقد أن العدد المتزايد من الصراعات في الغالب ينتمون إلى المجموعة الثانية التي تستحق المزيد من الاهتمام. والمشكلة الثانية من مستوى تحليل لهذه الدراسات. لأنها ركزت على خطوط الحضارية ، في محاولة لاكتشاف الاتجاهات الرئيسية للصراع ، وتجاهل الفروق بين الجماعات التي تشكل هذه الحضارات ، ويبدو أن هناك افتراض أن هذه الحضارات كانت متجانسة. رغم أن هناك "تناقضات كبيرة بين مليار من الأشخاص يعيشون في مختلف الدول الإسلامية ، مثل باكستان ، والأردن ، وأذربيجان ، وإندونيسيا ، وبنجلاديش ، وتركيا ، والخلافات بين المسلمين في الاتجاهات المعتدلة والمتطرفة ، والتقليدية أو الحديثة ، الليبرالية أو المحافظة ، والمتشددين." فوكس" يرى أيضًا أن الإسلام يشكل عاملا هاما في ذلك التصاعد في الصراعات الدينية، وأن كل الصراعات الدينية تضمنت عناصر إسلامية خلال الأعوام القليلة الماضية.

ففي الوقت الذي يدعو فيه فوكس 'الفئة الأولى ، صراعات الهوية الدينية أو الصراعات الدينية – العرقية "حيث الموضوع الرئيسي هو صراع على السلطة بين اثنين أو أكثر من الفئات الاجتماعية النسبية للموقع وتوزيع القوة توزيعا يقوم على أسس طائفية.يكون الدين في هذه الصراعات قضية الثانوية بالنسبة للقضية الرئيسية و هي القومية. في هذه الصراعات ،الدين نادرا ما يبدأ أو يشعل الصراع والعداء وعدم الاستقرار ، لكنه يستغل لأغراض سياسية وقومية أما الحروب الدينية ، حيث مجموعتين تقاسم نفس نظام المعتقد داخل الصراع حول دور الدين في المجتمع ، [58] تمثل الفئة الرئيسية اننا مهتمون بها لأنها الصراعات حيث الدين هو القضية الرئيسية. و تدعى ب "الصراعات الدينية".

ونظرا لأهمية الدين باعتباره مصدرا للصراع الدولي وموردا من أجل صنع السلام في العقود الأخيرة ، تولى الدين مكانة غير عادية في الشؤون الدولية. ففي مقالة نشرت مؤخرا في صحيفة الايكونومست تؤكد أنه إذا كان هناك عالمية الانجراف نحو العلمانية في أي وقت مضى ، فقد توقفت وربما عكسه، في هذه المادة ، فيليب جينكيتر ، يتوقع أن المؤرخين عندما ينظرون إلى الوراء في هذا القرن سيرون الدين "منشط أصيل وقوة تدميرية في الشؤون الإنسانية ، وموجه لمواقف الحرية السياسية والالتزام ، ومفاهيم القومية ، وبطبيعة الحال ،الصراعات والحروب ". في مقال آخر تشير الاحصاءات الصادرة عن استقصاء للرأي العام في نيجيريا على أن النيجيريين يؤمنون بدينهم أكثر من هويتهم الجنسية بالتالي فالنيجيريين أكثر عرضة للتعرف على أنفسهم أولا و قبل كل شيء كمسيحيين ومسلمين بدلا من النيجيريين ، فضلا عن أحداث 11 أيلول / سبتمبر ، واندلاع الحرب في العراق ، وتأكيد العدوانية شبه دينية في إيران كل هذه الأحداث تؤكد منطق أن الدين يكمن وراء الكثير من الصراعات الدولية المعاصرة.[59]

---

[57] - Kursad (Turan), Menderes (çinar) : **The Role of Religion in Intra-state Conflicts** Op;Cit p 2-3 .

[58] - Ibid

[59] - Smock (David) : **Religion in World Affairs: Its Role in Conflict and Peace** , February 2008 | Special Report No. 201 pdf . http://www.usip.org/resources/religion-world-affairs-its-role-conflict-and-peace

المبحث الثاني : التفسير الواقعي لظاهرة الصراعات في العلاقات الدولية

هناك إجماع حول أهمية موضوع الصراعات الدولية في أجندة المنظرين لحقل العلاقات الدولية كون قيام علم العلاقات الدولية على ثنائية حرب / سلم لم يأت اعتباطا و إنما جاء تأكيدا على أن حالة استقرار النظام لا تحدد إلا بقربها أو بعدها عن براثين الحرب و قد بدأ التنظير الأكاديمي لهذا المجال الحساس غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى و الذي استمر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية أين ظهرت ميكانيزمات جديدة أكثر تطورا و إلماما عن ذي قبل رغم انها كانت تعبر عن واقع دولي معين إلا أن هذا لا يعني قصورها في فهم العملية الصراعية بين الدول و قد كانت المقاربة الواقعية من بين أهم التي تناولت الظاهرة الصراعية و فسرتها انطلاقا من معطيات تلك الفترة معتمدة على بعض الآليات التي صارت غير مقبولة نوعا ما لفترة ما بعد الحرب الباردة و لا غرابة أن نجد أن الحرب نفسها كانت وسيلة و غاية في ذات الوقت للحد من ظاهرة الصراعات في العلاقات الدولية ولإحداث الاستقرار في النظام الدولي وهو تأكيد على ان المنظور الواقعي يميل إلى التصارع أكثر من ميله إلى التعاون، ورغم الانتقادات اللاذعة التي تعرضت لها الواقعية الكلاسيكية- حيث لا يوجد نظرية تعرضت إلى هذا الكم من النقد كالذي تعرضت له الواقعية – فإن ذلك أعطى لها دفعا للاستمرار في طبعة تنقيحية جديدة سميت بالواقعية الجديدة و هي النظرية التي أبدت تعارضا و قطيعة لبعض للمسلمات الكلاسيكية تارة و تأييدا لبعضها الآخر تارة أخرى .

يعتبر هانس مورغنثو Hans J Margenthau المؤسس للواقعية البنيوية الأولى و التي تقوم على الطبيعة البشرية و اعتبارها البنية الحاسمة التي تقع في إطار التاريخ و لا يمكن تجاوزها و يأتي تسمية واقعية هانس لتفرقتها عن الواقعية البنيوية الثانية ل (والتز) التي تعزو سبب الصراع إلى التركيب الفوضوي للنظام العالمي الذي يحول الدول دون الدخول في اتفاقيات تعاونية و هكذا حسب Butterfield فإنه يمكن أن يدفع تركيب النظام الدولي نحو الحرب حتى و لو لم يكن زعماء هذه الدول يرغبون في السلام و هو بذلك يؤكد على حتمية الصراع الأبدي في العلاقات الدولية .[60]

و العناصر الأساسية للواقعية سواء التقليدية منها أو الجديدة ترتكز على **الدولة** كفاعل رئيسي ، و ضمان **البقاء** كأولوية قصوى لزعماء الدولة أما المبدأ الثالث **العون الذاتي** (الاعتماد على النفس) في ظل نظام فوضوي و غياب حكومة عالمية و هذه العناصر الثلاثة تشكل زوايا المثلث "الواقعي " [61][في انعدام الأمن لا يمكن ان تكون هناك فن و لا ثقافة و لا مجتمع و هذه المظاهر الأرقى جميعا من مظاهر الحياة الاجتماعية تأتي في مرتبة ثانوية من حيث الأهمية] و هو ما يمثله الرسم الآتي :

---

[60] – بيليس (جون) و سميث (ستيف)،**عولمة السياسة العالمية**، (ترجمة و نشر مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى 2004)،ص 235 .

[61] – نفس المرجع السابق ص 228 .

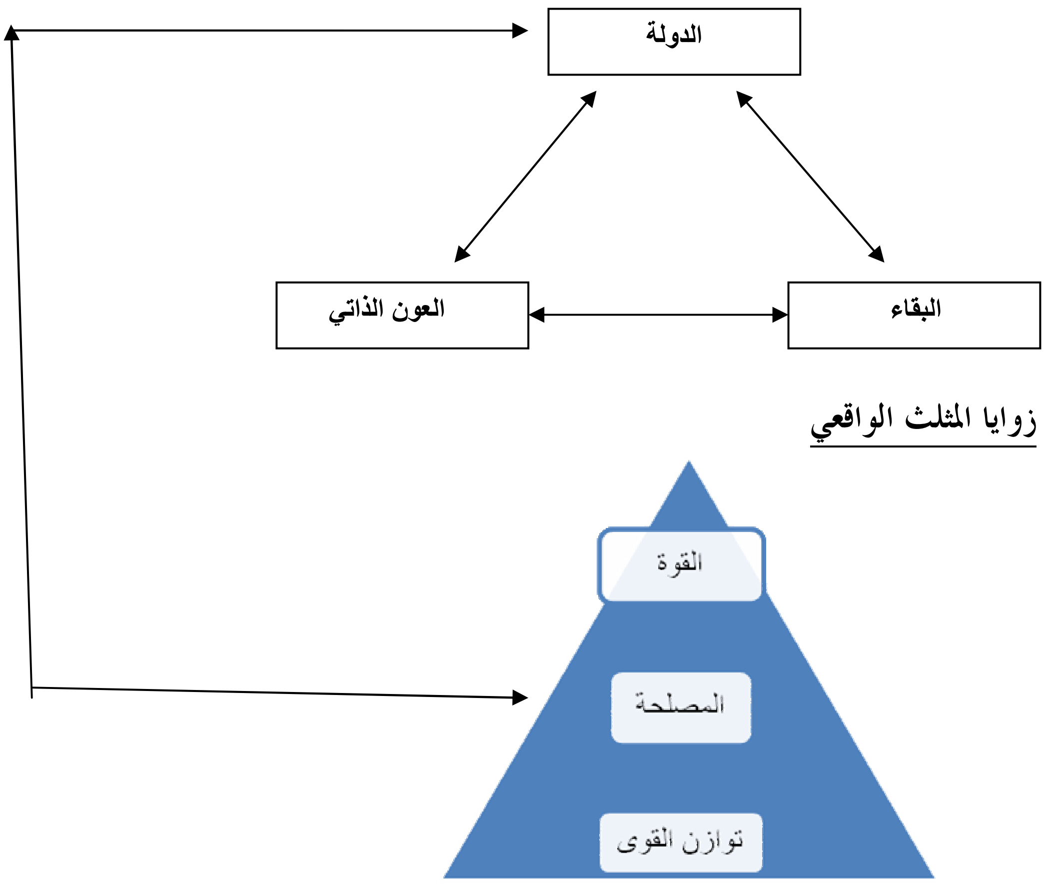

الثالوث المفاهيمي للواقعية (**مخطط من تصميم الباحثة**)

تعد تلك العناصر المنطلقات الأولى التي قام الواقعيين بتشكيل البناء النظري للواقعية السياسية و التي لا يمكن فهم هذا البناء دون المرور بها،و رغم ذلك فإن البناء النظري للواقعية عموما سيكون ناقصا إذا ما تم اغفال إلى الثالوث المفهوماتي " الذي يعتمد على مفاهيم مترابطة تتمثل في مفهوم القوة و المصلحة الوطنية و مفهوم توازن القوى و لا يمكن بأي حال من الأحوال تحقيق أحدها دون تحقيق الآخر و هذا الترابط سر بقاء و اعتماد الدولة على ذاتها . أيضا التحولات الجذرية التي مست حقل العلاقات الدولية غداة إنتهاء الحرب الباردة –بكل مستوياته و عملياته – التي انعكست هي الأخرى على حقل التنظير الأكاديمي حيث لم تسلم منها الواقعية كنظرية لها وزن و تاريخ ،و هو ما سوف نتبينه في هذا المبحث الذي يضم في طياته الآتي :

الفصل الأول

مطلب الأول : التفسير الكلاسيكي الواقعي للحروب و الصراعات (مورغثو)

تعتبر النظرية الواقعية نفسها أكثر النظريات اتصالا بالواقع الدولي و تعبيرا عن أوضاعه، فالواقعية كنظرية سياسية تهدف إلى دراسة عامل القوة و الحروب و الصراعات في فهم سلوكيات الدول كعوامل مؤثرة في علاقاتها عضها البعض. و إن كانت النظرية الواقعية الكلاسيكية تنطلق من الطبيعة الشريرة : إذ يرجع Morgenthau[62] أسباب السلوك الصراعي لدى الدول إلى الطبيعة البشرية المظلمة التي تحكمها غريزة القوة وحب السيطرة والهيمنة، حيث تزداد هذه الطبيعة العدوانية عندما تنتقل من مستوى الفرد إلى مستوى الدولة، نتيجة لقدرة هذه الأخيرة على تعبئة واستعمال إمكانياتها المادية لإيذاء الدول الأخرى؛ وهناك حجة أخرى يوردها Morgenthau لدعم موقفه، وهي كون الشر لدى الإنسان و الدولة" يتعذر استئصاله"[63]. يرى Morgenthau أن القوى [الشريرة] المتأصلة في الطبيعة البشرية هي التي تفضي إلى نشوب الصراعات الدولية، وأن المصالح المتعارضة للأفراد/للدول تجعل من العالم مكانا غير مناسب لتجسيد المبادئ الأخلاقية، ومن ثم فإن الوسيلة الأكثر فعالية لتفادي الحروب وأعمال العدوان هو تشكيل ميزان القوى، الذي يثبط الدول عن اللجوء إلى محاربة بعضها البعض وبالتالي يحافظ على استقرار النظام الدولي[64].

و هو ما تمت الاشارة له في كتاب " الأمير" لــميكيافيلي الذي ينصح الحاكم بجعل القوة و الحالة الأمنية فوق كل اعتبار كما أكد حاجة الحاكم لتبني مقاييس أخلاقية تختلف عن تلك التي تبناها الفرد العادي و ذلك لضمان أمن الدولة و بقائها، كما أن اهتمامه بالقوة و اعتقاده بأن السياسة هي تصارع على المصالح ثم تشاؤمه تجاه الطبيعة البشرية ... كل هذه الأمور جعلته يحتل مكانة بين الواقعين[65].

ويشير Cris Brown – أثناء تناوله للصور (حسب تعبير Waltz) التي يمكن من خلالها تفسير أسباب الحرب – إلى أن الطبيعة البشرية المظلمة كسبب للحروب عادة ما يتم وضعها في أطر دينية أو سيكولوجية. إذ يتم المحاججة بأن البشر مخلوقات خاطئة طردت من "الجنة" وتميل بطبعها إلى العنف، وتسيطر عليها الرغبة في الموت، وبأن

1- [62]- يعتبر Morgenthau من أبرز مؤسسي الواقعية التي قوبلت برواج و انتشار منقطع النظير فلهذا المصطلح جذور تاريخية تصل إلى السنوات 400 ق.م عند كل من **Theyocydes** (160-400) ق م مرورا بــ **كوتيليا** (312-296) ق م، و من بعده **مكيافيللي** (1469-1527) ثم **هوبز** (1588-1579) وصولا إلى **كلاوزوفيتش**(1780-1831). للمزيد من التفاصيل أنظر عبيد الله مصباح (زايد) ،**السياسة الدولية بين النظرية و الممارسة**،(دار الرواد،ليبيا،الطبعة الأولى2002) ص 35 و أيضا منذر (محمد)، **مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة**،(بيروت ،المؤسسة الجامعية مجد للدراسات والنشر و التوزيع ،الطبعة الأولى ، السنة 2002) ص 33.

[63] – مصباح (عامر)، **الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006)، ص 206.

[64] -Nuruzzaman (Mohammed), **Paradigms in Conflict: The Contested Claims of Human Security, Critical Theory and Feminism;** Journal of the Nordic International Studies Association, Vol. 41(3): 285–303. Copyright ©2006 NISA www.ps.au.dk/NISA. Sage Publications www.sagepublications.com, p 287.

[65] – للتعمق حول المفكرين الاوائل للواقعية الكلاسيكية أنظر :داورتي(جيمس) ، بالستغراف (روبرت)،**النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، ترجمة عبد الحي (وليد),(بيروت ، مكتبة شركة كاظمة للنشر و الترجمة و التوزيع) – (الكويت المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى السنة 1985) .

البشر هم المخلوقات الوحيدة التي تقتل أبناء جنسها ولا تمتلك رادعا يمنعها من إبادة بعضها البعض[66].

ويذهب Jack Donnelly إلى أن التركيز على الطبيعة البشرية الثابتة عند Morgenthau يجعل من واقعيته واقعية "بيولوجية" أكثر منها واقعية "كلاسيكية"[67] لأن الاهتمام بالطبيعة البشرية المنغرسة في جوهر الإنسان هو تفسير بيولوجي في الأساس لظاهرة الحرب. ويعود هذا الربط إلى الكاتب الألماني Neibuher الذي يرى أن المصدر الجوهري للصراعات الاجتماعية توجد في جهل وأنانية الناس. ومن ثم فإن الطبيعة البشرية الشريرة تتسبب في حرب الجميع ضد الجميع – بتعبير Hobbes – في سبيل البحث اللامحدود عن المصالح.

الواقعيون الكلاسيكيون خاصة ينطلقون من مسلمة الطبيعة الشريرة للأفراد الذين يسعون إلى امتلاك القوة و فرض الهيمنة و أن إمكانية استئصال هذه الغريزة لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع و هذه الطبيعة الشريرة تنتقل من الفرد إلى الدولة حيث اعتبر **مورغانثو** أن المحرك الأساسي للعلاقات الدبلوماسية هي تلك الأضرار و النوايا الموجودة في الطبيعة البشرية الشريرة و أن هذه الأخيرة صعبة التحليل. و عليه فالتفسير الواقعي الكلاسيكي يبدأ و ينتهي عن الطبيعة البشرية الشرية فماذا لو تغيرت تلك المسلمة الى أخرى تنطلق من الفوضى التي تعتري النظام الدولي و هو ما يتم التعرض له في المطلب الثاني .

المطلب الثاني : التفسير الواقعي الجديد (كنيث والتز):

لقد أمضى **كنيت والتز** جزءا كبيرا من حياته العلمية في محاولة تطوير النظرية الواقعية و كان مؤلفه الشهير **"الإنسان – الدولة – الحرب"** موضع خلاف إذ أثار أسئلة إضافية لم تكن الواقعية التقليدية قد عنيت بها. فبخلاف الواقعية الكلاسيكية **لهانس مورغانثو** الذي يعتمد على مقولة أن الدول مثلها مثل البشر تملك رغبة فطرية للسيطرة على الآخرين و هو ما يقودها نحو التصادم و الحروب فإن واقعية **كنيت والتز** تغفل الطبيعة البشرية و تركز على تأثير النظام الدولي فالنسبة له، النظام الدولي يتشكل من مجموع القوى الكبرى كل منها تسعى للحفاظ على وجودها، فهذا النظام الفوضوي " بمعنى انتفاء وجود سلطة مركزية تحمي كل دولة من الأخرى" في ظله نجد أن كل لا تهتم إلا بمصالحها غير أن الدول الصغرى أو الضعيفة تسعى لإيجاد نوع من التوازن بدلا من الدخول في صراع مع الأقوياء[68]. وقد قدم Waltz محاولة جادة لتنقيح الواقعية الكلاسيكية، غير أنه بقي يسلم بالنظرة الهوبزية للنظام الدولي، حيث يفترض أن الحالة الطبيعية في العلاقات بين الدول هي حالة الحرب[69]:

---

[66]- براون (كريس)، **فهم العلاقات الدولية**، (دبي ،مركز الخليج للأبحاث الطبعة الأولى، 2004) ص 127-128 .

[67] -مصباح (عامر)، **الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية** ، مرجع سابق الذكر، ص 241-242.

[68] - يوسف حتي (ناصيف)،**النظرية في العلاقات الدولية** ،(بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، السنة 1985) ص 62 .

[69]-Dougherty (James E.) & Pfaltzgraff (Robert L.), **Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey** (New York: Longman, Fifth Edition, 2001), p85.

" Among states, the state of nature is a state of war "، وأن حالة الفوضى في بنية النظام الدولي تؤدي إلى خلق ما أسماه بمعضلة اللاأمن insecurity dilemma وتدفع الدول إلى القلق بشأن أمنها[70].

و قد عمل Waltz رفقة غيره من الواقعيين الجدد على وضع النظرية الواقعية على سكة الدراسات الاجتماعية الوضعية – التجريبية، وذلك بنقل الاهتمام الواقعي من الطبيعة البشرية المظلمة (كتفسير لنشوب للصراعات الدولية) إلى دور البنية الفوضوية للنظام الدولي في وضع الدول أمام معضلة اللأمن، مما يضعها في حالة الاستعداد الدائم لخوض الحروب حفاظا على أمنها. و عليه يستند الإفتراض الواقعي و الواقعي الجديد على أن الحرب حالة أبدية و حتمية إلى مقاربة المعضلة الامنية أو ما يعرف بالمأزق الأمني الذي يتعرض له الدول باستمرار ما دام هناك تفاعل و احتكاك بينهم و المعضلة الأمنية مفهوم بنيوي يرتبط بالبنية الفوضوية للنظام الدولي و خاصية المساعدة الذاتية للحفاظ على الأمن القومي، ففي ظل الفوضى وغياب سلطة عالمية تكفل لها أمنها تسعى كل دولة إلى الحفاظ على أمنها الخاص معتمدة في ذلك على نفسها و قدراتها الذاتية و هو ما يخلق نوعا من الشك و الريبة لدى الدول الأخرى عما إذا كانت هذه الاستعدادات دفاعية أو هجومية مما يجعلها تلجأ هي الأخرى إلى تبني نفس الإستراتيجية الأمنية و هو ما يؤدي إلى معضلة أمنية.[71]

❖ مفهوم المعضلة الأمنية :

لفهم و تحديد معمق لمفهوم المعضلة الأمنية يجب التطرق إلى المفهوم المعاكس و هو مفهوم الأمن حيث اعتبره Arlond Wolferمن جانبه الموضوعي هو "غياب تهديد اتجاه قيم مكتسبة" أما الذاتي فهو" غياب الخوف".

و عليه فان المعضلة الأمنية تعني عموما وجود تهديد اتجاه قيم مكتسبة و اقترانه بالمخاوف و مشاعر الريبة و الشك ضد الآخر ، و الشعور باللأمن يولد مزيدا من الشعور باللأمن حتى و إن كانت نوايا الطرف حسنة فانه سيبقى هناك للآخر تخوف دائم يؤدي إلى المأساة و هو ما يعتبره Butterfield أيضا كمأساة من الصعب التغلب و التخلص منها.[72] و بعبارات بسيطة المعضلة الأمنية حسب (Posen , Jervis , Herz) هي "*أين يكون فعل*

---

70 -Nuruzzaman (Mohammed), **Paradigms in Conflict**: **The Contested Claims of Human Security**, **Critical Theory and Feminism** Op., Cit, P 288

71 – الشائع هو مصطلح المأزق الأمني الذي كثيرا ما برز في أدبيات الاتجاه الواقعي سواء التقليدي منه أو الجديد حيث ترجع مكوناته إلى هوبز و ظهرت كمفهوم في العلاقات الدولية على يد John Herz كتابه " Idialist International And Security Delimma " في 1950 مما أدى إلى تطور هذا المفهوم و تناوله في أدبيات الدراسات الأمنية لمختلف منظورات العلاقات الدولية و أصبح بعد ذلك يتعدى الطرح الواقـــــعي لمختلف توجهاته .

كما و أن الحالة التي فسرتها المعضلة الأمنية معترف بها منذ زمن طويل Thucydides كتب في ذلك الوقت عن الحروب البلوبونوزية peloponnesian wars انه " النمو القوي للقوة الاثينية أثار الرعب لدى lacedaemonians ووضعها في إطار ضرورة محاربة لذلك اعتبر إن المعضلة الأمنية كانت وراء كل الصراعات بين الدول وادعى Alan Collins إن معضلة الأمن كانت في القرن التاسع عشر في شكل المنافسة الاستعمارية بين الدول الأوروبية التي تتنافس على السلطة والنفوذ. ظهرت معضلة الأمن في القرن العشرين كحلقة كانت أكثر تطورا حيث وضعت إطارا لفهم ديناميات العمل في الحرب الباردة بين المعسكرين.

يمكن الاسترسال في المعضلة الأمنية في كتاب جون بيليس و ستيف سميث ،"**عولمة السياسة العالمية** "ص 418 .

72 – بن عنتر (عبد النور): "**البعد المتوسطي للامن الجزائري الجزائر اوروبا والحلف الاطلسي**"،(المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع 2005).ص 13.

و حسب (Wheeler & Booth) مفهوم المعضلة الأمنية يمكن إن تقسم أساسا إلى مرحلتين :

أو إجراء تتخذه دولة ما ، في محاولة لزيادة أمنها يتسبب في رد فعل دولة ثانية ، الذي في النهاية ، يخفض الأمن الخاص بالدولة الأولى " . [73]

1- المعضلة الأمنية بين الدول Interstate Security Dilemma

إن للصراعات الدولية سمات مشتركة الأمر الذي يتيح خلف قواعد عامة و أساليب راسخة ومشتركة للتعامل معها خاصة مع شعور كل دولة من الدول باللأمن اتجاه الدولة الأخرى و هو ما يخلق المعضلة الأمنية الدولية و ذلك بتصرفها العسكري لجعل نفسها أكثر أمنا و هذا ما تجده الأخرى تهديدا لأمنها و يؤدي إلى تصعيد التوتر و وصوله إلى مرحلة متطورة.[74]

من وجهة نظر أكاديمية احتل مفهوم المعضلة الأمنية في النموذج الواقعي مركزا بالغ الأهمية حيث تعود المعضلة الأمنية في المنظور الواقعي إلى حالة الفوضى التي يتسم بها النظام الدولي ، حيث تجد الدول نفسها من خلال سعي الدول إلى زيادة أمنها الخاص من خلال إتباع سياسات تعزيز قدراتها العسكرية تجعل من الدول الأخرى تخلق شعور بكونهم اقل أمنا و هو ما يخلق حلقة مفرغة أو حالة لولبية من الأمن و عدم الشعور بالأمان لا يوجد لها حل دائم . و قد جاء الإسهام الأكثر ابتكار لفكرة معضلة الأمن منذ استهلاكه من لدن Robert Jervis في كتابه عن الإدراك و الإدراك الخاطئ Perception And Misperception في 1976. ثم في مقاله عن "**السياسة العالمية** " و يحلل المقال المأزق الأمني من منطلق نظرية الألعاب لاسيما "معضلة السجين" التي تتراوح فيها استراتيجيـــات اللاعبين بين الصراع و التعاون .

يمكن تصنيف Robert Jervis ضمن رواد الاتجاه الدفاعي وبينهم جورج كوستر، ستيفن فان ايفيرا أما بالنسبة للاتجاه الهجومي والذي يمثله John Mearsheimer احد أهم منظري المعضلة الأمنية يقول" ***أن الدول في ظل الفوضى المميزة للنظام الدولي – في ظل غياب حكومة عالمية–و استحالة تيقن دولة من نوايا الدول الأخرى فإن البقاء هو الهدف الأسمى للدول الكبرى و هو الذي يهيمن على الدوافع الأخرى كافة و هو ما يعني أسبقية الأمن***

أولا : "التفسير" في سياق المرحلة الأولى، معضلة الأمن تحدث عندما تخلق الاستعدادات العسكرية لدولة ما حالة شك في عقل الدولة الآخرى بشأن ما إذا كانت هذه الإعمال هي لأغراض دفاعية فقط(لتعزيز أمنها) ، أو ما إذا كانت لأغراض هجوميه (لتهديد أمن آخر) . لذلك في بعض الحالات قد تجد الدول صعوبة في تحديد ما إذا كانت الاستعدادات العسكرية للآخر هجومية أو دفاعية (Jervis)

وثانيا ، "استجابة" في المرحلة الثانية من معضلة الأمن يأتي دور استجابة وببساطة نظرا لحقيقة كوني غير متأكد من الاستعدادات العسكرية الخاصة بك ،كيف ينبغي لي أن أستجيب أو كيف يتم الرد؟

73 – www.ciaonet.org/wps/rop01/#12 Roe (Paul)," **The Societal Security Dilemma**",

74– Gilgrist (James) :" **The Security Dilemma and South Asian nuclear relation India–Pakista** " www.e-ir.info/?p=276&article2pdf

خاصة مع سعى الدول إلى التوسع الذي يهدد الدول الأخرى يخلق ثلاث أنماط للسلوك [75] و هي الخوف ، الاعتماد على الذات و الهيمنة:

الخوف: تخوف الدول الكبرى من بعضها الذي يخلق الشك وانعدام الثقة المتبادلة هذا الخوف يتفاوت بحسب المكان و الزمان لكنه لا يختفي على اعتبار أن دول ترى في غيرها من الدول أعداء محملين وهو ما يخلف المآزق إضافة إلى الاعتماد على النفس في ظل غياب سلطة عالمية تلجأ إليها الدولة المهددة حتى تعينها تضطر الدول للاعتماد على نفسها أو على إتفاق مصلحتها مع مصلحة طرف ثالث،و تأتي الأحلاف ضمن الوسائل المعروفة لتعزيز الأمن لكنها غير دائمة حيث أن الأنانية مطلوبة و مفيدة في عالم الاعتماد على النفس سواء على المدى القصير أو البعيد في ظل إمكانية تحول الصديق أو المنافس إلى عدو على اعتبار ان شعار الواقعية حسب Diz Ratily: ***"لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة وإنما مصالح دائمة"*** ففي حال تحول أو تغير في المصلحة تستطيع الدولة **الاعتماد على ذاتها** – و هو النمط الثاني –مع تعظيم قوتها للوصول إلى **الهيمنة** – النمط الثالث – وهذا ما عكسته وجهة نظر كتابه " The Trajedy Of Great Power Politics" **"تراجيديا سياسية القوى العظمى"** حيث تدرك القوى العظمى أن افصل طريق لضمان الأمن هي إتمام الهيمنة لأن الهيمنة هي الطريق الوحيد لتحقيق الأمن ذلك لأن الدولة المهيمنة لا تستطيع أي دولة شن الحرب عليها وهو ما يؤدي إلى الاستقرار(نظرية الاستقرار بالهيمنة). لذلك ظلت الهيمنة أمنية الجميع حيث تعد الوضعية المثلى التي تتمنى كل دولة الوصول إليها و هو ما يؤكد الفرضية الأساسية للواقعيين الهجوميين أن نوايا الدول الكبرى عدوانية بالضرورة[76] . و على اعتبار ان الخوف ، الاعتماد على الذات، الهيمنة من أهم مسببات المعضلة الأمنية فإن هذه الاخيرة –المعضلة – تخلق مشكلة مزمنة للقوى الكبرى في استمرارها اللانهائي، كما تشكل كارثة للدول الصغيرة لذلك اعتبرت كمأساة a trajedy .

في المقابل يرى التيار الواقعي الهجومي أن المعضلة الأمنية بين الدول تنشأ عندما تهدف كل دولة لتنمية نصيبها من القوة العالمية على حساب الدول الأخرى ، أما الدول الكبرى فتتجاوز ذلك ساعية إلى أن تكون القوة الأولى بل المهيمنة في النظام الدولي و بطبيعة الحال لا تسعى أية دولة إلى تثبيت التوازن ما لم تكن في وضع قوة مهيمنة لذلك كل سياسات القوى الكبرى تهدف دائما إلى الهيمنة لا التوازن وهي بالتالي ذات طبيعة هجومية مما يقلل آمال السلام لأن الدول الكبرى التي تشكل النظام الدولي تخشى كل منها الأخرى مما يترتب عليه وضع مأساوي لا مهرب منه ما لم تتفق الدول العظمى على تشكيل الحكومة العالمية و ما دام هذا مستحيل التحقيق فإن العالم سيبقى محكوما بقاعدة"الصراع و الحرب الأبديين" وهو ما يؤكد استعصاء حل هذه المعضلة و إنما التخفيف منها فقط، و بما أن الدولة ما هي إلا صندوق اسود لا يهم ما يوجد داخلها فإن معظم الصراعات تكون بين الدول.

❖ مفهوم سيناريو الحالة الأسوأ worst-case scenario

[75] – . Mearsheimer(John):**The Tragedy of Great Power Politics**;pdf; Survival, Volume 44, Issue 3 January 2002 , p 150 – 151

[76] – Ibid .

تفترض وجهة نظر الواقعيون الجدد فيما يتعلق بمقاربة المأزق الأمني حول الادعاء بأن الفوضى والمساعدة الذاتية تدفع الدول إلى توقع أسوأ السيناريوهات. و هو ما دفع Posen إلى القول ***"انه على الرغم من أن الدول يمكن ان تدرك جيدا عواقب أفعالهم (تخفيض أمن الآخرين) الا ان طبيعة وضعهم يحملهم على اتخاذ الخطوات التي تفعل ، فتوقع أسوأ السيناريوهات قد لا يقوم إلا على ما لا يجوز للآخر أن يفعله الآن ، وإنما أيضا على ما يمكن القيام به في مرات قادمة لذلك يجب تأكيد الأمن في المستقبل عن طريق بناء و تعزيز الأسلحة الخاصة بنا "*** .[77]

لقيت النظرية الواقعية في تحليلها لهذا المفهوم خاصة على مستوى الدول المناصرة و التأكيد، لأن معظم تحاليلها و تفسيراتها كانت مطابقة لما يحدث في الحرب الباردة بين الدولتين العظمتين، إلا انه و بعد الحرب الباردة و تفكك الإتحاد السوفياتي و يوغوسلافيا برز نوع من الصراعات الداخلية - الذي يصعب التحكم فيه - نتيجة انهيار تلك الأنظمة مع تغير الأوضاع الدولية و حتى الأكاديمية خاصة مع هيمنة المقاربة البنائية و نقدها المستمر للمنظور الواقعي في ظل الفشل الكبير الذي مس مصداقية معظم مسلمات المقاربة الواقعية من جهة و طرحها البديل المقنع و المبرر كون – حسب قولها – أن الطرح الواقعي أصبح ناقص يتعداه الزمن ، كل ذلك أعطى دفعة فكرية للتيار الواقعي المتجدد و الذي حاول إحداث نوع من التكييف و التحول يتلائم و التغيرات التي فرضتها حقبة ما بعد الحرب الباردة و هو ما مهد إلى ظهور المعضلة الأمنية داخل الدول و المترجمة في مقاربة Barry R Posen

2-المعضلة الامنية داخل الدول: Intrastate Security Dilemma

ضمن مجال العلاقات الدولية أخذ التفسير الواقعي الجديد الجزء الأكبر من الاهتمام ، حيث حافظت هذه المقاربة على التمييز بين عمليات محددة في مستوى العلاقات بين الدول وعمليات في مستوى داخل الدولة كما تحفظت على ما يحدث داخلها ، وبالنظر إلى كون هذين مستويين متميزين ،يؤكد الواقعيون الجدد أن ما يهم فعلا في العلاقات الدولية هو العلاقات بين الدول ذلك أن العلاقات داخل الدول ليس لها إلا دورا هامشيا على مسرح الأحداث في السياسة الدولية وفي ضوء ذلك كان ربما من المستغرب أن نعلم أنه في الآونة الأخيرة (وخصوصا الأحداث في وسط وشرق أوروبا في 1989) بدأت واقعية الجديدة تدفع أكثر من أي وقت مضى إلى مزيد من الاهتمام بالعلاقات بين الجماعات الاثنيه والقومية ؛ على وجه الخصوص تهتم لحالات الصراع العرقي[78] .ربما كان ذلك استجابة للالحاح المتزايد حول تكيف الاتجاه الواقعي في ظل التحول الذي طرأ على مجال الصراعات الدولية.و في هذا الإطار يعتبر Barry R Posen من أهم المنظرين في الواقعية الجديدة الذين اهتموا بمفهوم المعضلة الأمنية و ذلك من خلال إعادة صياغتها من مستوى التحليل الدولي إلى مستوى تحليل وطني (داخلي)

---

[77] - Posen R (Barry) : **The Security Dilemma and Ethnic Conflict pdf** survival 35 pp 27-47 spring 1993 p 28-29.

[78] - Roe (Paul))," **The Societal Security Dilemma**" Op ; Cit .

from the inter-state level to the intra-state level or inter- ethnic level من خلال مقالته المشهورة " The Security Dilemma And Ethnic Conflict" في 1993 . و التي تطرق فيها الى دراسة حالة الصراع الاثني بين المجموعات الموجودة في يوغوسلافيا .[79] فمع نهاية الحرب الباردة شهد العالم مرحلة جديدة من العنف السياسي التي تستند إلى معطيين أساسيين هما بروز الدعاوى القومية و الأمنية وقد غير هذا التحول من مفاهيم الأمن الدولي وبالتالي المعضلة الأمنية من الانتقال مستوى التحليل من الدولة إلى مستوى الجماعة والفرد

إذا انتقلنا من الإطار العام لمعضلة الأمن يمكن ملاحظة أن الحروب الأهلية وحروب الأقليات قد مثلت احد أهم ملامح البيئة الدولية منذ أكثر من قرن من الزمن حيث انتعشت غداة الحرب العالمية الأولى ثم ما لبثت أن اختفت و تم احتوائها من طرف القطبين الشرقي والغربي لذلك ففكرة المعضلة الأمنية داخل الدول سادت بشكل متزايد بعد نهاية الحرب الباردة حيث تصاعد العنف داخل الدولة إلى حد كبير خاصة فيما بين الجماعات العرقية . و كانت النتيجة من انهيار النظام حصول- الفوضى الناشئة " emerging anarchy " [80] [بمعنى عدم وجود سيادة] مما جعل الطرح الواقعي يعود إلى الاستعمال و هو ما اعتمده Posen في مقاربته ،حيث بدا واضحا أن دولة لم تعد تحتفظ بتلك القدرة على سيادتها بعد أن بدأت هذه السيادة تتآكل مع كثافة التفاعل بين ما هو خارجي و ما هو داخلي في ظل التغيرات العالمية الراهنة وتحت تجليات آليات العولمة التي أخذت تنتقص من سيادة الدول كما أسهمت في تدويل القضايا الإثنية،و أسهمت في احياء مشكلة القوميات و دفع ببعض الجماعات في العديد من الدول إلى التشبث بانتماءاتها الأولية القائمة على أسس عرقية و قومية و قبلية و دينية حفاظا على هويتها الخاصة و هو ما أدى إلى تفكك بعض الدول و تعرض أخرى إلى التفكك .

أما فيما يتعلق بمقاربة Posen فإن ما يجعلها نيو واقعية في جوهرها، حسب Josef Lapid & Friedrich Kratochwil، هو أنها تستند إلى الطرح الدولتي للنظرية الواقعية في تحليل المستوى بين الإثني/داخل الدولة inter-ethnic/intra-state، فهي تقترح بقوة أن كل الوحدات في وضع فوضي (سواء كانت عبارة عن أفراد، دول-مدن city-states، أمم، أو دول) يمكن التوقع أنها تتصرف وفقا لنفس المنطق النيو واقعي. بصيغة أخرى، في وضع الفوضى الناشئة، تتصرف كل المجموعات على المستوى الداخلي للدولة بنفس الطريقة التي تتصرف بها الدول على مستوى النظام الدولي.

---

[79] - Ibid.

[80]- وفقا باري بوزان ففي الفوضى الناشئة ،المجموعات تتبع ثلاث أسئلة فيما يتعلق بالقوة النسبية لعلاقات الجماعات المجاورة و هي :

1- هل هناك تهديد؟ كم من تهديد؟
2- هل التهديد ينمو أو يقل بمرور الوقت ؟
3- هل هناك شيء يجب فعله فوريا ؟

و حسب Posen فإن الجواب هو الذي يحدد احتمالات الحرب لأنها تكشف نوافذ الضعف و الفرص للجماعة .

و قد اعتمدPosen في محاولة تطبيقه لمفهوم المعضلة الأمنية داخل الدولة على نوع من المحاكاة حول فرضية فوضى النظام الدولي تنسحب إلى داخل الدول التي تعيش حرب أثنية ، و قد ربط التصعيد الإثني بظاهرة الدول العاجزة أو الآيلة للانهيار حيث تتأكد بعض الجماعات الاثنية الموجودة فيها أن الحكومة عاجزة عن حماية الجميع فتعمل هذه المجموعات في ظل الفوضى الناشئة على حماية أمنها و الدفاع عنه في وجه التهديدات التي تستهدف بقاءهم و استمرارهم و في ظل مأزق [81] ، هكذا فإن محاولة أية مجموعة أثنية تعزيز أمنها يفسر من قبل المجموعات الأخرى على أنها خطوة عدائية اتجاه التصعيد و هو ما حدث في الإقليم السوفيتي بعد انهياره حيث أن الجماعات الاثنية كانت تنظر إلى السلطة كحامي لها ثم وجدوا أنفسهم دون حماية بعد انهيار النظام مما أدى بها إلى اتخاذ أشكال تنظيمية تتمثل في الجماعة الإثنية و مثل هذه الحركية لدى باري بوزان تزيد من فرص التعبئة لأغراض غير دفاعية و تقوي احتمالات الحرب الوقائية حيث تشن مجموعات إثنية هجوم بغية حماية بعض الجيوب التي يقطنها أفراد من نفس الإثنية و ذلك بذريعة الدفاع عنها قبل أن يقوم الخصم بتصفيتها و هو ما يؤدي إلى الحرب الشاملة و هو ما أبرزته تجربة ما بعد الحرب الباردة خاصة في البوسنة. [82] فالأخطار التي تهدد أمن المجتمع يمكن أن تحدث عندما تشعر المجتمعات أن ما يجري حاليا يضع هويتهم 'نحن' في خطر. حيث تلك الوسائل التي يمكن أن تهدد هوية المجتمع قد تتراوح من قمع التعبير عنها إلى التدخل في قدرته على إنتاج نفسه. ووفقا لـBuzan ، ويمكن أن يشمل ذلك 'تحريم استخدام اللغة ، والأسماء واللباس ، من خلال إغلاق أماكن العبادة والتعليم ، إلى إبعاد أو قتل أفراد من المجتمع وان التهديدات الموجهة إلى إنتاج المجتمع يمكن أن تحدث من خلال ' تطبيق المستدام للتدابير القمعية التي تتخذها ضد التعبير عن هوية. إذا كانت المؤسسات التي تنتج اللغة والثقافة يحظر عملها مما يجعل الهوية لا تنتقل بصورة فعالة من جيل إلى جيل ، فان بعض الأخطار التي تهدد امن المجتمع قد تكون عسـكرية(قتل أعضاء من الجماعة ، وفتح الإقليم التاريخي) ولكن ، بعض التهديدات يمكن أيضا أن تكون غير العسكرية (إنكار الحقوق اللغوية ، وحرية العبادة). القول بأن انعدام الأمن المجتمعي بين الاقليات العرقية والقومية والدينية ، قد أصبح أكثر وأكثر أهمية منه فيما يتعلق مدى سيادة الدول في أوروبا المعاصرة.[83]

المطلب الثالث : تقييم المنظور الواقعي و تفسيره للصراعات

مما سبق يمكن أن نخلص إلى أن الواقعية الكلاسيكية انحصر اهتمامها في المستوى الأول، بتركيزها على الطبيعة البشرية العدوانية/حالة الفطرة عند Hobbes كعامل محرك للصراعات الدولية؛ في الوقت الذي انحصرت فيه الواقعية الجديدة/البنيوية (Waltz) في المستوى الثالث، من خلال التركيز على البنية الفوضوية للنظام الدولي كمسبب

---

[81] - Roe (Paul))," **The Societal Security Dilemma**" Op ; Cit .

[82] - زقاغ(عادل):**تدخل الطرف الثالث في النزاعات الإثنية** ، www.geocities.com/adelzeggagh/IRapproches-Intevention

[83]- منذر (محمد) ، **مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة**، (بيروت ،المؤسسة الجامعية مجد للدراسات والنشر و التوزيع،الطبعة الأولى ، السنة 2002)ص 47.

رئيسي للصراعات. وبذلك أصبحت أكثر اهتماما بدراسة بنية النظام الدولي القائم على مفهومي الفوضى والاعتماد الذاتي بدل الإغراق في توصيف الطبيعة البشرية المظلمة ودورها في توجيه ميل الدول نحو خوض الحروب وتسوية الصراعات بالطرق المسلحة العنيفة؛[84]

خلاصة هذه المناظرة، أنه في الوقت الذي رجح فيه Waltz أن للبنية الفوضوية للنظام الدولي دورا حاسما في تفسير السلوك الدولي، فقد سعى Buzan, Jones & Little إلى إيجاد ربط بين مستوى تحليل بنية الوحدة الدولية ومستوى تحليل النظام الدولي. حيث خلصوا إلى أن طبيعة قدرات الوحدة الدولية وطريقة استخدامها تؤثر على بنية النظام الدولي في حد ذاته[85].

بالنسبة للفوضى، يبدو أن حجج النظرية البنائية constructivism حديثا أكثر إقناعا وأكثر قبولا، وتمنحنا قدرا متزايدا من الانعتاق anticipation لفهم كيف أن الفوضى هي من صنع الدول، وليست معطى سابقا غير قابل للتغيير كما تدعي الواقعية. هنا يصبح عمل1992 Alexander Wendt :

Anarchy is What States Make of it بمثابة الصوت الذي يفضح التعميمات الواقعية بشأن معضلة الفوضى في النظام الدولي، ويذهب إلى أبعد من ذلك، ليتساءل حول العلاقة بين مصالح الدول- الأقطاب في النظام الدولي والتبرير الواقعي لمنطق الفوضى كون تلك الفوضى تخدم تلك المصالح، وأن سعي الدول- الأقطاب لتعزيز مصالحها يجعل من الفوضى أمرا متفاقما بشكل متزايد.

يفترض الواقعيون الجدد أن الفوضى تجعل الدول تهتم بقضايا أمنها وبقائها، لكنهم لا يترددون في مشاركة النيوليبرالين تأكيدهم على مسألة المؤسسات الدولية، حيث أصبحوا (الواقعيون الجدد) أكثر ثقة في قدرة المؤسسات والمنظومات الدولية على تخفيف الآثار المتناقضة للفوضى الدولية على التعاون بين الدول، وبالتالي إمكانية إيلائها اهتمام أكبر للتعاون على حل صراعاتها بدون اللجوء إلى الحروب. وهذا جوهر ما أسماه Ole Waever التركيب الجديد – الجديد الذي يؤشر على تراجع الواقعيين الجدد عن الأطروحات الواقعية التقليدية المتشددة حول استعصاء معضلة الأمن بين الدول، وميلهم المتزايد نحو التركيز على التقليل من أهمية استخدام القوة في العلاقات الدولية، والتسليم بأن علاقات الصراع والتعاون توجد جنبا إلى جنب في ظل الواقع الدولي الراهن [86]

هذا ما يبرر أهمية التساؤل حول مدى قدرة النظرية الواقعية على فهم وتفسير نمط الصراعات في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وهنا نستشهد بالبيانات الإحصائية التي أسهم بها Holsti [87]، حيث خلص إلى وجود انحسار في ظاهرة الحرب الدولية [محل التفسير الواقعي التقليدي]، فوفقا لما ذكره Holsti فإن عدد الحروب بين الدول قد انخفض سنويا بمعدل 0.036% خلال الفترة من 1918 إلى 1941، وإلى 0.005% خلال الفترة من 1945 إلى

[84] Dougherty (James E.) & Pfaltzgraff (Robert L.) **Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey**, Op., Cit, P42

[85]- Ibid., p 88.

[86]- بيليس (جون) و سميث (ستيف)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية** المرجع سابق الذكر، ص. 362-363 .

[87]- هذه البيانات الاحصائية قام بها Holsti في كتابه الدولة ، الحرب و دولة الحرب (1996) The state, War and the State of War

1995*. وفي المقابل، يشير برنامج جامعة Leiden البريطانية في مجلته السنوية التي تصدر حول الصراعات الدولية إلى تزايد عدد الصراعات الداخلية الناجمة عن غياب الدولة المفضي إلى العنف العرقي والعنف الفصائلي ليصل إلى 114 صراعا عام 1998 .

و يبقى التساءل مطروحا عما إذا كانت الواقعية ستكون لها الكلمة الأخيرة بمعنى أنها ستكون النظرية السائدة في نهاية المطاف ، و نتساءل أيضا عما إذا كانت حوصلة الأحداث السياسية العالمية التي تصاغ حاليا ستعاد كتابتها على يد أحد المنظرين الواقعيين. ربما رأى العديد من المنظرين المعاصرين أن مركز ثقل هذا الفرع من فروع المعرفة قد تحول بالفعل بعيدا عن الواقعية و اتجه نحو شكل جديد من النظريات التاملية او ما يسمى بالنظريات التكوينية و اهمها على الاطلاق التوجه البنائي.و هو ماسوف ندرسه في المبحث الثالث إذ أن انصرام الحرب الباردة شهد انطلاقة متجددة لبعض النظريات كما انضوت مجموعة متنوعة من الآراء الأكثر انتقادا تحت لواء ما بعد الوضعية.

المبحث الثالث : التفسير البنائي للصراعات المعاصرة في العلاقات الدولية

سيتولى هذا المبحث شرح البنائية باعتبارها منظور جديد لتفسير الصراعات المعاصرة و ذلك بالتطرق إلى أهم العوامل التي قادت إلى ظهوره و أهم المبادئ التي يقوم عليها ، مع الإشارة إلى الدور المزدوج لكل من الدول و باقي الفواعل خاصة الجماعات الاثنية منها دون نسيان العوامل المثالية[الأفكار ، الخطاب و ، الثقافة، الدين،الهوية، الاثنية ....] و تأثيرها في الصراعات المعاصرة و نقض المسلمات التي يقوم عليها البناء الواقعي خاصة تلك المتعلقة بالبنية الفوضوية و المعضلة الأمنية، في محاولة للوصول إلى الإجابة على أي من هاتين النظريتين الواقعية أم البنائية يسهم في رسم أكثر الصور إقناعا عن الصراعات المعاصرة في عهد نظام عولمي؟ أم أن الحوار بينهما هو الذي يعطي معالجة كاملة فعالة لأنواع الأسئلة التي يمكن طرحها حول مجال الصراعات خاصة و السياسة الدولية عموما.

1-المطلب الأول : ظهور الطرح البنائي في نظرية العلاقات الدولية و أهم المبادئ التي يقوم عليها

تنبثق أهمية الاتجاهات الما بعد وضعية من أهمية الانتقادات التي لحقت بالواقعية الجديدة و التي كانت لها فائدة عظمى لدى بعض التيارات خاصة الجديدة منها التي كانت تصبو للشهرة والظهور حينا و الاعتراف بها حينا اخرى و رغم أن معظم تلك الانتقادات لم تأت من العائلة التكوينية فقط إلا أن أدقها كان وليدا من النظريات النقدية المعاصرة و من مفكريها : J.Burton الذي أقر أن التفاعل بين الدول ما هو إلا واحد من العديد من مستويات التفاعل في نطاق المجتمع العالمي. و قد أورد F Kratochwil تعليقا محكما على افتراضات الواقعية الجديدة و يقول في هذا الصدد "خلافا لتوقعات الواقعية البنيوية المعاصرة ، لم تطرأ نهاية الحرب الباردة بسبب أي تحول جذري في توزيع القوى ضمن إطار النظام الدولي إضافة إلى أن ذلك التحول حدث من دون نشوب حروب كبرى". و تماما كما فعل هذا الأخير فإن J Vasques يبرز أن تحليل إحصائي لأدبيات العلاقات الدولية في الخمسينات و ستينات القرن العشرين بين هيمنة النموذج الواقعي على ما سواه من حيث الاعتماد الكاسح على الافتراضات الجوهرية للواقعية .

لكم رغم الهيمنة الواقعية على الساحة فقد فشلت في تفسير السياسة الدولية بشكل كاف . و تفيد نتائج التحليل بأن أكثر من 90 % من الفرضيات الواقعية التي بلغت سبعة آلاف قد زيفت[88] .و تفنيد معظم تلك المسلمات جاء من المنظور البنائي و كيفية تشكيله و لما اعتبر نفسه منظورا مهما في حقل العلاقات الدولية خلال مدى قصير من الزمن و هو ما سوف يتم تناوله كما يلي :

ظهور الطرح البنائي في نظرية العلاقات الدولية

بعد انتهاء الحرب الباردة و تفكك الاتحاد السوفياتي ، فإن الوضع في العلاقات الدولية أصبح أكثر مرونة وانفتاحا. سرعان ما أصبح واضحا أن شح منظور الواقعيين الجدد خاصة فيما يتعلق بالتطورات المستقبلية للتوازن القوى غير واضح على الإطلاق. فقد كان منطق الواقعيين الجدد أن دولا أخرى سوف توازن ضد الولايات المتحدة الأمريكية حتى توازن قوتها و هي وسيلة وحيدة لضمان الأمن خاصة و أن مثل هذا التوازن يؤدي إلى ظهور مجموعة قوى عظمى جديدة في نظام متعدد الأقطاب. ولكن منذ نهاية الحرب الباردة ، لم يحدث هذا ؛ ولتز يقول انه سوف يحدث في نهاية المطاف 'غدا' و بعض الآخر من الواقعيين الجدد ، Layne Christopher يرى أن الامر قد يستغرق حوالي خمسين سنة قبل أن تبدأ اليابان ، وألمانيا موازنة ضد الولايات المتحدة. كما تعتبر البنائية ان حالة عدم تيقن الواقعيين الجدد ترتبط ارتباطا وثيقا بحقيقة أن النظرية الواقعية الجديدة مادية أكثر من اللازم ، لذلك فتركيز البنائيين على الأفكار والآراء يؤدي إلى أفضل فكرة عن الفوضى و موازنة القوة .[89] و هو ما سوف نظهره من خلال إظهار الطرح البنائي كنظرية في العلاقات الدولية. إذ يرجع ظهور الطرح البنائي كطرح بديل للنظريات السائدة في العلاقات الدولية إلى عاملين أساسيين:

أولهما : الانتقادات التي جاءت ردا على أعمال الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد أو كما يسميهم البعض بالنيو-نيو نفعية وتركزت هذه الانتقادات خصوصا على إهمال المنهج العقلاني لجوانب كثيرة في العلاقات الدولية، فروبرت كيوهن" اعترف أن هناك جوانب كثيرة للعلاقات الدولية يضيق بها أفق التحليل العقلاني " والاعتراف بضيق المنهج العقلاني عن استيعاب العديد من جوانب السياسة الدولية جعل العديد من المنظرين يستبعدون المنهج العقلاني منهم التأمليين الذين[90] كانت انتقاداتهم بارعة خارج المنهج العقلاني ووضع نظريات خاصة بهم فالتأمليون تجاوزوا تلك

---

[88] – وندت (الكسندر)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية**، (ترجمة.جبر صالح العتيبي)، (الرياض: النشر العلمي والمطابع للنشر والتوزيع، طبعة الأولى ،2006) ص 253-254 -255 .

[89] – KARACASULU(Nilüfer)- UZGÖREN(Elif), **EXPLAINING SOCIAL CONSTRUCTIVIST CONTRIBUTIONSTO SECURITY STUDIES*** p 29. http://www.sam.gov.tr/perceptions/volume%20xii/ExplainingSocial.pdf

[90] – Price(Richard) and REUs- smit(Christian) ،**dangerous liaisons? Critical international theory and constructivism** (**European journal of international relation** , volume4 Number3 september)- 1998p 264.sage publications, London: thousand oaks, –

الانتقادات إلى وضع اطر مفاهيمية ومنهجية مستقاة من علم الاجتماع لتفسير جوانب من السياسة العالمية .

العامل الثاني :النهاية التي تمت عليها الحرب الباردة حيث فاجأت العديد من المنظرين بهذه النهاية التي لم تكن متوقعة إضافة إلى إيجاد صعوبة في تفسير ما حدث، إذ أن نهاية الحرب الباردة "كانت اختبارا حاسما لقدرة الواقعية الجديدة على شرح هذه التغيرات الدولية...وقد فشلت في الاختبار ".[91] هذا الإخفاق هو الذي ساهم في بروز نظريات أخرى يقول الأستاذ ستيفن سميث "ساهمت نهاية الحرب الباردة في إضفاء الشرعية على النظريات البنائية، فالواقعية والليبرالية أخفقتا في استباق هذا الحدث، كما أنهما وجدتا صعوبة كبيرة في تفسيره ،بينما تمتلك البنائية تفسيرا له حيث انخفضت مصداقية النظرية الواقعية بشكل كبير في نهاية الحرب الباردة و خاصة في زيها المتشح بالواقعية الحديثة و مع زوال الثنائية القطبية على نحو مفاجئ زالت القوة التفسيرية التي اعتمدت عليها الأغلبية في الواقعية الجديدة [92] و هو ما فسح المجال لمقاربات أخرى لتثبت نفسها على الساحة الأكاديمية و كان أبرزها على الإطلاق النظرية البنائية، رغم أن حقل العلاقات الدولية كان بحاجة إلى مقاربات جديدة لتفسير أجزاء من السياسة الدولية حتى لو بقيت النظرية الواقعية قادرة على التعامل مع جوانب سياسة القوة، خاصة و أن المنهج البنائي يتميز عن غيره من المناهج في كونه يحاول مخاطبة الموقفين العقلاني (المادي) و التأملي(القائم على الأفكار) في وقت لا يوجد أي اتصال بين النظرية العقلانية و التأملية.[93] و عموما تطور هذا الاتجاه بشكل رئيسي من خلال أعمال Alexander Wendt و الذي عادة ما يتم تقليده لقب أول كاتب في التقليد البنائي ولقب الأب المؤسس للبنائية الاجتماعية أو المذهب التفسيري الاجتماعي من خلال كتابه:Bridging the Gap : Social Constructivism يعرف Alex Wendt البنائية بأنها نظرية بنيوية عن النظام الدولي تطرح الادعاءات الجوهرية التالية و هي من **أهم المبادئ التي يقوم عليها التوجه البنائي:**

- 1. الدول هي الوحدات الأساسية لتحليل النظرية السياسية الدولية.
- 2 . البنى الرئيسية في نظام الدول تقبع في ثنايا التبادل الفكري و ليست الطبيعة المادية.
- 3 . هويات الدول و مصالحها جزء مهم تشكله هذه البنى الاجتماعية و لا تعطيه الطبيعة البشرية أو السياسة الداخلية لذلك النظام من خارجه.[94]

كما أكدت البنائية على مجموعة نقاط :

---

[91] - Ibid. p265.

92 – وندت (الكسندر)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية** ، المرجع السابق الذكر ص 351 .

93 – نفس المرجع ، ص 357- 393 – 394 .

في هذا الموضوع لا غرابة أن لا يميل العقلانيون و التأمليون في مخاطبة بعضهم البعض ، لأنهم لا يشتركون بلغة واحدة فالهويات التي يعتبرها العقلانيون بالضبط أمرا مسلما به تصبح نقطة انطلاق لمشروع بحث التأمليين .

[94]- نفس المرجع السابق ص 263.

- النظام الدولي "هو مجموعة من الأفكار ، نظام من المعايير التي تم ترتيبها من قبل بعض الاشخاص وخاصة في زمان ومكان "و هؤلاء الوكلاء ، يبنون الواقع الاجتماعي يعيدون بنائه من خلال الممارسة اليومية ،كما أن النظام الدولي مبني اجتماعيا و ليس معطى مسبق .
- الوكلاء ليس لهم وجود مستقل عن بيئتهم الاجتماعية. وهكذا ، فمصالح الدولة خارجة عن البيئة التي تعمل بها الدول و تتفاعل ذاتيا مع الدول.

في العالم الاجتماعي الذي ينطوي على الأفكار والمعتقدات والأفكار ، والمفاهيم ، واللغات ، والخطابات ، وعلامات وإشارات. الأفراد هم من ينتجون العالم الاجتماعي وبعبارة أخرى ، في قلب عمل البنائين البيئة الاجتماعية هي التي تحدد من نحن ، و ان هويات مبنية اجتماعيا وعلاوة على ذلك يركز البنائيين على كل من الخلافات بين الأفراد ، وكيف هذه العلاقات تتشكل عن طريق المؤسسات الاجتماعية الجماعية. كما تركز البنائية على البنية المثالية أو المعيارية بدلا من البنية المادية ذلك ان البنية المثالية تحدد معنى و هوية الافراد.[95]
في مجال الصراعات واحدة من المناقشات المتزايدة بين منظري البنائية للسياسة الدولية تتعلق على وجه الدقة في الربط بين الصراع الاثني والصراع الدولي. فقبل دراسة الصراعات العرقية حسب البنائيين، يجب إعادة تقييم العلاقات الدولية من حيث المفاهيم المحورية والروابط السببية المفترضة بالصراعات ، ما يؤدى إلى عدة تغييرات في المنهج المستعملة في الصراعات ذات الطابع الدولي أو الاثني و هو ما توصل إليه معظم البنائيين[96].فاستخدامها لمفاهيم كالثقافة و الهوية و الاقتصاد .... إضافة إلى عنصر القوة جعل منها إطارا تفسيريا أكثر اتساعا مما هو معهود.

لذلك تنطلق البنائية من أن البنى الرئيسية مبنية اجتماعيا عن طريق الأفكار و القيم و المعايير – العوامل المثالية و ليس عن طريق العوامل المادية – تعطيه الطبيعة البشرية كمعط مسبق- و أن الأفكار هي المتحكمة بأفعال الدول و نزوعها نحو الصراعات و ليس الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي هي من تجعل الدول تدخل في صراعات و حروب . فلأفكار القدرة على تحريك الصراع كما لها القدرة على تثبيطه ذلك أن إدراكها لموضوع معين مرتبط بالجانب المعرفي أكثر من المادي و مثال المسدس في يد عدو لن يكون له نفس المدلول في يد صديق ، و عليه تحرر الأفكار وما تبعها من ادراكات التي غالبا ما تترجم كأفعال و ردود الأفعال في الاتجاهين السلمي و الصراعي من أدنى مستوى و هو الفرد مرورا بالجماعات الاثنية [التي يصبو معظمها إن لم نقل كلها إلى الانفصال و الحكم الذاتي]وصولا إلى أعلى مستوى و هو الدول تستطيع –الأفكار- أن تتحول إلى شكوك و تكون مقدمة لمأزق أمني كما قد تكون بادرة انفراج كما حدث في سياسية الأفكار الجديدة التي تبناها غورباتشوف و كانت السبب في نهاية الحرب الباردة).
أما بالنسبة للهويات و المصالح فصحيح ان البنائية تشاطر الكثير من المسلمات الواقعية غير أنها تتفوق عليها في الجانب

---

[95] - KARACASULU(Nilüfer)- UZGÖREN(Elif), **EXPLAINING SOCIAL CONSTRUCTIVIST CONTRIBUTIONSTO SECURITY STUDIES*** Op;Cit p 32

[96] - **Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies** Op;Cit, p 17.

القيمي، و هذا من خلال تبنيها لمفاهيم ذاق بها التحليل الواقعي، و من أبرزها الهويات و كيف لهذا المفهوم القدرة على طرح الصراع من خلال التفاعلات الاجتماعية البينية القائمة على الاختلافات في الهوية الثقافية للفواعل التي لا يشترط أن تكون دولا فقط و هو ما يسعى الى طرحه المطلب الثاني .

المطلب الثاني: الدول و بقية الفواعل [الاثنيات] كوحدات تحليل في الصراعات:

تفنيد الدور الوحدوي للدول: يقول وندت في هذا الصدد أن" ***الدول هي المعطيات القائمة في السياسة العالمية و لكن هذا لا يفي إظهار الدور المناط بالطبقات و الشركات و الاثنيات في النظام العالمي***" .

يجب ملاحظة أن التأكيد هنا على مركزية الدولة بهذه الطريقة لا يعني إقصاء العوامل الأخرى أو التقليل من أهميتها سواء كانت عوامل محلية أو دولية ،فالتركيز على الدول بوصفها وحدات أساسية للتحليل لا يمنع القول أن العوامل الأخرى (غير الدولة) لها تأثير مهم وحاسم على الطريقة التي تدخل بها الدول في عملية العنف المنظم[97] ،ولهذا فان انتقاد النظرية التي تعطي اهتمام اكبر للدولة في العلاقات الدولية غير مفيد لان الدول مازالت الحجر الأساس في تكوين النسق الدولي .

حسب مقولته يتم استنتاج ان الصراع لن يحدث بين الدول فقط باعتبارها فواعل وحيدة على الساحة الدولية بل تأخذ كل من الطبقات و المنظمات و الاثنيات كوحدات تحليل في الصراع. فالبنائية ترى أن الفواعل ليست فقط الدول بل كذلك المنظمات الدولية، و التي لا يمكن اعتبارها مجرد امتداد لسياسة الدول بل فواعل ذات شخصية مستقلة عن أعضائه ، بالإضافة إلى الفواعل العبر وطنية و الحركات الاجتماعية المختلفة من بينها الحركات العرقية و الوطنية هذا و ترفض البنائية الفصل بين البيئة الداخلية و الدولية في تحليل سلوك الفواعل السياسية، و يظهر ذلك جليا في رفضها المفهوم الكلاسيكي للمصلحة interest فالمصلحة لا تنبع فقط من طبيعة المجتمع الدولي بل ومن طبيعة البناء القيمي و الاجتماعي للوحدات السياسية[98] . و في هذا السياق كثير من منظري البنائية و الليبرالية المعاصرة يسعون لمواجهة العيوب الهيكلية وغيرها من سلبيات الأقليات الإثنية والقومية والصراعات الدائرة بينهم من قبل إضفاء الطابع المؤسسي،والحقوق السياسية المختلفة للتخفيف من عدم المساواة العرقية ، والحد من التوترات العرقية .[99]

و كما هو معروف لدى عامة دارسي العلوم السياسية و العلاقات الدولية خاصة، أن نهاية الحرب الباردة و ما أفرزته من تحولات دولية [كانت على مستوى هيكل النظام و على مستوى تفاعلات النظام،تركيبته و نوعية توزيع القوى السياسية فيه] ، خلق ظواهر جديدة أثرت على دراسة الصراعات كان أولها تفكك الدول أو ما يطلق عليها في العلاقات الدولية [الدول المنهارة] و التي واكبها سقوط حر للإتحاد السوفييتي و انقسامه إلى عدة دول و اثنيات . بالرجوع إلى التحولات التي مست مستوى هيكل النظام و التي أثرت بدورها على تحليل ظاهرة الصراعات الدولية

---

[97]- وندت (الكسندر)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية**، المرجع السابق الذكر ص 13 .

[98]- حمايدي (عز الدين)، **دور التدخل الخارجي في النزاعات العرقية**، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، جامعة قسنطينة ،دورة2005)، ص 33

[99] - **Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies** , Op;Cit p 64.

أصبح تحليل الصراع بعد تفكك الدول يمس أطرافا جديدة و هو عكس المنظور الواقعي الذي يحصر الصراع بين الدول متجاهلا الصراعات التي قد تحدث بين الدول و الجماعات او بين الجماعات بعضها البعض و في محاولة إعطاء أهمية للصراعات الداخلية و دور الذي تلعبه الجماعات الاثنية في إشعال الحروب الأهلية و الصراعات العرقية. ترى البنائية أنه لا يمكن النظر إلى الهوية العرقية كأنها معطى طبيعي ثابت، وأن الصراع ينبع من الشعور بالانتماء، و الاختلاف، فالاثنية حسب البنائية هي جماعة تتقاسم ثقافة معينة قابلة للتحول في ظل ظروف اجتماعية أو سياسية معينة و هذا ما ذهب إليه Lapid عندما أكد أن الهوية العرقية ليست ثابتة بل خاضعة للتغير في ظل ظروف **سوسيو–تاريخية** معينة.[100]

البنائية تؤكد على أن القرار الصراعي للعرقية ينبع من تفاعل العناصر الثلاثة (**أفراد العرقية، صناع القرار، و وحدات المجتمع المدني**)، حتى أن فكرة المصلحة لا يمكن أخذها كمصلحة النخبة الحاكمة، مؤسسة على حسابات منفعية، كما لا يمكن اعتبارها مصلحة الجماعة العرقية، قائمة على مشاعر نابعة عن الشعور بالاختلاف، بل هي مزيج بين هـــذا و ذاك : فصناع القرار يوجدون في ظل مجتمع له بنيته الثقافية والاجتماعية التي تأثر على سلوكهم، وهذا لا يعني أن النخبة ذات استجابة آلية لقيم و طلبات جماعتها العرقية .[101]

كما تقر البنائية بدور الدول في تحريك النزعات العرقية لكنها ترفض النظر إلى الدوافع من منظور واقعي ، فالهدف من وراء التدخل ليس" نصرة الجماعة التي تربطها بها قرابة عرقية "ethnic ties"، ولا لدوافع مصلحية بحتة، فالدول تتدخل لمصلحة ولكن غالبا ما تكون المصلحة متأثرة بالقيم الاجتماعية و الحضارية للدولة فبعد انتهاء الحرب الباردة وضعف النظم السياسة في العديد من الدول أدى ذلك إلى تطلع الجماعات العرقية إلى الإرتباط بالجماعة العرقية التي تنتمي إليها في الدول المجاورة ونجد بعض الدول شجعت مثل هذا الإتجاه لأنها وجدت فيه تحقيقا وتعظيما لمصالحها الإستراتجية و الاقتصادية لأنه بانضمام هذه الجماعات إليها سينظم معها الإقليم الذي تقطنه وهذا من شأنه تفعيل دورها بصورة أكبر على المستوى الإقليمي الذي تقع فيه كما حدث بعد إنظمام ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية وما ترتب عن ذلك من دعم لمركز ألمانيا السياسي و الاقتصادي في المحيط الأوروبي وعلى المستوى العالمي.

حول تأثير البعد الثقافي على قيام و تزايد حدة الصراعات العرقية و الإثنية تعزو البنائية أسبابها إلى الاختلافات في التركيبة الثقافية و الهوية للأطراف المتنازعة و هو نفس منطلق المقاربة الأولية للصراعات العرقية التي تعتقد أن الخلاف العرقي هو في حد ذاته السبب الأولي للصراع و أن الجماعات العرقية هي الفواعل الأساسية في هذه الصراعات ، فهي

---

[100]– حمايدي (عز الدين)، **دور التدخل الخارجي في النزاعات العرقية**، المرجع السابق الذكر ص 33 .

[101]– بالمقابل تأتي أهمية المنظور البنائي من محاولته لتحليل وتفسير تلك الصراعات القائمة و التي لا تقتصر على الصراعات بين الدول بل الصراعات الجديدة او ما يطيب لبعض المفكرين تسميتها بصراعات ما بعد الحرب الباردة للتمييز بينها و بين الصراعات التقليدية التي غالبا ما كانت واضحة الأطراف والاستراتيجيات و هو ما يسهل تقييمها خلافا للصراعات الجديدة ذات أطراف متعددة، استراتيجيات و إمكانيات و إيديولوجيات الغامضة و التي تجعل من الصعب تحليلها و الالمام بأسبابها و هو ما أثر بدوره على تحليل الصراعات ككل و هي المرحلة التي أصبح التركيز على العوامل الاثنية و القومية و الهوية للجماعات في تحليل الصراع خاصة و أن هناك جماعات لها ولاءات اثنية مغايرة للجماعات الأخرى و الحفاظ عليها قد يؤدي إلى الصراع .و قد عرفت هذه الصراعات بالصراعات غير المتكافئة و هي خاصية أساسية من خصائص صراعات ما بعد الحرب الباردة .

تستقي سلوكها الصراعي من القيم العرقية (الهوية)، و تعبر عن وجودها بالخط الذي يفصلها عن الجماعات الأخرى و يزيد سلوكها الصراعي كلما زاد انتماؤها إلى الجماعة .[102]

المطلب الثالث :دور العوامل المثالية في مقابل العوامل المادية :

1- دور الأفكار مقابل القوة في العلاقات الدولية :

في حين ان الواقعية تتعامل أساسا مع الأمن والقوة المادية ، وتنظر الليبرالية الاقتصادية في المقام الأول إلى الاعتماد المتبادل في الاقتصاد الدولي، فالبنائيين يهتمون بدور الأفكار في تشكيل النظام الدولي فبـــ"الأفكار تشير البنائية إلى الأهداف ، والتهديد ، والمخاوف ، والهويات ، وغيرها من العناصر التي تؤثر على تصور واقع الدول والجهات الفاعلة من غير الدول في إطار النظام الدولي.[103]

دفع بعض الاتجاهات النظرية الجديدة منها البنائية الى البروز و التشكيك في الأسس الوضعية للتنظير القائم, إذ أنها انحرفت عن هذا النهج السائد ووظفت مفاهيم تحليلية تستند وتدور حول الهوية و دور الأفكار و الثقافة المعايير الأخلاقية الدين الخطاب ـــــ باعتبارها عوامل مثالية قيمية من أجل تفسير سلوكات الدول و بقية الفواعل الأخرى بشكل غير مسبوق ، و حسب وندت الذي يقول" ***بأننا بحاجة إلى نظريات تعرف المجال السياسي تعريفا أوسع بحيث يشمل الهوية ،و الاقتصاد ، و الاثنية ، و الثقافة و ما شابه"*** .
و في مناقشة جدلية عالية يرى Michael Deush في 1998 في كتابه:

"Culture clach: Assessing the importance of ideas in security studies" أن باحثي البنائية اتفقوا على أن النظريات الثقافية التي تهتم بالعوامل الفكرية تشرح مسار العلم بطريقة أحسن.
فبعد الحرب الباردة بدأ الاتجاه السائد في العلاقات الدولية في مواجهة صعوبات كبيرة في شرح كيفية نهاية تلك الحرب وفهمها ، وبشكل عام شرح التغير العام في النسق الدولي وفهمه، فقد بدا واضحا للكثيرين أن تلك الصعوبات إنما تنبع أصلا من سيطرة الاتجاه الفردي والمادي على نظرية العلاقات الدولية ،مما دفع إلى الاعتقاد بان منهجا مغايرا يأخذ في الاعتبار القضايا المثالية والأفكار المشتركة وقد يقدم شرحا أفضل وفها أعمق للسياسة الدولية"[104] وقد تزامنت مع تزايد الاهتمام بتصور الثقافة في العشرية الأخيرة من القرن العشرين "فقد استعمل كل من توماس بيرقر

---

[102]- وولت (ستيفن) ،(**العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة**) ترجمة عادل(زقاغ) و زياني(زيدان) ، نقلا عن ،. www.geocities.com_adelzeggagh_IR.html

[103] KARACASULU(Nilüfer)- UZGÖREN(Elif), **EXPLAINING SOCIAL CONSTRUCTIVIST CONTRIBUTIONSTO SECURITY STUDIES*** Op ;Cit p 29.

- العوامل المادية تتمثل في وهي" (1) الطبيعة البشرية ،(2)والموارد الطبيعية ،(3)والجغرافيا ،(4)والإنتاج ،(5)وقوى التدمير

[104]- وندت (الكسندر)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية**, مرجع سبق ذكره ،ص 6 .

وبيتر كاتزنشتاين المتغيرات الثقافية لتفسير نزوع ألمانيا واليابان بعيدا عن السياسات العسكرية التي تعتمد على الذات ،كما قد قدمت إليزابيث كير تفسيرات ثقافية للعقائد العسكرية التي سادت في بريطانيا وفرنسا في فترة مابين الحربين...في حين تعتبر التحذيرات الجريئة التي أطلقها صامويل هانتغتون حول"صدام الحضارات" إحدى أعراض هذا الاتجاه التفكيري...يعتبر هذا وجها من أوجه الاهتمام الواسع بالقضايا الثقافية في الأوساط الأكاديمية ، كما انه في جانب منه يعتبر ردة فعل على تصاعد حدة الصراعات الاثنية والوطنية والثقافية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي"[105] .

وحول أهمية الأفكار يقول Wendt ***أن الأفكار ليست اكثر اهمية من القوة والمصالح ، أو أنها مستقلة عن القوة والمصالح. بل أن القوة ، و المصالح لديها آثار –يفعلون ذلك – بحكم أن الأفكار هي التي صنعتهم. تفسيرات القوة و مصلحة تفترض الأفكار.*** و يضيف أن مواجهة التفسيرات المادية ظاهريا مرتبط دائما بالتحقيق في الشروط المنطقية التي تجعلها تعمل. و يسترسل في القول : ***"عندما عرض الواقعيين الجدد التعددية القطبية باعتبارها تفسير للحرب ، يكون النظر في الظروف التي تشكل منطقيا الأقطاب كأعداء بدلا من الأصدقاء.*** عند الليبراليين عرض الاعتماد الاقتصادي كتفسير للسلام ، يكون النظر في الظروف التي تشكل منطقيا الدول مع الهويات التي تهتم بالتجارة الحرة والنمو الاقتصادي. عند الماركسيين تقديم الرأسمالية باعتبارها تفسيرا لأشكال الدولة ، التحقيق في الظروف التي تشكل منطقيا علاقات الإنتاج الرأسمالي وهلم جرا، وبالتالي الأفكار تحدد معنى القوة المادية .

العنصر الأساسي فكري الذي يتم التركيز عليه في البنائية هو تذاتانية المعتقدات (والأفكار والتصورات والافتراضات التي يتم تقاسمها على نطاق واسع بين الأفراد ، و مع ذلك يمكن أن تعقد من قبل جماعات مختلفة ، مثل المنظمات ، واضعي السياسات والفئات الاجتماعية أو المجتمع). 'أفكار هي بنيات عقلية تؤسس من قبل الأفراد ، العديد من المعتقدات المميزة والمبادئ والمواقف التي توفر توجهات عامة لسلوك وسياسة .

هناك العديد من أنواع مختلفة من الأفكار. فحسب Nina Tannenwald التي تحدد أربعة أنواع رئيسية هي:

1. 'الايديولوجيات أو النظم العقائدية المشتركة . هي مجموعة منتظمة من المذاهب و المعتقدات التي تعكس الحاجات الاجتماعية وتطلعات مجموعة لطبقة لثقافة ، أو لدولة. وتشمل الأمثلة على أخلاقيات البروتستانتية أو الأيديولوجيات السياسية مثل الليبرالية ، والماركسية ، والفاشية
2. المعتقدات المعيارية. المتعلقة بالصواب والخطأ. فهي تتألف من القيم و المواقف التي تحدد معايير للتمييز بين الصواب والخطأ أو الأشياء العادلة من غير العادلة والمرتبطة بمعايير السلوك ، [مثلا] دور معايير حقوق الإنسان في نهاية الحرب الباردة.
3. المعتقدات السببية, cause-effect beliefs . هي معتقدات حول الأسباب والمسببات ، أو وسائل العلاقات التي توفر مبادئ توجيهية أو استراتيجيات للأفراد على كيفية تحقيق أهدافها. . . [مثلا] ، قادة السوفيات عملوا على تغيير المعتقدات حول فعالية (او بالاحرى عدم نجاعة استخدام **السببية** القوة إذ أثرت تلك المعتقدات على قرارهم في عام 1989 بعدم استخدام القوة للحفاظ على أوروبا الشرقية تحت السيطرة السوفياتية.
4. قواعد السياسة : 106 *

---

[105] – والت(ستيفن) **عالم واحد نظريات متعددة** ، مرجع سابق الذكر

[106] – H (Robert), Georg Sorensen (Jackson) :**Introduction to International Relations;; Theories and approaches** OXFORD University Press 3 erd Edition 2007) p 166. www.oxfordtextbook.co.uk/orc/Jackson_sorensen3e/ .

لذلك تركز البنائية في دراستها للعلاقات الدولية على الأفكار الذاتية و كيف انها تحدد العلاقات الدولية ،باعتبار أن العالم الاجتماعي والسياسي يتكون ، في الأساس ، من المعتقدات المشتركة و محاولة معرفة كيف تؤثر هذه المعتقدات المشتركة في طريقة الذي يجب أن تتكون من خلالها أهم أحداث الدولية و حلقات العالمية . ذلك أن البنائيين عكس الوضعيين لأن الوضعيون لا يختبرون محتوى تذاتانية الأحداث . على سبيل المثال ، في لعبة البليياردو ، الصورة معروفة جيدا دوليا مرفوضة من البنائيين لأنها لا تكشف عن الأفكار ، والمعتقدات وهلم جرا من الجهات الفاعلة المشاركة في الصراعات الدولية فالبنائيون يريدون البحث في داخل كرات لعبة البليياردو للتوصل إلى فهم أعمق لهذه الصراعات[107] فالبنية مثلا حسب وندت تتكون من الأفكار والتصورات والمعتقدات والقواعد والأعراف والمؤسسات أنها تتكون من العوامل المثالية إلى جانب العوامل المادية * [108]، لكن تعتبر العوامل المادية عوامل ثانوية بالنسبة للعوامل المثالية " فدور القوى المادية مهم بقدر الدرجة التي تحتوي فيها تلك القوى على دلالات ومعان معينة للفاعلين فمثلا تعتبر القطبية المادية للنسق الدولية مهمة ، ولكن تعتمد هذه الأهمية إلى حد كبير على ما إذا كان هؤلاء الأقطاب أصدقاء أم أعداء الأمر الذي يعتبر نتيجة للأفكار المشتركة فيما بين هؤلاء الأقطاب وليس فقط نتيجة لتوزيع القوى المادية"[109] .

وحول العلاقة بين الأفكار و القوة المادية تعتقد أن هذه العوامل المثالية يمكن في كثير من الأحيان أن تكون لها تأثيرات بعيدة المدى ، و يمكن ان تكون ورقة رابحة للعوامل المادية خاصة فيما يتعلق اهتمامات القوة المادية، فعلى سبيل المثال، البنائيين يعلمون ان الزيادة في حجم المؤسسه العسكرية للولايات المتحدة من المرجح أن ينظر إليها بالكثير من دواعي القلق الكبيرة في كوبا ، وهو الخصم التقليدي للولايات المتحدة ، مما كانت عليه في كندا ، وهو أحد المقربين حليفا للولايات المتحدة. ولذلك ، يجب ان يكون هناك تصورات معينة و ادراكات للعمل الدولي في تشكيل نتائجه.[110]

كما حاولت البنائية تقدم تفسيرات و تحاليل مقبولة تنبثق من خلالها دور الأفكار و أهميتها في تحديد طبيعة الواقع و صياغته، و التأثير على ممارسات الفاعلين فيه: **التغير السلمي داخل الإتحاد السوفيتي و حل الصراع بفعل تغير**

(*)
للمزيد من الشرح أنظر

H (Robert), Georg Sorensen (Jackson) :**Introduction to International Relations**; CHAPTER 6 **Social Constructivism**

[107] - Ipid p 166.

108- حجار (عمار)،. **السياسة الأمنية الأوروبية تجاه جنوبها المتوسط** المرجع السابق الذكر، ص37

109-نفس المرجع،ص 38

في هذا الموضوع يؤكد البنائيون أن فان السياسة الدولية هي ظاهرة اجتماعية أكثر من كونها ظاهرة مادية حيث" **تتحدد نوعية الحياة الدولية لمعتقدات الدول حول بعضها البعض وقناعاتها وتوقعاتها ، وهذه المعتقدات والقناعات والتوقعات بدورها مكونة أو مشكلة داخل أبنية ذات صبغة اجتماعية أكثر منها أبنية ذات صبغة مادية بحتة ، لا يعني ذلك أن القوة المادية والمصالح عوامل مهمة ولكنه يعني تحديدا ان معنى القوة والمصالح ذاتها ونتائجها يعتمد على البنية الاجتماعية للنسق".**

[110]- Zehfuss (Maja); **Constructivism in International Relations: The Politics of Reality**. (Cambridge University Press. 2002.) p 289.

الأفكار و قيم النخب الحاكمة،بفعل اعتناق الأفكار الجديدة " New Thinking" الذي حول الغرب من عدو يجب القضاء عليه إلى طرف قابل للتعايش و هذا بفعل الأفكار و القيم التي تبنتها النخبة الحاكمة آنذاك مع غورباتشوزف و سياسته الانفتاحية على الغرب و النموذج الرأسمالي الذي تبلورت معالمه في البيروسترويكا الجديدة و إعادة صياغة السياسات العام داخل الاتحاد السوفييتي.

2-الخطاب واستناده على المعايير الاجتماعية بدلا من منطق القوة :

على المستوى الخطاب يرى ريتشارد اشلي Richard Achly أن الواقعية هي إحدى المشاكل المركزية لانعدام الأمن الدولي ، و لا ينظرون إلى الواقعية كأيديولوجية دولانية فقدت صلتها بالصراعات المعولمة التي تجري حاليا في السياسة العالمية فحسب ، بل أيضا كخطاب خطر يعتبر العقبة البارزة في وجه الجهود الرامية إلى تأسيس خطاب خطر مهيمن أكثر سلاما.ذلك أن الواقعية هي خطاب قوة وحكم ساد في ميدان السياسة الدولية في الماضي، وتشجع الدول على المنافسة الأمنية ، ويرى جون فاسكر John Vasquer أن سياسة القوة هي صورة للعالم الذي يشجع السلوك الذي يأتي بالحرب، وبهذا المعنى فان محاولة موازنة القوة هي بحد ذاتها جزء من السلوك نفسه الذي يؤدي إلى الحرب ،ويرى فاسكر أن التحالف لا ينتج السلام، بل يؤدي إلى الحرب، لذا فان الهدف بالنسبة للعديد من أنصار البنائية وما بعد الحداثة، هو استبدال خطاب الواقعية بخطاب اجتماعي يؤكد على السلام و الانسجام ، والفكرة باستبدال برنامج البرمجيات الخاص بالواقعية، برنامج جديد يستند الى معايير الجماعية ...وعندها تصبح السياسة العالمية أكثر سلاما ". و هو السبب الذي يجعل النظرية البنائية كثيرا ما تركز من الجانب الفكري على الخطاب السائد داخل المجتمع و الذي يساهم بشكل كبير و فعال في فهم سلوكات الدول .[111]

ككل تؤكد البنائية على أن دراسة الظواهر الدولية تستلزم وضعها في إطارها الاجتماعي و الثقافي و التاريخي لا مناقشتها بعيدا عن أطرها التي تطورت في ظلها .

عموما إن الجديد الذي جاءت به البنائية على المستوى الابستيمولوجي هو الجمع بين الجانب الصلب المادي و الجانب اللين المعنوي من الظاهرة اي بين القوة و الثقافة ، و بين الهوية و المصلحة .فحسب البنائية فلا وجود لمفهوم القوة بعيدا عن تأثيرات العامل الثقافي ، كما لا يمكن تجاهل الصراع بين المصلحة و الهوية في تحديد إدراكات و تصورات الدولة و مواقفها كما لا يمكن تجاهل كل من العوامل المادية و المثالية في تفسيرها للحرب و الصراعات.

3-تأثير عوامل كالهوية و الثقافة في دينامية الصراعات المعاصرة :

و حول تأثير بعض العوامل المثالية في الصراعات الدائرة اليوم رأت البنائية مثلا أن هناك علاقة متبادلة بين الهوية و الصراعات الداخلية و اعتبرت ان ليس دائما الاختلافات في الهوية الثقافية للمجموعات الاثنية هو ما يدفع إلى التصادم و إنما الصراعات الاثنية تكون نتيجة أربع تطورات مترابطة :

[111] - Ibid p 290.

الفصل الأول

1. السياسة العرقية للدولة [سعي الدولة لتحقيق التجانس حسب **كونور** قد يتماشى مع احتمال نشوب صراع، وخصوصا عندما تحدد الدولة اثنية (قومية) ذات الأغلبية و فرضها بالقصر على بقية الجماعات الاثنية المتواجدة في الدولة].
2. العلاقات التفاعلية بين الجماعات العرقية المختلفة داخل دولة [و هنا قد يعتمد العنف على اختلافات كبيرة في القيم الثقافية بين المجموعات الهوياتية أين هناك رغبة بين أعضاء الفريق الواحد لحماية قيمها من التهديدات الحقيقية و الوهمية التي تشكلها ثقافة مختلفة أو منظومة من القيم يمكنها تكثيف العداوات بين الجماعات الهوياتية الى حد الوصول الى نقطة الصراع العنيف ، وبخاصة في الأزمات الاجتماعية] و نشأة العنف بين الجماعات الهواتيية قد تتوقف أيضا على أعمال الثقافية و السياسية للزعماء التي تفسر القيم الاجتماعية لجماعاتهم و مجال العمل الاجتماعي و السياسي.
3. تأكيد العرقية والتسييس .
4. تأثير القوى الخارجية ، مثل التحولات الاقتصادية العالمية وثورة الاتصالات ، مما يزيد من قدرة من أجل التعبئة الجماعية .

حتى الآن ، فإن معظم الاهتمام المعطى لأول اثنين من هذه التطورات. و حول تفسير نجاح جماعات عرقية في الحصول على مطالبهم الانفصالية في الصراعات الاثنية و فشل الجماعات الاخرى في الحصول على الدعم الكافي ، والتضامن العرقى ، فهو يعتمد أساسا حسب البنائيين على استيعاب الذاكرة التاريخية (الحقيقية أو بناء والتلاعب) ، الخبرات المشتركة (أو التجارب التي يمكن أن تقدم بشكل عام) ، والتي تدفقت في شكل الأساطير الشرعية لكل جماعة عرقية ، وما إذا كانت تلك الأساطير أكثر عقلانية و استجابة لتفاعل العوامل الاجتماعية- السياسية ، والثقافية ، و كذى العوامل الاقتصادية. وهنا أيضا يجدر استكشاف المدى الذي توفره الاثنيات السياسية كحقيقية أو تصور للفوائد ، على سبيل المثال ، التقدم الاجتماعي ، والفرص الاقتصادية الجديدة ، اعادة انتاج الثقافة ، لأعضاء الجماعات المقابلة .[ذلك أن تصور الفوائد و الرغبة في الوصول إليها او تحقيقها يكون حافزا مثيرا لدخول جماعات متمايزة الهويات الثقافية إلى الصراع] ، وبالتالي ، البحث عن مستقبل الهويات.[112]

رغم أن التحليل البنائي يرتكز بالأساس على كيفية نشوء الأفكار والهويات، والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض، لتشكل الطريقة التي تنظر بها الدول لمختلف المواقف الصراعية ، وتستجيب لها تبعا لذلك. و بالرغم من تزايد التركيز على الشعور بالهويات في عالم ما بعد الحرب الباردة، وظهور الصراعات العرقية التي ايضا كانت سمتها الأساسية دور الهويات داخلها وشعورها بضرورة ممارسة دورها في السياسة العالمية، فإن البنائية لا تستبعد متغير القوة،و العوامل المادية في تحليلها للصراعات المعاصرة .

---

[112] - McC Adams (Robert)and others :**Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies**: **Proceedings of a Russian-AmericanWorkshop**, Op;Cit p 78.

و عن كيفية عمل العوامل المثالية المتمثلة في الثقافة و الأفكار و القيم و الخطاب و تأثيرها على الهويات و المصالح و التي تؤثر بدورها على الفعل أو السلوك يترجم المخطط التالي العلاقة المتبادلة بين مختلف المتغيرات و كيفية تفاعلها مع بعضها البعض :

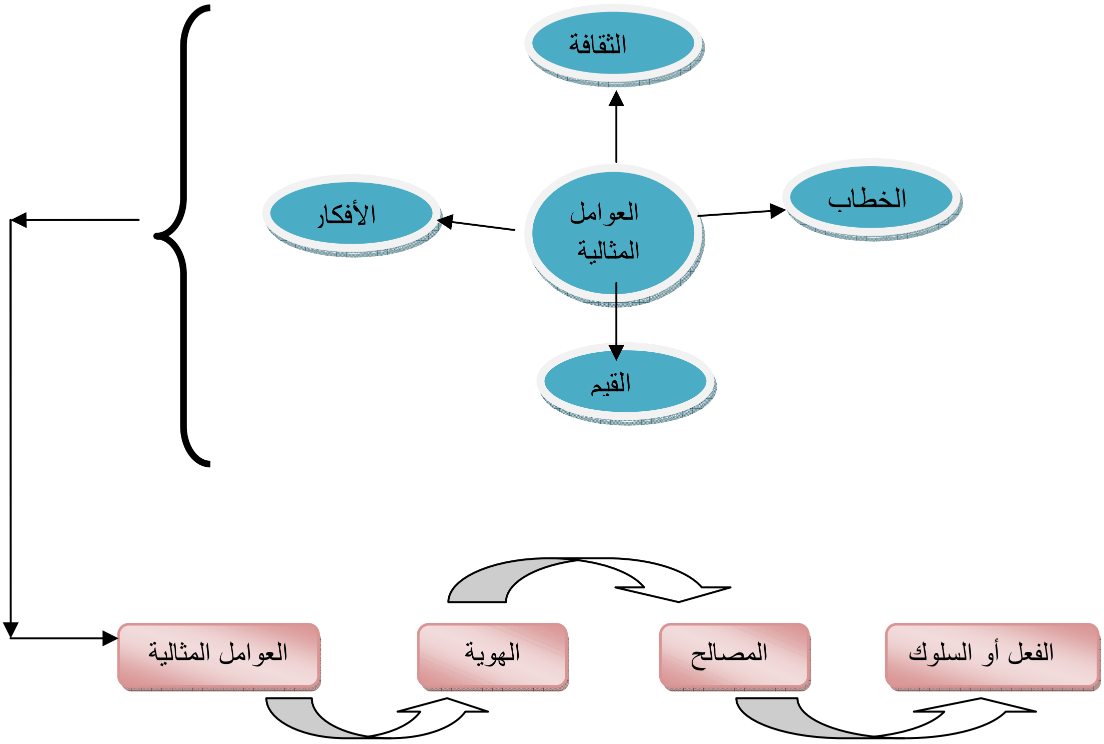

تأثير العوامل المثالية على الهويات و المصالح المنتجة للفعل [مخطط من تصميم الباحثة]

إن العوامل المثالية و المتمثلة في الأفكار و القيم و الثقافة وغيرها من العوامل القيمية لها دور هام في بناء المصالح و الهويات التي تترجم في شكل سلوكات والتي تعكس الحاجات الاجتماعية وتطلعات دولة أو مجموعة معينة ،و توفر مبادئ توجيهية و استراتيجيات نابعة من معتقداتهم ،تلك المعتقدات تأثر بطريقة أو بأخرى على قراراتهم و قناعاتهم و توقعاتهم في معالجة ظاهرة ما ، فقناعة السوفيات حول عدم فعالية استخدام القوة للحفاظ على أوروبا الشرقية تحت السيطرة السوفييتية جاءت من جراء تغيير معتقداتهم و أفكارهم، لذلك فالتمايز في الثقافة و الأفكار و القيم يخلق بدوره تمايز في الهويات للدول أو المجموعات الاثنية التي تتقاسم هوية ثقافية ،هذه الأخيرة قابلة للتحول و التغير تبعا لتغير الظروف السوسيوتاريخية التي تحكمها العوامل المثالية مسبقا. و عليه فسلوك الدول يكون استجابة لمصالحها النابعة من الشعور بالاختلاف الهوياتي و الثقافي .

المطلب الرابع : البنية الفوضية والمعضلة الأمنية حسب التصور البنائي :

1-الفوضى :

البنائية كمنظور عام في العلاقات الدولية تعتمد على أفكار الكسندر وندت فقد كان واضحا منذ البداية في مشروعه حيث يقول ***"إن هدفي في المقال هو بناء جسر بين هذين التقليديين (العقلانية والتأملية)، من خلال تطوير حجة تفسيرية ...نيابة عن الادعاء الليبرالي القائل إن بوسع المؤسسات الدولية تحويل هويات الدول ومصالحها.... وستكون إستراتيجيتي في بناء هذا الجسر أن أجادل ضد ادعاء الواقعية الجديدة بان المساعدة الذاتية وسياسة القوة لا تنجمان منطقيا أو عفويا من الفوضى فلا يوجد منطق للفوضى بمعزل عن الممارسات التي توجد وتعطي صفة فورية لبنية من الهويات والمصالح بدلا من بنية أخرى ،وليس للبنية وجود أو قوى عرضية طارئة في معزل عن العملية ،إن المساعدة الذاتية وسياسة القوة مؤسستان وليستا سمتين أساسيتين للفوضى ،فالفوضى هي ما تجعلها عليه الدول"***[113].

إن السياسة الدولية حسب والتز تحدد أساسا من حقيقة ان النظام الدولي الفوضوي -- أي انها تفتقر إلى السلطة العليا، بدلا من ذلك فهي تتألف من وحدات (الدول) التي هي على قدم المساواة شكليا أمام القانون مثل هذه الفوضى ، يجادل أن الدول القوية تتصرف بطرق معينة ، و محددة ، وأنها لا تستطيع الاعتماد على أي واحد لتحقيق أمنهم الخاص (عليهم الاعتماد على الذات). و بالتالي الفوضى يجبرهم على العمل في مثل هذه السبل ، على الدفاع عن المصالح الذاتية الخاصة بهم من خلال اللجوء إلى القوة **على النقيض من ذلك** فإن البنائية في تحليلها للفوضى تعتبر أن **السؤال هو ليس معرفة وجوده في واقع فوضوي لكن السؤال هو كيف تبنى هذه التهديدات اجتماعيا ولماذا توافق فترة معينة ولماذا يمكن اعتبار سلوك أو آخر تهديدا ، بنفس الطريقة حلل البنائيون القيم والمعايير في العلاقات الدولية تحليلا يتفوق على التحليل الواقعي أو الليبرالي وتساءلوا فيما إن كانت تلعب دورا مهما في توجيه نوعية الفواعل الدولية نحو الصراع . لأنها إطار معياري أو قيمي يعتمد على(الخطابات ، القواعد الثقافات ،الأفكار العامة)**

لكن تذهب البنائية الى ابعد من ذلك معتبرة انه بسبب الطريقة التي يحد من الفوضى الدول يتوقف على الطريقة الذاتية التي تصور الدول الفوضى ، التصورات المتعلقة بالهويات والمصالح [114] فالبنية الاجتماعية و إدراكها الجماعي هي فقط القادرة على إدراك أو تأويل نتائج الفوضى أو آثار فوضى النظام[115].

لذلك فـــ Wendt له نفس نقطة الانطلاق ولتز في التفاعل بين الدول في ظل نظام يتسم من الفوضى. لكن الفوضى لا تؤدي بالضرورة إلى الاعتماد على الذات ، وهذا يدعو إلى مزيد من الدراسة المنطقية للتفاعل بين الدول من أجل اكتشاف ما محدده بثقافة 'الفوضى'. حيث تقترح ثلاثة أنواع رئيسية من الفوضى المثالية : Hobbesian,

[113]-Wendt(Alexander) : "**Anarchy is what states make of it :the social construction of power politics**",International organization,world peace fondation and massachusttes institute of technology,1992,46,2,spring,page394.

[114] - Zehfuss (Maja); **Constructivism in International Relations**. Op;Cit p 289.

[115] -حجار (عمار).، **السياسة الأمنية الأوروبية تجاه جنوبها المتوسط**، مرجع سبق ذكره ،ص 43.

Lockean and Kantian Cultures ففي **الثقافة هوبسية** ، الدول تنظر إلى غيرها من الدول كعدو ؛ منطق الفوضى هوبس هو 'حرب الجميع ضد الجميع'. الدول هي الخصوم والحرب هي المستوطنة بسبب الصراعات العنيفة كطريقة للبقاء. الفوضى الهوبزية، وفقا Wendt ، سيطرت على نظام الدول حتى القرن السابع عشر. في **الثقافة اللوكية** ، تنظر الدول إلى غيرها من الدول كالمنافسين ، ولكن هناك أيضا ضبط النفس ؛ دول لا تسعى إلى القضاء على بعضها البعض ، وأنها تعترف بالدول الأخرى 'الحق في الوجود' ، الفوضى اللوكية أصبحت سمة من سمات الدول الحديثة 'النظام بعد صلح وستفاليا في عام 1648. أخيرا ، في **الثقافة الكانتية** ، ترى الدول بعضها البعض كأصدقاء ، وتسوية الصراعات سلميا ، و دعم كل منهما للآخر في حالة وجود تهديد من قبل طرف ثالث). إن ثقافة الكنتية برزت بين الديمقراطيات الليبرالية الموحدة منذ الحرب العالمية الثانية[116] وهو ما يترجمه المخطط التالي :

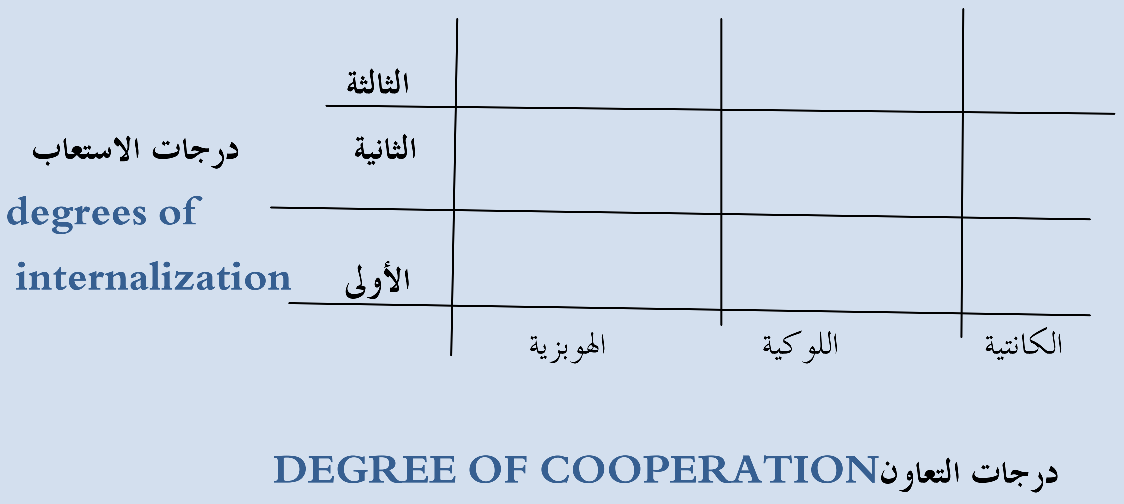

ثقافات الفوضى و درجات الاستعاب (Wendt)

يقر Wendt بوجود ثلاث ثقافات مختلفة للفوضى التي يمكن أن تكون منضوية في درجات مختلفة ، هذا و يضيف أن طريقة رؤية الدول لبعضها الأخر قد يكون أكثر أو أقل عمقا . يميز Wendt بين ثلاث درجات من 'الاستيعاب الثقافي' ؛ الدرجة الأولى التزام ضعيف نسبيا بالأفكار المشتركة ، و الدرجة الثالثة التزام قوي بالأفكار.[117] و بينهما نجد الدرجة الثانية التي تعتبر النقطة الوسط بين الاثنين لنحصل لاحقا على الجدول ثلاثة من قبل ثلاثة 'درجات التعاون' و 'درجات الاستيعاب' الذي ربط Wendt من خلاله الفوضى بثلاث ثقافات متمايزة التركيز فإذا كانت الدرجة الأولى يؤدي إلى حالة من صراع و التركيز على الدرجة الثالثة يؤدي إلى حالة من السلام فإن التركيز على الدرجة الثانية يؤدي وجود التنافس الذي إذا زاد قاد إلى الصراع (الدرجة الأولى) و إذا نقص قاد

---

116 - H (Robert), Georg Sorensen (Jackson) :**Introduction to International Relations** Op ;Cit p 168.

117 - Ipid p 169.

إلى السلام (الدرجة الثالثة) . و كل هذا في محاولة منه للوصول إلى نتيجة أن القوة المادية ومصلحة الدولة هي في الأساس تشكلت من الأفكار والتفاعل الاجتماعي ،و هذا الأخير في ظل نظام فوضوي و امتلاك القوة العسكرية وغيرها من القدرات التي يمكن اعتبارها تهديدات محتملة من جانب دول أخرى؛ لكن العداوة وسباقات التسلح ليست نتائج لا مفر منها. التفاعل الاجتماعي بين الدول يمكن أن يؤدي أيضا إلى الثقافات من الفوضى أكثر اعتدالا وصداقة.

عموما الفوضى بشكل عام حسب Wendt ليست ضرورة في نظام الاعتماد على الذات. حيث فقط الدول القوية تعتمد على المساعدة الذاتية المطابقة الافتراضات الواقعية الجديدة حول رؤية الدول تنافسية على الأمن هذا المفهوم النسبي ذلك ان كسب أي من الأمن لدولة واحدة يعني فقدان الأمن للآخر. وبدلا من ذلك يقترح وندت أن تتمسك الدول بالمفاهيم البديلة الأمن ، أما الأمن الجماعي أو 'المشترك، حيث يمكن للدول أن تحقق الفائدة القصوى من الأمن دون التأثير سلبا على أمن آخر حيث تحدد الدول امن الدول الأخرى على أنها تقييم لنفسها و قدراتها و هنا تدخل تصورات الدول و ادراكاتها ، و هكذا فان الفوضى ـــ لن تلعب نفس الدور الذي تلعبه عند الواقعيين الجدد ـــ ولن تؤدي إلى الاعتماد على الذات [118]فالفوضى إذا هي نتاج ما تصنعه الدول و ليست قانون مسبق، فحسب Wendt. :Anarchy is what state make of it لذلك الفوضى بالنسبة لهم ليست ذات أهمية ذلك أن سلوكيات الدول تظهر من خلال سلوكيات الأفراد أو صناع القرار فإذا اعتمد صناع القرار على التعاون فان الفوضى تلغى خلاصة القول :الفوضى هي بنى اجتماعية و ليست طبيعة للنظام الدولي.

2-المعضلة الأمنية عند البنائيين:

يجادل الكسندر وندت أن معضلة الأمن هي بنية اجتماعية تتألف من مفاهمات ذاتية بين الأفراد تكون فيها الدول على درجة من عدم الثقة بالدول الأخرى بحيث انها تفترض أسوء الإحتمالات بشأن نوايا بعضها اتجاه بعضها الآخر ، و نتيجة لذلك فإنها تحدد مصالحها من منطلقات "العون الذاتي " و في دراسته يجادل بأن معضلة الأمن و الحروب تنجم عن النبوءات التي تحقق ذاتها. إن منطق المعاملة بالمثل يعني أن الدول تحصل على معرفة مشتركة بشأن معنى القوة و أنها تتصرف بناء على ذلك ، و يجادل أيضا أن سياسات الطمأنة أن تساعد على تحقيق بنية للمعرفة تستطيع أن توجه الدول نحو تكوين جماعة أمنية تتمتع بدرجة أكبر من السلام .

يرى وندت أننا نبالغ في الافتراض إذا كنا نفكر بأن الدول لديها هويات و مصالح قائمة قبل التفاعل. فلا يوجد ما يسمى بمعضلة أمنية تلقائية للدول،إن مثل هذا الادعاء أو ذلك الذي يقول :إن الدول هي في وضع الأفراد في مثل " **صيد الوعول**" [119]الشهير لروسو، يفترض مسبقا أن الدول قد حصلت على مصالح أنانية و هويات قبل عمليات

---

[118] -Zehfuss (Maja); **Constructivism in International Relations**: **The Politics of Reality** .Op;Cit p 290.

[119] – يفترض جون جاك روسو في مثل الوعول ما يلي : أن خمسة رجال اكتسبوا مقدرة بدائية على التكلم و فهم احدهم الآخر ، تصادف وجودهم معا و كانوا جميعا جياعا و كان يمكن ان يشبع كل منهم إذا تناول خمس من لحم الغزال، لهذا اتفقوا على التعاون فيما بينهم كي يوقعوا بالغزال في الفخ ، لكن جوع أحد منهم يمكن ان

تفاعلها ، بدلا من ذلك فإن المساعدة الذاتية لا تظهر إلا جراء التفاعل بين الدول. و يجادل ضد أدعياء الواقعية الجديدة بأن المساعدة الذاتية تعطى من قبل البنية الفوضوية بمعزل عن العملية و يقول أن المساعدة الذاتية و سياسة القوة لا تنجمان منطقيا أو عفويا من الفوضى ،و إنما يعود ذلك إلى العملية لا البنية، فلا يوجد منطق للفوضى بمعزل عن الممارسات التي توجد و تعطي صفة فورية لبنية من الهويات و المصالح بدلا من بنية اخرى ، فالمساعدة الذاتية و سياسة القوة مؤسستان و ليستا سمتين أساسيتين للفوضى فهذه الأخيرة هي ما تفعله الدول بنفسها .[120]

عموما فّإن البنائيين يجادلون بأن معضلة الأمن ليست مسألة قضاء و قدر إلا أنهم يختلفون حول ما إذا كان بالإمكان تفاديها . و يرى البعض أن كون التركيبات تبنى اجتماعيا لا يعني بالضرورة أنه يمكن تغييرها و يتجلى ذلك في ملاحظة وندت بان "البنى الاجتماعية تفيد التصرف في بعض الأحيان لدرجة تصبح الاستراتيجيات التحويلية متعذرة " . غير أن كثيرا من الكتاب البنائيين أكثر تفاؤلا ، فهم يشيرون إلى التغيرات التي طرأت على الأفكار التي طرحها غورباتشوف خلال النصف الثاني من الثمانينات القرن العشرين، و التي أدت إلى معرفة مشتركة بشأن الحرب الباردة و عندما سلم الطرفان بأن الحرب الباردة قد انتهت، فإنها انتهت بالفعل.

حسب هذا الرأي فإن فهم الدور الحاسم للبنية الاجتماعية دو أهمية في تطوير سياسات و عمليات التفاعل التي من شانها أن تفضي إلى التعاون بدلا من الصراع. و يرى المتفائلون أنه يوجد تراخ كاف في النظام الدولي يسمح للدول بأن تتبع سياسات التغير الاجتماعي السلمي بدلا من الانخراط في الصراع على حيازة القوة ينطوي على المنافسة الأبدية.و تستند أفكار البنائيين إلى أن البنى الأساسية للسياسة الدولية تنشأ اجتماعيا و ان تغيير الطريقة التي نفكر بها في شأن العلاقات الدولية يمكن أن يساعد على تحقيق درجة أعلى من الأمن الدولي.
كما يسلم روادها بكثير من الافتراضات الواقعية الجديدة لكنهم يرفضون الرأي المتعلق بالبنية التي تتألف من القدرات المادية فحسب بل يؤكدون على أهمية البنية الاجتماعية التي تحدد من منطلقات المعرفة و الممارسات المشتركة فضلا عن القدرات المادية.[121]

و عموما فان البنائية تتفق مع الواقعية الجديدة في تفسيرها للصراعات على :

- أهمية القوة (عدم اهمال الجانب الصلب).
- الدول فواعل رئيسية في النظام الدولي .
- فوضوية النظام الدولي .
- الاعتراف بالقدرات الدفاعية للدول .

يزول إذا تناول أرنبا و هكذا و حين أصبح الأرنب في أيديهم قبض عليه أحدهم و هي الوسيلة التي يسد بها جوعه ، و هي نفس الوسيلة التي تسمح للغزال بالنجاة من الفخ، و علية تغطي المصلحة المباشرة لهذا المنشق(الذي عثر على الأرنب) على اعتبارات رفاقه.

[120] – بيليس (جون) و سميث (ستيف)، المرجع سابق الذكر، ص396-398 .

[121] – نفس المرجع السابق ص 435.

- انعدام الثقة في نوايا الآخرين .

و عليه فالبنائية في المقام الأول وتسعى لإثبات تعدد الجوانب الأساسية للعلاقات الدولية و عدم حصرها في القوة العسكرية أو الاقتصاد ، خلافا لافتراضات من الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة ،فالكسندر وندت يدعو الى يتزايد قبول اثنين من المبادئ الأساسية للبنائية " إن البنية المجتمعية للإنسان مصممة في المقام الأول من قبل افكار مشتركة بدلا من العوامل المادية ، و إن هويات ومصالح الفواعل شيدت من قبل هذه الأفكار و ليس بالنظر إلى الطبيعة". [122]
و عليه فإن أهمية المنظور البنائي ، تكمن في إعادته الاعتبار للفاعلين الاجتماعيين و التفاعلات الاجتماعية ، و بخاصة منها المرتبطة بالديناميات القومية و الثقافية التي أصبح لها دور حيوي في الساحة الدولية ، و هو يرتكز على التعددية التفسيرية في فهم الظواهر الدولية بربطها بسياقها الاجتماعي والهدف من هذه النظرية هو فهم كيف أن الهوية الوطنية التي يتم اختيارها من قبل النظام السياسي تؤثر على السياسة الخارجية خاصة و السياسة الدولية أو كيف تؤثر هذه الاخيرة على الهوية وببساطة تشكل الهوية أساس مدركات التهديد والفرص والمصالح. فطالما تتحدد هذه الهوية فسيتابع اللاعبون في المجتمع مصالحهم الخاصة تبعا لذلك. و من ذلك يمكن استخلاص أن الطرح البنائي لتفسيره ظاهرة الصراعات المعاصرة يسهم في رسم أكثر الصور إقناعا عن صراعات اليوم في عهد نظام عولمي و المتجددة لما بعد مرحلة الحرب الباردة ، و يمكن القول أن حقل العلاقات الدولية كان بحاجة إلى مقاربات جديدة كالبنائية لتفسير أجزاء من السياسة الدولية حتى لو بقيت النظرية الواقعية قادرة على التعامل مع جوانب سياسة القوة،،و يبقى القول أن النظرية البنائية في تفسيرها لظاهرة الصراعات الدولية لم تلغي التفسير الواقعي و هو زاد من قوة تلك النظرية التي تجمع بين الصلب و اللين، بين القوة المادية و الثقافة فهي بذلك دعمت طرح البعد الثقافي كمنظور لا يقل أهمية المنظورات الداعمة للقوة أو الاقتصاد ورغم ذلك فإن الأخذ بالاثنين سيكفل بالإحاطة بجميع الحيثيات الواجب التطرق لها لدى معالجة أي نوع من أنواع الأسئلة الخاصة بمجال الصراعات خاصة الثقافية منها و التي يكون أسباب نشوئها عائد لمكون من مكوناتها كاللغة أو الدين ...... و هو ما سوف يتم التطرق له في الفصل الثاني .

[122]- Zehfuss(Maja), **Constructivism in International Relations**: **The Politics of Reality**, Op;Cit p 289 .

الفصل الثاني

مكانة البعد الثقافي في العلاقات الدولية و أهمية مكوناته في تفسير الصراعات المعاصرة

- المبحث الأول: الإطار العام للثقافة
- المبحث الثاني: البعد الثقافي في العلاقات الدولية
- المبحث الثالث: تأثير مكونات البعد الثقافي و دورها في تغذية الصراعات المعاصرة

الفصل الثاني

بعد التطرق في الفصل الاول الى الأدبيات النظرية للصراع و مصادره و كذا أنواعه و من ثمة تحول طبيعته من صراعات دولية الى داخلية و من صراعات ذات أبعاد ايديولوجية و اقتصادية إلى أخرى ذات أبعاد هوياتية وحضارية و مدى الصعوبة التي تعرض لها حقل التنظير في العلاقات الدولية إثر هذا التحول، يأتي الفصل الثاني ليضيف أهمية على ما سبق من خلال تبيان مكانة البعد الثقافي في العلاقات الدولية و أهمية مكوناته و كذا دورها في تغذية الصراعات المعاصرة وعرض مختلف الاتجاهات النظرية المؤيدة و المعارضة لدور المنظور الثقافي كمنظور قيمي مفسر للصراعات المعاصرة و ذلك من خلال التطرق الى ثلاث مباحث.

المبحث الأول : الإطار العام للثقافة

المطلب الأول : الثقافة كمفهوم .

إن الأهمية المركزية لمفهوم الثقافة تستوجب الحرص على أن يكون واضحاً لكل من يستخدمه وهذا يقتضي التعرّف عليه تعرُّفا دقيقا لتتضح دلالاته و هو ما يستوجب تعريفه بالتطرق إلى أكثر من بعد و مفكر هذا لا ينفي اعتمادنا على تعريف تايلور و الذي بمقارنته مع العديد من التعريفات الأخرى سنستخلص أهم المكونات المشتركة المكونة لمفهوم الثقافة و التي بموجبها يمكن طرح تعريف إجرائي للثقافة حسب الزاوية الفكرية التى نراها مناسبة لمشروع البحث .

I– تعدد تعريفات مفهوم الثقافة :

إن مفهوم الثقافة من بين أكثر المفاهيم تعقيدا و قد كان هذا مدعاة الاختلاف بين العلماء في تعريف ماهية الثقافة أو طبيعتها أو مكوناتها فمن العلماء من استخدمها ليصف سلوكا لطبقة اجتماعية معينة و استخدمها البعض الآخر ليعبر عن طاقة المجتمع على الخلق و الإبداع و استخدمه فريق ثالث للتعبير عن مستوى تعليمي او ثقافي معين و من العلماء من اعتبر الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة و منهم من اعتبره مختلفا عنه ، و منهم من يعبر عن العناصر المادية و المعنوية القائمة في المجتمع و منهم من يعبر به عن العناصر المعنوية فقط[1]، لذا نجد الدراسات التي تناولت مفهوم الثقافة أملت لنا العديد من التعريفات التي تناولت كل منها جانبا من جوانب الثقافة و في البدأ لا بد من القول أن كلمة الثقافة في اللغة العربية مترجمة عن الكلمة و المصطلح اللاتيني Culture و هي مأخوذة من أصل الألماني Kultureو تعني فلاحة الأرض و إخصابها هذه الكلمة جذرها cult ومعناها: عبادة ودين، ومن مشتقاتها cultivation ومعناها: حراثة، تعهد، تهذيب، رعاية، و cultural ومعناها ثقافي، مستولد. و يعبر عادة في أدبيات علم الاجتماع و اثنوغرافية و العلوم الاثرية و بعض الأدبيات الأخرى[2] عن نشاط هادف للشعوب و لأية جماعة بشرية حتى البدائية جدا منها بغرض امتلاك القوى و المنابع الطبيعية بغرض تطور الإنسان و سموه الذاتي .

[1]– عبد الحميد أحمد رشوان(حسين)،" **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي** "،(مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية ، مصر،بدون طبعة 2006) ص 4

[2]– على خريسان (باسم)، **العولمة و التحدي الثقافي** ،(دار الفكر العربي مؤسسة ثقافية للنشر و الطباعة،بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001) ص 30 .

الفصل الثاني

لقد استعمل العرب كلمة الثقافة للدلالة على معاني متعددة كالحدق و سرعة الفهم و التهذيب و تقويم المعوج و غيرها من المعاني ففي اللغة العربية و كما جاء في معجم لسان العرب : ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا حفيفا ورجل ثقف أي حاذف الفهم و المهارة و ذو فطنة و ذكاء و المراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه و يقال ثقف الشيء و هو سرعة التعلم[3] الجذر اللغوي للكلمة ثقافة هو الفعل الثلاثي "ثَقفَ" أو "ثَقُفَ" بمعنى حَذَق أو مَهَرَ أو فَطَنَ (أو فَطِنَ) أي صار حاذقاً ماهراً فطناً فهو "ثَقِفٌ"، وقد ثَقِفَ ثَقَفاً، و"ثَقَافَةً"، وثقَّف الشيءَ أقام المعوَجَّ منه وسواه، وثقَّف الإنسانَ أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه.[4]

كان ذلك لغة أما اصطلاحا منذ ربع قرن أو أكثر ظهرت تعريفات لمفهوم الثقافة فقد استعرض الفريد كروبير AL.Kroeber و كلايد كلاكهون C.Kluckhon في كتابهما المعنون" **الثقافة عرض نقدي للمفاهيم و التعريفات** " الى أن هناك ما بين 150 الى 164 تعريفا للثقافة و المفاهيم المرتبطة بها [5] و كان في مقدمة هذه التعريفات ذلك الذي قدمه تايلور ، فقد حظيت الثقافة بمحاولات تعريفية عديدة و خرجت كل محاولة كالعادة بالنسبة للمعطيات الفكر الإنساني لتعكس خلفية معينة عايشها صاحبها و على سبيل المثال ما ذهبت إليه المدرسة الغربية إلى اعتبارها نتاج فكر الإنسان في الوقت الذي نظرت فيه المدرسة الماركسية الى الثقافة على أنها ثمرة مجتمعية كطبيعتها في النظر إلى مختلف الأمور.[6] إلا أن هذا الأمر ليس بهذه البساطة حيث أن مصطلح الثقافة من أكثر المفاهيم تناولا و من أكثرها أيضا غموضا و على أي حال فمن المعترف أن هناك شبه اتفاق بين علماء القرن 19 و أوائل القرن 20 على الأخذ بالتعريف الشهير الذي وصفه العالم البريطاني إدوارد تايلورE.B.Tylor و الذي كان أول من وجه الأنظار الى تعريف الثقافة في كتابه " **الثقافة البدائية** " Primitive Culture في عام 1871 الذي ركز فيه على الجانب المعنوي أو غير المادي و فيه حدد الثقافة بقوله ***" إن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفنون و القانون و الأخلاق و العادات و العرف و كافة المقدرات و الأشياء***

[3] - زعيمي (مراد) ، **دراسات نقدية :علم الاجتماع –رؤية نقدية** ،(مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية،قسنطينة ، الجزائر ،بدون طبعة،2003)ص 245-246 .
و يمكن أيضا التوسع في الموضوع لدى على (خريسان باسم) ، **العولمة و التحدي الثقافي** ،(دار الفكر العربي مؤسسة ثقافية للنشر و الطباعة،بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001) ص 31.

[4]- بن نبي (مالك) ،**مشكلات الحضارة :مشكلة الثقافة** ،(دار الفكر،دمشق ، الطبعة الرابعة ، 2000) ص 19 .

[5]- عبد الحميد أحمد رشوان(حسين)،" **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي** " مرجع سابق الذكر ص 9 .
في هذا المجال ذهب كلاكهون أن عامل السلوك المكتسب أو المتعلم أي المنقول عن طريق اللغة و الرموز و الانجازات التي تميز الجماعات الإنسانية بما في ذلك الأشياء المصنوعة يعتبر ركنا هاما في تعريف الثقافة و يضاف الى ذلك الأشكال الأخرى للتفاعل الرمزي و الصفات المكتسبة كالمعرفة و الخبرة و المهارة و الحقائق و الفنون و أنواع التقدم العلمي و القيم و المعتقدات و الانحراف و العادات و تكون هذه العناصر في مجملها وجهة النظر المشتركة فيما بين الأفراد .

[6] - محمد اسماعيل (فضل الله) – عبد الرحمن (خليفة)،**في الأيديولوجيا و الحضارة و العولمة**، (مكتبة المعرفة لطبع و نشر و توزيع الكتب، مصر الطبعة الأولى، 2001) ص 155 .

الأخرى التي تؤدي من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع "[7]

و يرتكز التعريف على سمتين رئيسيتين هما التأكيد على النظر الى الثقافة باعتبارها وحدة متكاملة و الكل المركب الذي يضم مكونات الثقافة المتعددة و التي يترجمها بالرموز بكل تلك القيم والمعتقدات و العادات و التقاليد و العرف. في المقابل تأثر كثير من الباحثين العرب بما ذهب اليه تايلور خاصة توأمته لمفهومي الثقافة و الحضارة و منهم تعريف **مالك بن نبي**[8] و غيره [9]والذي لا يفرق هو الآخر الثقافة من الحضارة شأنه في ذلك شأن تايلور إذ يقول" *الثقافة بما تتضمنه من **فكرة دينية** نظمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم- لا يسوغ أن تعتبر علما يتعلمه الإنسان بل هي محيط يحيط به ،و إطار يتحرك داخله،يغذي الحضارة في أحشائه فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر و تتشكل فيه كل جزيئه من جزيئاته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه*" .[10] و يظهر من هذا التعريف نفيه ان تكون الثقافة علما بقدر ما هي عملية اكتساب و تركيزه على المكون الديني الذي اعتبره أساس الذي تقوم عليه الثقافة . وهذه التعريفات تبرز بشكل واضح أهمية العقيدة ودور الدين في صنع الثقافة وتوجيه سلوك الإنسان أولا و أهمية هذا المكون في تكوين الثقافة ثانيا[11] .

كروبر « KROBER »فيعرفها بأنها *مجموعة ردود الفعل الحركية المكتسبة و المتناقلة و **العادات** و التقنيات و الأفكار و **القيم** و السلوك الذي يؤدي إليها* . [12] و في هذا التعريف يتم الجمع بين العادات و القيم . أما ويسلر يعرِّفها بقوله: «*الثقافة كل الأنشطة الاجتماعية في أوسع معانيها مثل **اللغة** والزواج ونسق الملكية والاتيكيت والفن*» و يضيف الى مفهوم **كليف بروان** للثقافة تشابكا و يعتبرها : «*هي عملية اكتساب **التقاليد** الثقافية وهي العملية التي تنتقل بها **اللغة والمعتقدات** والأفكار والذوق والمعرفة والمهارات والاستخدامات في مجموعة اجتماعية معينة أو طبقة اجتماعية من جيل إلى آخر*» . أما **لووي** فَيُعَرِّف الثقافة بأنها: «*ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه تلك **المعتقدات والأعراف والمعايير** الجمالية وعادات الطعام والحرف التي لم يُعَرِّفها الفرد نتيجة نشاطه الابتكاري بل عرفها كتراث الماضي ينتقل إليه بواسطة التعلُّم الرسمي وغير الرسمي*».

---

[7] - Tyler wrote that culture" is that complex whole which includes knowledge, belief, art, law, moral, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of society".

[8]- تقول بن نبي أن الثقافة لا تزال تحتاج في اللغة العربية تحتاج الى عكاز أجنبي مثل كلمة Culture كي تنتشر مأخوذ من كتابه **مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة** ص 25 .

[9]- بعض المفكرين العرب المتأثرين بالتعريف التايلوري رأوا في الثقافة بعدها المعنوي دون المادي . **فاسماعيل صبري عبد الله** يرى أن الثقافة "هي الإنتاج الفكري الرفيع " و **محمد بيومي** يرى أنها " تشير إلى الأساليب التي يستخدمها الإنسان و عاداته و تقاليده و أنظمته و قيمته و الطرق التي يفسر بها العالم الطبيعي و الإنسان " و هذا ما ذهب اليه **حيدر ابراهيم** على مع تركيزه على الجانب اللغوي في الثقافة و يعتبرها " شكل من أشكال السلوك و أنماط التفكير المتسبين و تنتقل من جيل إلى لآخر و بين أفراد المجتمع الواحد .

[10] – محمد اسماعيل (فضل الله) – عبد الرحمن (خليفة)،**في الأيديولوجيا و الحضارة و العولمة** مرجع سبق ذكره ص 246 .

[11]– ميلاد (زكي)،**المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية في الثقافة**، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى 2005) ص 76-78 .

[12] – أحمد بن نعمان ، **هذي هي الثقافة** ،(شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر ، الطبعة الاولى1996) نفس المرجع ص 20 .

الفصل الثاني

بالنسبة لاقتراح بأن الثقافة في المقام الأول يشير إلى نظام فكري ، مع عواقبه أو نتائجه السلوكية ، ومعتمد من قبل علماء السياسة مثل Guy-Olivier Faure وSjöstedt Gunnar الذين عرفا الثقافة بوصفها".. *مجموعة من المعاني المشتركة والدائمة ، **القيم** ، **والمعتقدات** التي تميز مجموعات قومية أو إثنية أو غيرها ، وتوجيه سلوكهم*" أما تعريف Keesing للثقافة فوصفها انها "*منظومة من **العادات والمعتقدات والقيم** والمعاني المشتركة في المجموعة*" وتتضمن حسب Keesing"*تنظيم نظام المعرفة والاعتقاد بموجبه الأفراد يبنون تجاربهم وتصوراتهم.. وهذا الاحساس بالثقافة يشير إلى عالم الأفكار*". [13]

و قد ورد في تعريف الثقافة الصادر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية تحت إشراف اليونيسكو المنعقد بمكسيكو 06 أوت 1982 أنها" *جماع السمات الروحية و المادية و الفكرية و العاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها و هي تشمل الفنون و الآداب و طرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان و نظم **القيم و التقاليد و المعتقدات*** "."[14]. و الثقافة بهذا المعنى هي الطابع العام الذي يميز شخصية أي مجموعة سكانية قاطنة في رقعة جغرافية و يرسم الحدود النفسية و التواصل المعنوي بين هؤلاء الأفراد الساكنين داخل الوطن الواحد و هو التعريف الذي يضم أكثر من مكون [15] و عليه فكلمة الثقافة تشير إلى حقيقة من طراز معقد ذات أبعاد و لآفاق واسعة و مكونات و عناصر متعددة و مدلولات و اتجاهات متنوعة لذلك يصعب أن يختزل و أن تندرج ضمن إطار تعريف مبسط و نهائي فهي تترادف أحيانا و تتداخل مع مصطلحات أخرى كالحضارة و الهوية و الإيديولوجية .[16]

في هذه الدراسة يتم الاكتفاء بهذه التعاريف المختلفة للثقافة للتدليل على عدم اتفاق العلماء على صيغة موحدة العناصر لمفهوم الثقافة غير ان اختلاف الصيغ و تعدد العناصر و المكونات التي تضمنتها هذه التعاريف لا يمنع من استنتاج بعض النقاط الأساسية المتعلقة بالثقافة – و التي ستكون مدخلا لتحديد المكونات المهمة للثقافة و التي تمثل القاسم المشترك بين جميع التعاريف و إن ذكرت في تعريف و حذفت من آخر و تكون القاعدة التي سيتم من خلالها التفرقة

---

[13] - Bercovitch (Jacob) and Elgström (Ole); **CULTURE AND INTERNATIONAL MEDIATION: EXPLORING THEORETICAL AND EMPIRICAL LINKAGES**, International Negotiation, Volume 6, Number 1, 2001 , pp. 3-23(21) p 3.

–الأفكار والمعاني ، والافتراضات الثقافة تشكل تصوراتنا ، وهوياتنا. كما تساعدنا الثقافة على تفسير وبناء المعلومات الواردة. أنها تحدد قواعد التفاعل تعطي معنى لمنطقتنا وغيرها من 'السلوك. بعبارات أكثر تحديدا ، الثقافة ، يرتبط ارتباطا وثيقا نظم القيم السائد في المجتمع ، مثل الدين وغيرها من مصادر القيم التقليدية ، وأيضا باللغة وغيرها من نظم رمزية" العادات و التقاليد و المعتقدات ".

[14] - **Définition de la culture par l'UNESCO ;** Déclaration de Mexico sur les politiques culturelles. Conférence mondiale sur les politiques culturelles, Mexico City, 26 juillet – 6 août 1982. http://www.jura.ch/acju/Departements/DED/OCC/Documents/pdf/Unesco.pdf

و للمزيد من الاطلاع يرجى النظر في :

– الزيدي(المنجي) ،"**الثقافة و المال: دراسة في مستقبل التنمية الثقافية في الوطن العربي** "،(المستقبل العربي،جويلية2003 العدد 293 السنة 26) ص 59 .

[15] – علي خريسان(باسم)، **العولمة و التحدي الثقافي** ،(دار الفكر العربي مؤسسة ثقافية للنشر و الطباعة،بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001) ص 32 . 33

[16] – ابراهيم بغدادي (عبد السلام): **الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا** , (مركز الدراسات الوحدة العربية , بيروت لبنان , الطبعة الاولى 1993) ص 21

بينها و بين مختلف المفاهيم ذات الصلة و سيظل تعدد هذه التعاريف و اختلاف صيغها أمرا طبيعيا يفرضه تعقد الحياة الإنسانية عموما و حداثة الاهتمام بدراسة الظواهر الثقافية بصفة خاصة و هو ما يستدعي عرض وجهة نظر شخصية و هنا نستطيع القول أن :

- المشكلة ليست في الافتقار الى تعريف لفهوم الثقافة و إنما في زيادة العرض من هذه التعريفات و من ثمة تفضل بعض الباحثين ترك مسألة التعريف مفتوحة .
- الثقافة من المفاهيم المركبة و ليست من المفاهيم البسيطة لا تتحقق وجودا و فعالية إلا بتعاضد تلك الأجزاء و العناصر.
- الثقافة من عملية اجراء مقارنة بين تعريفات متعددة وجدنا أن معظم تلك التعريفات تشترك في بعض العناصر أو المكونات دون غيرها و هذه المكونات تبدأ من العقيدة و اللغة كأول مكونين رئيسيين في تكوين الثقافة و هذا لشدة الترابط بين الثلاثة مرورا بالقيم وصولا الى العادات و التقاليد و الأعراف، و التي تشكل مجتمعة روح الثقافة .

التعريف الاجرائي :إذا تم تبسيط الموضوع قليلاً، و تم تجنب محاولة تعريف الثقافة تعريفا جامعا مانعا كما يقال، و الاكتفاء بالحديث عن الثقافة كمفهوم حديث أو كمصطلح مبني على أساس عدة مكونات، فلربما يمكن القول أن: " **الثقافة هي الوعاء الكلي و المركب التراكمي الذي يضم كمحصلة أولية مكونات كالمعتقدات و القيم و الموروث اللغوي باقي الرموز العادات و التقاليد و الأعراف إضافة الى العلوم والمعارف والأفكار و الفنون والآداب والأخلاق والقوانين والموروثات التاريخية التي تشكل نتاج الأنشطة الإنسانية و التي تتفاعل في إطار مجتمع معين "**

هذا **التعريف الاجرائي** يمكن أن يحدد المكونات التي سنعتمد عليها في دراستنا للثقافة و تأثير مكوناتها في اثارة الصراعات ذات الطابع الثقافي – في إطار مجتمعي – و المحددة مسبقا بالدين و اللغة و القيم و العادات و التقاليد و العرف من جهة كما انه سيمنحنا فكرة عن التفرقة بين الثقافة و غيرها من المفاهيم ذات الصلة فكثيرا ما تساءل المفكرين عن الثقافة،: أهي المعرفة؟ أم هي الايديولوجيا ؟ أهي الحضارة أم هي العقيدة أم التاريخ أم الأخلاق أم الأفكار والفنون والآداب.. أم، أم.. وكان الجواب دائماً بالنفي. و كثيرا ما أجمعوا أن تلك بعض مكوناتها فمثلا عند التطرق إلى الثقافة على أنها عموم العلوم و المعارف فهو مدخل لمعرفة العلاقة الضبابية بين الثقافة و الحضارة أما الإشارة إلى الثقافة كمجموع الأفكار فقد يعني ذلك ضمنيا التكلم على الايديولوجيا باعتبارها علم الأفكار بينما ربط الثقافة المفردات و مكوناتها بالتاريخ فهو يفضي إلى الحديث عن الهوية القائمة على التاريخ لإضافة إلى كل من الدين و اللغة و القيم و العادات و التقاليد و الأعراف و تفاعلها المستمر يعمل على تشكيل ما يسمى الهوية الثقافية.و

هو ما سوف يتم التطرق اليه بالتفصيل في المطلبين التاليين [17] لكن قبل ذلك وجبت الاشارة الى أن تعدد الثقافات قد يجعل من الثقافة الكلية مجزأة الى ثقافات فرعية تخلق بدورها هويات و اديولوجيات متمايزة عن تلك الموجودة و يمكن توضح ذلك من خلال التطرق الى الثقافة الكلية و الفرعية.

الثقافة الكلية و الثقافات الفرعية Subculture

يشغل البعد الثقافي أهمية بالغة في تحديد الهوية لأي جماعة وطنية , إزاء الغير من الجماعات الوطنية الاخرى وتأتي أهمية من تداخل هذا البعد في جوانب كثيرة منه مع البعد الاثني الى درجة يصعب فيها في بعض الحالات تمييزهما عن بعضهما البعض و ذلك بحكم أن لأية جماعة اثنية ثقافتها الخاصة[18] و يأتي الحديث عن الصلة بين البعدين الثقافي و الاثني كون هذا الأخير له تأثير و دور في خلق الثقافة الفرعية و ذلك بعد تأكدنا أن لكل جماعة اثنية ثقافتها المميزة عن الثقافة الأم أو غيرها من ثقافات الأخرى و عموما فالثقافة هي أسلوب الحياة في المجتمع و الثقافة الفرعية في أي مجتمع هي جزأ فرعي من الثقافة القومية أو الكلية في المجتمع ، إنها طريقة الحياة التي تعيشها الأقلية أو جماعة من الناس يشتركون في أنماط متميزة من القيم و المعتقدات و تتميز طريقة حياتهم عن الثقافة الكلية التي تسود المجتمع الأكبر في بعض الأنماط السلوكية الخاصة بهم و هي بذلك تشير إلى أسلوب الحياة الذي تعيشه أقلية متضمنا ذلك أنماطا متميزة من القيم و المعتقدات ، و أنماط السلوك و تختلف مظاهر الحياة فيها عن مظاهر الحياة عند الأغلبية من الناس . و يقرر J.M.Yenger أن الثقافة الفرعية ليست ذات شكل واحد من حيث علاقاتها بالثقافة الأم و حيثما تتطور الثقافة الفرعية لتأخذ شكل القيم المضادة تدخل في صراع مع المجتمع الأكبر و عندئذ تنقلب الثقافة الفرعية إلى ثقافة مضادة Contraculture ويجوز لنا أن نربط الثقافات الفرعية بالتعدد الثقافي ذلك أن نشأة الثقافات الفرعية يؤدي في نهاية المطاف الى انتشارها و تفرعها و بالتالي تعددها و إذا ما ألقينا نظرة عامة على خريطة العالم نجدها تدل على أن التعدد الثقافي قد أضحى يمثل السمة لغالبية دول العالم على اختلاف مستوياتها الاقتصادية , فقد كشفت إحدى الدراسات التي أجريت في السبعينات[19] أنه من بين 132 دولة في العالم لا توجد سوى 12 دولة تتمتع بالتجانس الثقافي بينما تتراوح درجة التعدد الثقافي بين 10 و 50 بالمئة فيما تبقى من الدول لذلك من النادر أن نجد دولا معاصرة متجانسة تماما من الناحية اللغوية أو الدينية أو القومية و غير ذلك باستثناء دولتي كوريا الشمالية و الجنوبية اللتين تتمتعان بتجانس اثني كامل 100 بالمئة .

---

[17]- محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية-دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات**،(برنامج الدراسات الحضارية و حوار الثقافات-كلية الاقتصاد و العلوم السياسية-جامعة القاهرة،مصر 2007) ص 96 .

[18]- ابراهيم بغدادي (عبد السلام): **الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا** , مرجع سابق الذكر ص 21 .

[19]- نفس المرجع السابق ص 19 .

إن لمثل هذه الثقافات الفرعية و لا سيما تلك التي تتعلق بثقافة الأقليات الاثنية , علاقة وثيقة بطبيعة الوحدة الوطنية القائمة في أي كيان سياسي لأنها قد تفعل أثرها باتجاه معاكس لاتجاه الثقافة الوطنية العامة بحيث أن الاستقرار الذي يفهم على أساس أنه منبعث عن ثقافة مشتركة قد يفتقد و قد يتعرض الشعب إلى ضغوط تتعاكس في ما بينها متأتية عن أنماط السلوك الذي التي تتطلبها الثقافة الوطنية الأوسع و هذا ما قد يؤدي في بعض الحالات الى التعارض ما بين الانتماءات الخاصة و الانتماء الوطني .

ففي الدول المتقدمة التي استطاعت أن تحقق وحدتها الوطنية و انتبني مؤسسات سياسية مستقرة استطاعت بخط متواز لذلك تطوير الثقافة الوطنية شاملة و قوية و مشتركة بين عدد كبير من المواطنين و يمكنها ذلك من ان تتعايش الثقافات الفرعية مع الثقافة الوطنية الوطنية المستقرة في سويسرا مثلا توجد ثلاث ثقافات فرعية أساسية هي الثقافة الألمانية و الثقافة الفرنسية و الايطالية و في الوقت نفسه توجد على وجه الإجمال ثقافة وطنية سويسرية مشتركة بين جميع سكان سويسرا [20].

عموما نستطيع تبيان دور العامل الثقافي و مكوناته ليس فقط من خلال هذا المطلب و انما من خلال التطرق اليه اكاديميا و معرف الجهات المؤيدة له من المعارضة لإضافة الى تقصي الدور الذي لعبه و الذي لا يزال يلعبه في استراتيجيات الدول و المنظمات و هذا التأثير يقودنا بدوره الى الكلام المستفيض على مكوناته الأكثر جدلا في العلاقات الدولية و هو ما سيظهر تباعا في المباحث و المطالب اللاحقة.

المطلب الثاني : الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالحضارة :

يمكن الحكم من خلال كل محاولات التعريف تطرقت حتى الآن الى أن مقومات الثقافة تشترك كلها في خاصية واحدة و هو عدم وقوعها في عالم المحسوسات فماذا لو انتسبت تلك المقومات الى الماديات ؟ هذا التساؤل قد يفضي الى ارتباطها أو تعالقها مع مفهوم ظل هو الآخر يكتسب نفس الأهمية العلمية التي حضيت بها الثقافة و هو الحضارة . فهل توضيح مفهوم الحضارة سيساعد على فهم أفضل لمفهوم الثقافة ؟ و هل معرفة الطبيعة الاتصالية بين المفهومين سيعطي دفعا أفضل لمعرفة أعمق بأطروحات أكاديمية [هنتغنتون مثلا] أو بقضايا و أحداث دولية [الصراعات ذات الطابع الثقافي] ؟ لذلك يمكن البدء أولا بتوضيح المفهوم و صعوبة تعريفه و تقديم بعد ذلك العلاقة بين كلا المفهومين بكامل تفاصيلها.

الحضارة بصورة عامة هي نتاج الإقامة في المناطق الحضارية و ما يتبع ذلك من مظاهر الرقي العلمي و الأدبي و الاجتماع أكثر من هذه و تلك يرتبط بالماديات بقدر ما يرتبط بالمعنويات إلا أن البعض يجعل من الماديات تأخذ القدر الوافي و هو ما يؤكده ابن خلدون الذي كان يستخدم العمران البشري و كأنما يعني به الحضارة، و يكون

[20]- نفس المرجع ص 58-59

المضمون بذلك أسبق من الكلمة ، و هناك تعريفات لا حصر لها تناولت هذا المفهوم بكثير من الاهتمام منها : موسوعة السياسة :***" إنها مجموعة المنجزات الفكرية و الاجتماعية و الأخلاقية و الصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته نحو الرقي و التقدم***، إلا أن البعض يركز في استخدام المصطلح على الناحية الثقافية،بينما يستخدمها البعض الآخر على أساس أنها **سيادة العقل في المجتمع** أما استخدامها المعاصر فقد شدد على ما تضمنه من تطور علمي و التكنولوجي و ما يفرزه هذا التقدم من انجازات في الميادين الأخرى من الحياة" .[21] و قد ذهبت موسوعة The World Book Encyclopedia إلى أن الحضارة" ***مصطلح يستخدمه الاجتماعيون في التعبير عن الحياة لشعب ما ، بحيث انها تنقسم إلى الأفكار و الأشياء و طرق تحقيق الأهداف التي تضعها الجماعة لنفسها***ّ ،***و من ثمة فإنها تتضمن اللغة و الفن و العقيدة و العرف و التقاليد و المخترعات التكنولوجية، و هي تتركب من طرق مكتسبة التصرف و التفكير أكثر منها طرق بيولوجية مفروضة على الانسان لا دخل له فيها "*** .[22] يظهر في هذا التعريف الجمع بين البعدين المادي و المعنوي ، يوجد بعد آخر ارتبط بالحضارة و نال قدرا كبيرا من اهتمامات فلاسفة الحضارة و هو البعد الديني إلى غاية أن من الفلاسفة من ذهب صراحة إلى أن الدين هو البعد الأصيل الذي تقوم عليه الحضارات و منهم أرلوند توينبي[23] و الالتزام الذي ظل يدعو به طوال حياته إلى تفسير تواجد و تعاقب الحضارات عن طريق الدين .

عن الثقافة و الحضارة :

هناك قضية تقليدية تواجه الباحث عند معالجته لموضوع و هي قضية الفرق بين الثقافة و الحضارة و نسجل دائما آراء متباينين وكغيره من المفاهيم لا يوجد معنى واحد للحضارة بلغ درجة الإجماع و لو استعرضنا معنى الحضارة نجدها تنقسم إلى

-أن الحضارة هي شكل من أشكال الثقافة و استخدام كلمتي الثقافة و الحضارة بمعنى واحد أي كمترادفتين (تايلور و مالك بن نبي) [24] ثم الحضارة هي الثقافة حين تتعقد الثقافة،و تصل إلى درجة من الرقي بحيث يمكن قياسها بمقاييس خاصة .

-هناك فريق آخر من العلماء **رالف لينتون** يفصل بين المصطلحين فصلا تاما فهم يقصرون معنى الثقافة الجوانب اللامادية المرتكزة على النظم الاجتماعية و المعايير و المعتقدات الإنسانية المتعلقة بالأساطير و الدين و الفن و الأدب

---

[21] – الكيلاني (عبد الوهاب) ،**موسوعة السياسة**، الجزء الثاني ، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981) ص 549 .

[22] – محمد اسماعيل (فضل الله) – عبد الرحمن (خليفة)،**في الأيديولوجيا و الحضارة و العولمة** مرجع سبق ذكره ص137 .

[23] – نفس المرجع السابق ص 146 .

[24]– يعتبر مالك بن نبي من بين المفكرين الذين لا يفرقون بين الثقافة و الحضارة و يعرفها بقوله" الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " و هذا التعريف للحضارة إما أن تعتبره تعريفا يجعل من الثقافة جزء من الحضارة إما ينظر إليه كتعريف قاصر عن آداء المعنى.

أما الحضارة تدل على المظاهر و الميكانيكية التي ابتدعها الإنسان في محاولة لضبط ظروف حياته و هذا المعنى الذي ظل سائدا عند علماء الألمان الذين اعتبروا الحضارة بالمعنى الألماني هي ما يطلق عليه غيرهم لفظ الثقافة المادية .

بذلك تتخذ العلاقة بين الثقافة و الحضارة صورا مختلفة على اعتبار التكوين المادي للحضارة على عكس التكوين القيمي للثقافة فمنهم من يجعل الحضارة المرحلة الأعلى من مراحل تكوين الثقافة و تأتي الثقافة كخطوة سابقة على تكون الحضارة و بحيث تعرف الثقافة الوعي بلغة أصل اثني تاريخ دين عادات مؤسسات و الانتماء لأرض واحدة و تعرف هنتغتون الحضارة بأنها أعلى تجمع ثقافي و أوسع مستوى للهوية الثقافية و لا يسبقها إلا ما يميز عن الأنواع الأخرى و هي تحدد بنوعين من العناصر في آن واحد أحدهما ما يسميه " العناصر الموضوعية" مثل اللغة و الدين و التاريخ و العادات و المؤسسات و العنصر الثاني هو "التحديد الذاتي" الذي يقوم به الشعب بنفسه [25].
و طالما أننا في معرض التفريق بين الثقافة و الحضارة فالرأي يميل إلى الجانب الذي يذهب إلى جعل الحضارة الصورة المادية لكل ما يصدر من الإنسان من نشاط ، بينما تقتصر الثقافة على الجانب الفكري و المعنوي فقط.

تأسيسا لما سبق فإن الحضارة لا تقوم من دون أساس ثقافي فهناك ارتباط وثيق بين الثقافة و الحضارة و نظرا لهذا الترابط و الذي قد يصل الى حد تجاهل بعض الاختلافات بين المفهومين فإن دراستنا هذه ستعتبركل منهما يصب في نفس المعنى على اعتبار أن الحضارة هي مجموع الثقافات التي تمثل أوسع أشكال الهوية و هي قد تتجاوز الحدود الوطنية و حدود الدولة على السواء لذلك سيلحظ القارئ الاستعمال المترادف للمفهومين على طول هذه الأطروحة [لا يعني هذا اختزال لأهمية أحد على الآخر بقدر ما هو تركيز لدور العامل الثقافي الذي يظهر أكثر في مستوى أعلى و هو الحضارة] و هذا حتى يتسع فهمنا للموضوع (سواء ما تعلق منه بإظهار أهمية البعد الثقافي كفاعل مهم في السياسات الدولية أو تأكيد أهمية دوره في نزاعات اليوم) دون الاهتمام بتفاصيل قد تشتت فهمنا له و هو نفس ما ذهب اليه هنتغنتون في أطروحته حول صدام الحضارات الأتي شرحها بالتفصيل .

المطلب الثالث :الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالهوية

في الوقت الذي يشهد فيه مفهوم الثقافة منذ مدة رواجا خارج دائرة العلوم الاجتماعية الضيقة, نجد مفهوما آخر هو مفهوم الهوية (وهو غالبا ما يرتبط بالأول) يشيع استخدامه تدريجيا لدرجة جعلت بعض المحللين يرونه أثرا من أثار ازدهار الثقافة .
كما هو المعروف ليس ثمة من تعريفٍ ناجزٍ ونهائي لكل من "الثقافة" و "الهوية" نستطيع استعارته ، ولذلك، ربما يكون للاستضاءة بتعريفات سبق اقتراحها من قبل مفكِّرين أطلوا على المصطلحين من منظور حقول معرفية عديدة، أن يسهم في إثارة أسئلة تساعد على فتح حوار فكري خلاق! في ضوء ما تقدم، يمكن القول إن **الثقافة،** في جانب

[25]- محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية–دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات** ، مرجع سبق ذكره ،ص 100 .

مهم من مكوناتها ودلالاتها، هي **حقول من الخبرات والتجارب والمنجزات المؤطرة لغوياً ومعرفياً والتي يمكن من خلالها تمييز الهويات!** [26].

فمن هذا المنطلق يتم الفرز بين الثقافة كظاهرة إنسانية عامة و الثقافة النوعية في المجتمع "الأمة" ذي الثقافة المتجانسة في الأسس كما يفترض أن تكون.

علاقة الهوية بالثقافة :

يشيع الحديث عن الهوية و الثقافة في أدبيات العلاقات الدولية دون المرادفة بينهما ، و يشير البعض إلى ذلك صراحة بالتأكيد على أن الثقافة و الهوية ليستا متماثلتين وأن العلاقة بينهما أكثر تعقيدا من أن يتم اختزالها في شكل ثابت لا يتغير فالبعض جعل من الثقافة الإطار الأوسع الذي يستمد منه البشر شعورهم بماهيتهم و من ثمة فإن الهوية لديهم هي الوحدة السلوكية من وحدات الثقافة أو هي وحدة الفعل و بذلك تصير الهوية جزء من الثقافة .إلا أن البعض يميز بينهما على أساس أن الثقافة لازمة لتوضيح حدود الهوية،إذ تقدم الثقافة الرموز اللازمة لترسيم حدود جماعة ذات الهوية الواحدة إلا أنه ليس بالضرورة أن للجماعة ذات الهوية الواحدة ثقافة منفصلة تميزها عن غيرها كما يميز البعض بينهما على أساس قابلية الثقافة للتغير بينما تتسم الهوية بقدر أكبر من الثبات .و بهذا المعنى فإن المتغير الثقافي هو ما يضفي المعنى على الهوية فالهوية –حسب الثقافة- يمكن أن تجسد في أمة أو في قبيلة أو قد تتخذ طابعا إقليميا و من أهم الرموز التي تستمدها الهوية من الثقافة في هذا الصدد هي اللغة و الدين إلا أن العلاقة بين المفهومين لا تسير على مثل هذا التحديد في كل دراسات العلاقات الدولية فكثيرا ما تشيع المردفة بين المفهومين –حتى في إطار الدراسات التي بدأت في التمييز بينهما – في إطار الحديث عن تجدد الاهتمام بهما في الحقل حاليا و الذي فرضته الظروف الدولية المتمثلة في العديد من قضايا التعدد و الاثنية التكامل و الاندماج و كذلك قضايا الانفصال دونما الانتباه إلى الخطوط الفاصلة بين المفهومين .[27]

لذلك يمكن القول أن الثقافة المحلية و الشعبية و الفرعية الخاصة و المتغيرة لا يمكن أن تتناقض في جوهرها مع الأنماط الثقافية العامة و الثابتة التي تطبع الهوية الوطنية أو القومية للأمة بسماتها و تشمل كل أفراد **الأمة ذات الهوية الواحدة التي هي منتوج – صرف– للعموميات الثقافية الواحدة**. و انطلاقا من أن الشخصية الجماعية [الهوية] لأية امة هي منتوج ثقافي صرف فإن الثقافة هي مكوناتها و مركباتها و أنماطها المختلفة من أمة إلى أخرى باختلاف القيم المرتبطة بالتقاليد و المعتقدات و طرق التعبير عنها في هذه الأمة أو تلك....[28]

و عن اهمية البعد الثقافي و علاقته بالهوية في رسم الخرائط السياسة الدولية فقد يظهر مثلا في ما حدث لبعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي و يوغوسلافيا من جهة و ما حدث في ألمانيا الشرقية من جهة أخرى لأسطع برهان على

---

[26]- بن نعمان(أحمد) ، **الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات**، مرجع سابق الذكر ص 21 .

[27]- محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية–دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات** مرجع سايق الذكر ص 99 -100 .

[28]- بن نعمان(أحمد) ، **الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات** ، مرجع سابق الذكر ص 33-34 .

تأثير العامل الثقافي لفترة ما بعد الحرب الباردة فالمثال الاول يبرهن لنا عن عدم جدوى الجمع القصري لأمم متميزة (العموميات الثقافية)في جنسية سياسية واحدة حيث لا تلبث أن تطالب ذوات الشخصية المتميزة بالاستقلال السياسي بمجرد ان تشم قيود الاستبداد في ربوعها رياح الحرية و يبرهن لنا المثال الحي الثاني بكيفية قاطعة عن عدم جدوى الفصل و التمزيق لأفراد الأمة(واحدة اللغة و الثقافة) موزعتين بين معسكرين متعارضين حيث لا تلبث الدولة المعزولة ان تطالب بالاندماج الكلي مع الثانية رغم الجدار الفاصل الذي يعزل الجنسية عن الهوية حيث نلاحظ اتصالا بعد انفصال لاتفاق مقومات الهوية عكس الأولى نلاحظ انفصالا بعد اتصال لاختلاف مميزات الهوية، و ما وقع لشعب البوسنة سنة 1992 حيث صوت الأغلبية الساحقة بالاستقلال عن صربيا اختلاف جوهري في مقويات الهوية الثقافية (الدين) و ليس العرق الواحد أو حتى اللغة الواحدة(حيث أن جميع الصرب يتكلمون لغة واحدة هي الصربية) بينما رفضت الاقيات غير المسلمة- كالجبل الأسود – هذا الاستقلال لتضل متمسكة بالوحدة الكلية مع البلغراد .و لنفس الأسباب الثقافية لقيت الدعم المطلق من الغرب التي تحمل نفس ثقافتها .

رغم ما وصلت له الوحدة الأوروبية من تكامل و اندماج و ثقافة مشتركة إلا أن هذه الأخيرة لن تصل إلى ثقافة واحدة فرغم ذوبان الحدود السياسية الحالية لكنها ستتحول إلى حدود ثقافية أي حدود لغوية و دينية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المذاهب المتواجدة في الديانة المسيحية إن بقي للدين قيمة في حياة الإنسان الأوروبي على غرار الوضع الراهن في البوسنة وكرواتيا و صربيا و ايرلاندا و الى حد ما في تركيا و ألبانيا .. و لن تتحقق أبدا الأمة الأوروبية إلا أصبحت الشعوب و الدول الأوروبية ذات دين واحد و مذهب واحد و ناطقة بلغة واحدة .[29] فرغم صعوبة الفصل بعض الثقافات عن بعضها البعض إلا أن هناك تمايز الثقافات داخل الحضارة الواحدة و هو ما يبرز مستوى الهوية فمثلا الثقافة الفرنسية هي جزء من الحضارة الغربية إلا أن هناك تمايزا من حيث اللغة و أساليب الحياة ونمط التفكير و العادات و التقاليد و هي تسعى للحفظ على الهوية الثقافية الفرنسية في مجابهة الثقافات الغربية .[30]

الصراعات و الهوية الثقافية :

لا يختلف اثنان على أن مكونات الثقافة هي نفسها مقومات الهوية **و تتحدد الهوية في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في** : اللغة الوطنية، و اللهجات المحلية المرتبطة شعب ما، القيم الدينية و الوطنية المتكونة عبر العصور، العادات و التقاليد و الأعراف النابعة من تلك القيم و الحاملة لها، و كذى التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب و هنا يمكن للهوية الثقافية أن تصبح المصدر الأساسي للنزاع إذا ما تم دحض قيمها أو احتقارها و استبدالها على المستويات الآتي ذكرها فــ ***" الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للصراعات الاجتماعية و الدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني و الدولي واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية و يمكن أن تكون مصدرا من مصادر***

---

[29]- نفس المرجع السابق ص 40-41 .

[30]- سعد أبو عامود (محمد) ،**العلاقات الدولية المعاصرة** ،(دار الفكر الجامعي الاسكندرية، 2008) ص 10 .

الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، و بين مجتمع و آخر.... فنحن نواجه صراعا جديا في مجال القيم... و يوجد نوع من التحمل . و لكن لا يوجد تقبل صاف أو ترحيب مخلص بقيم الجنوب، ذلك لأنه لا توجد جهود جادة لمحاولة فهمه". [31] و يمكن لمقومات الهوية الثقافية أن تصبح مثيرة للصراع على مستوى :

- اللغات و اللهجات التي ستتراجع أمام اللغات المدعومة من طرف الدولة خاصة إذا كانت الدولة طرف ميال إلى مجموعة اثنية دون الأخرى كما و أن الدولة الحديثة تسعى إلى توحيد الهوية فإما أنها لا تعترف إلا بهوية ثقافية واحدة لتحديد الهوية الوطنية) أو أنها بعد قبولها لنوع معين من التعددية الثقافية في كنف الأمة, تقوم بتحديد هوية مرجعية تكون الهوية الوحيدة, والهوية الوطنية المتعصبة هي دولة إيديولوجية تقوم على استبعاد الاختلافات الثقافية ويقوم منطقها المتطرف على منطق (التطهر العرقي)[32]. فقد يكون إلغاء اللغة المعبرة عن هوية إحدى تلك المجموعات الاثنية من شأنه أن يثير الكثير من التوترات و الصدامات بين المجموعات الاثنية و الدولة و بين المجموعات الاثنية بعضها البعض. وما ينطبق على اللغة كمقوم هوياتي يصلح على بقية مقومات الهوية الثقافية .
- على مستوى القيم الدينية و الوطنية التي ستكون مهددة بفرض قيم الجماعات الأخرى –باعتبارها أوعية لتلك القيم، و معبرة عن الهوية.
- على مستوى العادات و التقاليد و الأعراف المعبرة عن أصالتنا التي قد تحل محلها عادات و تقاليد و أعراف لا علاقة لها بالهوية المحلية لتلك الجماعة و قد تختفي تلك الضغوطات، و على مما يقلل من أهميتها، و العمل على احتقارها.
- على مستوى التاريخ النضالي للشعب حامل الهوية الذي قد يتعرض للتشويه الممنهج، و بدل أن يبقى مفخرة للشعب يتحول بفعل ذلك إلى مذمة.

أن ما يجري الآن من صراعات داخلية هو محاولة للقضاء على خصائص جماعات معينة و ما يصحب ذلك من انتقال للقيم، وتشويه للثقافة المحلية، و طمس للعادات و التقاليد و الأعراف، و التقليص من أهمية اللغة الوطنية، و قتل اللهجات المحلية. و هو ما يساعد على القضاء على الهوية الثقافية التي تميز جماعة من الجماعات أو شعبا من الشعوب. تلك الهوية التي تعتبر دافعا أساسيا لمقاومة ما يستهدف كيان تلك الجماعة أو ذلك الشعب.
لذلك فموضوع الهوية قد صار رائج التداول، فضلا عن ذلك فالصراعات المجتمعية في بداياتها قد تأخذ شكل

---

[31] – السعدي(محمد) ، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام**،مرجع سبق ذكره ص 82 .

[32] – Ned Below (Richard) ; **Identity and International Relation** ***International Relations*** Vol. 22, No. 4, 473-492 (2008) On behalf of: David Davies Memorial Institute for International Studies Sage Publications http://www.sagepublications.com

الصراعات من أجل الاعتراف لا من أجل اعادة التوزيع العادل للثروات [33] و على هذا فقد أصبحت الهوية قضية نظرية و عملية معا خاصة بعد أكد هنتنغتون أهميتها بقوله **"تمثل الحضارة أوسع أشكال الهوية و هي قد تتجاوز الحدود الوطنية و حدود الدولة على السواء "**

يمكن القول أنه كثيرا ما تحيلنا التساؤلات الكبرى المثارة اليوم حول الهوية إلى مسألة الثقافة, ومع ذلك حتى لو ارتبطت الثقافة والهوية الثقافية بمصير واحد فليس من السهل خلط احدهما بالأخر, إذ يمكن للثقافة أن تعمل بدون وعي للهوية بينما يمكن لاستراتيجيات الهوية أن تعالج الثقافة أو تغيرها وبالتالي لا يبقى هناك شيء مشترك مع ما كانت عليه في السابق, تنشأ الثقافة في جزء كبير منها عن عملية لا واعية(تلقائية) أما الهوية فتحيل إلى معيار انتماء يجب أن يكون واعيا لأنها- إي الهوية- تقوم على تعارضات رمزية .[34] وطالما أن الهوية تنتج عن بناء اجتماعي فإنها تكتسب طابع التعقيد الاجتماعي, وإذا أردنا اختزال الهوية الثقافية إلى تعريف بسيط, فهذا يعني أننا لا نأبه بتنوع المجموعة الاجتماعية وليس هنالك مجموعة أو فرد يكون حبيس هوية ذات بعد واحد, الهوية تتميز بطابعها المتقلب الذي يمكن ان يخضع لتأويلات واستخدامات مختلفة (العرق أو الدين أو/ و اللغة أو حتى العادات و التقاليد) .

المطلب الرابع :الثقافة و ارتباطها بمفاهيم كالايديولوجيا

راجت في العقدين الأخيرين على سطح الخطاب العالمي عبارات جديدة مثل " الهوية الثقافية " و "ثقافة حقوق الإنسان" و"ثقافة التسامح" وما أشبه و قد أخدت حظها من الاهتمام شأنها شأن كثير من المفاهيم التي راجت في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات في العلاقات الدولية ، والتي كان الحديث يجري عنها بتوظيف مفاهيم القوة المصالح ،الاعتماد المتبادل ،"الإيديولوجيا"، قد حلت اليوم كلمة "ثقافة" محل كلمة "إيديولوجيا"، على الأقل في مجال تأطير مثل هذه المفاهيم، فأصبحنا نقول الصراعات الثقافية بدل الصراعات الايديولوجية وغيرها. فما الفرق بين العبارتين:"ثقافة كذا" و"إيديولوجيا كذا"؟ وما الذي جعل الكتاب والمفكرين اليوم يعرضون عن لفظ "إيديولوجيا" ويقبلون، هذا الإقبال ، على لفظ "ثقافة"؟

إذا كانت الثقافة أصبحت واضحة المعالم لدينا بعد أن تم التطرق اليها بعدة مستويات و مقارناتها علاقتها بأكثر من عنصر أو مركب فإن علاقتها بالايدولوجيا لازال يكتنفها العديد من الضباب و قبل الولوج الى العلاقة يجب التطرق الى مفهوم الايدولوجيا باعتبار هذه الأخيرة كانت و لازالت تلعب دورا أساسيا في حياة الدول كما تلعب

[33]- التازي (نادية) و آخرون ، ترجمة قنيني (عبد القادر)،**مفاهيم عالمية الهوية – من أجل حوار بين الثقافات** ، (المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب الطبعة الاولى 2005) ص143 .

[34]- فمثلا الدين ككل لا يشكل هوية إلا بالتقابل مع دين آخر، فالإسلام يمكن القول عنه إنه هوية للمسلمين ولكن فقط ضداً على دين آخر كاليهودية والمسيحية. أما داخل الإسلام، فليست هنا هوية واحدة تضم المسلمين جميعاً، بل هنالك هويات لا حصر لها داخل الإسلام، بعضها سياسي الطابع (الدولة والوطن) وبعضها اجتماعي (القبيلة والعرق)... إلخ. وقل مثل هذا في الديانات الأخرى، بما في ذلك ما كان منها أقل عالمية من الإسلام.

الدور نفسه في المجتمعات و لا عجب أن يأخذ صراع قائم على أساس ايدولوجي أكثر من أي صراع آخر طيلة الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كل ذلك الاهتمام و التنظير في حقل العلاقات الدولية باعتباره من العوامل ذات الوزن الثقيل التي أدت الى إثارة التوتر الدولي أثناء الحرب الباردة .

و لمعرفة أسباب تلك الأهمية المعطاة إليها وجب التطرق إلى معناها المركب من عنصرين "ايديو" Idio بمعنى ما هو متعلق بالفكر و"لوجوص"Logos بمعنى علم و من هنا كانت الأيديولوجيا فرعا من الدراسات الإنسانية التي تبحث في طبيعة و نشأة الصور العقلية عند الإنسان و بهذا يمكن ترجمة مصطلح الايدولوجيا بعلم الأفكار و يراد به ذلك العلم يدرس الأفكار من حيث نشأتها و أنواعها و قوانينها و علاقاتها بالأمور الخارجية و الألفاظ الدالة عليها ، يظهر ذلك جليا في التعاريف الموضوعة لها :

يعرف Louis Althsser الأديولوجيا أنها" ***منظومة من التصورات (صور ، أوهام ،أفكار ،مفاهيم) لها منطقها و دقتها المميزين و تتمتع بوجود دور تاريخي في مجتمع معين"*** فالايدولوجيا بهذا المعنى هي حصيلة الآراء و وجهات النظر السياسية الاقتصادية و الاجتماعية،الفلسفية القانونية،الدينية و الأخلاقية التي يتبناها مجتمع معين أو نظام سياسي معين[35] ، أيضا ***الايدولوجيا هي مجموعة آراء و معتقدات التي تسود في مجتمع ما .***[36]

علاقة الثقافة بالايديولوجيا :من خلال تتبعنا لمفهومي الثقافة و الايدولوجيا نتساءل عما إذا كان هناك من صلة بينها و بين الايدولوجيا ، فانطلاقا من أن الثقافة هي ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار و المعتقدات و العادات و التقاليد و الاتجاهات و القيم و أساليب التفكير و العمل و أنماط السلوك و كل ما ينبني عليه من ابتكارات أو وسائل في حياة الناس ... فإن الايدولوجيا من حيث هي ، نسق من الأفكار و التصورات التي يكونها الفرد في جماعة أو جماعة في مجتمع أو مجتمع ضمن أمة لها علاقة مباشرة بالثقافة ليست علاقة تماثل او تطابق و لا هي علاقة تعارض او تنافر بل هي علاقة تكامل و تداخل ، فمن ناحية تعتبر **الايدولوجيا جزءا من الثقافة السائدة في المجتمع** و لكن هذا الجزء يتمتع باستقلالية و فعالية تجعله أحيانا مؤثرا في الكل شأنه في ذلك شأن اللغة التي تعتبر من أكثر المكونات تأثرا بها و تأثيرا فيها دون أن تكون اللغة هي الثقافة. و عليه فإن الايدولوجيا و إن كانت تستمد مبادئها من القيم الثقافية السائدة في المجتمع فإن بإمكانها التأثير في الأنماط الثقافية سلبا او إيجابا .[37] و علية فإن نوعية العلاقة بين الثقافة و الايدولوجيا علاقة متعددة الأبعاد ، فهي من جهة علاقة جزء بكل و علاقة تأثير و تأثر.

فإذا كان تايلور قد ذهب إلى أن الثقافة هي جملة الخصائص التي يتصف بها الإنسان نتيجة لانتمائه إلى مجتمع معين فإن الإيديولوجية هي التي تفعل ذلك تماما حيث هي التي تحدد له أنساقا من التفكير لا يتعداها و كذلك أنماطا من السلوك

---

[35] – جندلي (عبد الناصر)، **التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية** ، مرجع سابق الذكر ص 93-94 .

[36]– فالايدولوجيا لها علاقة متينة جدا بالدين شأنها في ذلك شأن العلاقة الخاصة القائمة بين الدين و الثقافة و لكن تظل الايدولوجيا غير الدين و إن كانت بعض الأديان قابلة ان تكون ايدولوجيا فليس كل إيديولوجيا قابلة ان تكون دينا و من هنا تبرز العلاقة بينهما و هي علاقة جزء "إيديولوجيا" بكل"الدين"

[37]– بن نعمان (أحمد) ،**ما هية الثقافة** ،مرجع سابق الذكر ص 157 .

لا بد من الالتزام بها، و إن كانت الثقافة تلزم الإنسان بطريقة معينة في جميع الأنشطة اليومية فإنه بذلك يتصرف وفق أيديولوجيته بطريقة لا شعورية لذلك فإن كلا من الثقافة و الأيديولوجيا تعتبران عوامل تأثير و تأثر أو مقدمة و نتيجة في نفس الوقت .[38]

أما عن الفروقات فهناك حالات تختلف فيها الثقافة عن الأيديولوجيا بل إن هذه الأخيرة قد تتكون و تتشكل بشكل مناقض للثقافة السائدة في المجتمع و أوضح مثال الأنبياء الذين جاءوا بمبادئ فكرية جديدة مهد الطريق لايدولوجيا مختلفة تماما لما يسود المجتمع من ثقافة . كما تفترق الثقافة عن الايدولوجيا في عدد الأتباع ،حيث في الوقت الذي يخضع فيه الجميع لبنود ثقافة المجتمع بالنسبة للايدولوجيا ليس من الضرورة أن يؤمن جميع أفراد المجتمع أو الأمة بنفس الاديولوجية لاسيما و إن كانت تلك هي ايدولوجية الطبقة الحاكمة التي تريد فرضها بالقوة و من ثم فإننا نجد أكثر من أيديولوجية بين أفراد المجتمع الواحد الذي تشيع فيهم ثقافة واحدة.

مما سبق فإن الثقافة السياسية تبقي هي حلقة الوصل بين الثقافة و الأيديولوجيا [39]ذلك أن الثقافة السياسية هي جزء من الثقافة الكلية للمجتمع،كما و أنها القدر من المعرفة و الأفكار التي تساند النظم المختلفة في المجتمع السياسي الذي يحاول الوصول إلى نوع من الاتفاق حول القيم السياسية عن طريق وضع معايير معينة للعملية السياسية و من ثمة يمكن التنبؤ بالسلوك السياسي و حتى بالأيديولوجيا السياسية بصورة عامة و هو ما يظهر الصلة العضوية بين الثقافة و الأيديولوجيا مرة أخرى. و يبقى القول أن التفريق بين الاثنين أو التفضيل بينهما هو اجحاف لأهمية كل مفهوم على الآخر في الحقل الأكاديمي للعلوم السياسية و العلاقات الدولية.

المبحث الثاني : البعد الثقافي في العلاقات الدولية

الجهود المتزايدة المكرسة لفهم الثقافة ، والعديد من المنتجات العلمية في هذا المجال قد أسفرت عن عدد قليل جدا من جميع الأفكار. فهمنا لهذا المفهوم وآثاره لا يزال متخلفا إلى حد كبير ، ومعظمه مستمد من الأدلة القولية أو التجريبية و التي لا يمكن أن تنقلنا إلى عالم السياسة الدولية و هنا مسألة نود طرحها ، **هل الثقافة لها تأثير على العلاقات الدولية بشكل عام و الصراعات الدولية بشكل خاص ؟** و للإجابة على هذا التساؤل نجد أنفسنا منساقين إلى أسئلة توضيحية أخرى تظهر إمكانية الاجابة عليه. لذلك فهذا المبحث عبارة عن التحقيق في النقاش الدائر حاليا على أهمية الثقافة في إطار العلاقات الدولية و التطرق إلى مزايا و عيوب محاولات إدخال الثقافة الى قلب العلاقات الدولية و سيعمل هذا البحث على توضيح ما إذا كانت هذا المفهوم بكل مكوناته يشكل بديلا جذابا أم أنه لن يستطيع مجارات بعض المفاهيم الثقيلة في العلاقات الدولية و منها القوة الاقتصاد المصلحة .....؟ و هل تتمكن العلاقات الدولية من أن تأتي بمفاهيم أخرى أفضل تتحدى القدرة التفسيرية للعامل الثقافي في هذا الحقل ؟ كل هذه الأسئلة و

[38]- فضل الله محمد اسماعيل-د عبد الرحمن خليفة،**في الأيديولوجيا و الحضارة و العولمة** مرجع سبق ذكره ص 166

[39] - نفس المرجع السابق ص167- 168-169

أكثر سيتم طرحها و التطرق إليها مع التطرق تلقائيا الى نظريات العلاقات الدولية المؤيدة و المعارضة لوجود العامل الثقافي و دوره في العلاقات الدولية و يظهر ذلك من خلال الخطوات التالية :

المطلب الأول : سوابق الاهتمام بالعامل الثقافي في العلاقات الدولية

رغم اختلاف الرؤى النظرية لأثر المتغيرات على التنظير لفترة ما بعد الحرب الباردة ،إلا أن الثقافة نالت القسط الأكبر من الاهتمام في هذا إطار هذه الرؤى.و إن كان هذا الاهتمام قد تفاوت من مجرد الدعوة إلى ادخال الثقافة والقيم إلى التحليل و الاهتمام بالقضايا القيمية إلى رد الاعتبار للتنظير المعياري ما يعني رد الاعتبار لكثير من القضايا و الموضوعات و المفاهيم التي ظلت في الظل لفترات طويلة و على هامش دراسة العلاقات الدولية و التي أصبحت مفاتيح في العلاقات الدولية يستحيل على أي دارس علاقات دولية تحاشي معالجتها و الاهتمام بدراستها و كانت الثقافة مفهوما و قضية و أداة للسياسة و مفسرا للعلاقات الدولية خير نموذج لانعكاس الواقع على التنظير لفترة ما بعد الحرب الباردة كون الثقافة تلعب أربع أدوار مهمة على الأقل في تلك العلاقات و هي :

- الثقافة تحدد صورة العالم لدى القوى الفاعلة في النظام الدولي، و من ثمة تؤثر في سلوكها و إدراكها أو سوء إدراكها و في أحكامها الأخلاقية (الخطأ و الصواب)و الجمالية (الحسن و القبيح) و الذوقية (مناسب و غير مناسب)و تبرز أهمية هذا البعد الثقافي في كون أن صناع السياسة الخارجية لا يحسبون المكاسب و الخسائر المتوقعة بعقلانية كاملة بل أن رؤيتهم للعالم وأحكامهم تؤثر في تلك الحسابات ومن ثم سلوكهم .
- الثقافة تمثل مصدرا مهما للدوافع ، فالدوافع لا تنبع فقط من داخل الفرد و شخصيته بل أيضا بمن حوله و القيم الثقافية في مجتمعه فيمكن التمييز مثلا بين مجتمعات تعلي من قيمة الحرية و أخرى تعلي من قيمة المساواة و الثالثة تعلي من قيمة التضامن و هكذا فتبرير حرب باسم نشر الديمقراطية قد يكون أيسر في مجتمعات تعلي من قيمة الحرية كما فعلت الحكومتين الأمريكية و البريطانية قبيل حربهما على العراق بينما المجتمعات التي تعلي من قيمة التضامن كالمجتمعات العربية فقد يسهل تعبئة الجمهور و حشد الدعم الشعبي لنصرة شعب شقيق في نضاله المشروع كالشعب الفلسطيني.
- تلعب الثقافة دورا في تحديد هوية الفرد و الجماعة، و تمييز الجماعة عن غيرها من الجماعات على أساس القرابة العرق،الدين اللغة أو الأرض أو غيرها فالثقافة تحدد من "نحن " و من "هم" فهي الأساس الذي تقوم عليه الإيديولوجيات القومية بما فيها تلك التي قادت إلى حروب كبرى في التاريخ[40] .
- يرتبط بالدور السابق أثر الثقافة في تقسيم الناس سواء على أساس العرق أو الطبقة الاجتماعية و الاقتصادية أو المكانة أو الجنس و يتضح هذا على مستوى العالم في التقسيمات على أساس شرق غرب شمال جنوب

[40]- على سالم (أحمد)،القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة : هل باتت المدرية الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي؟ لبنان: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، أكتوبر 2008. ص 133.

فهذه التقسيمات ليست جغرافية بل ثقافية رغم تسليم بدور العوامل الاقتصادية و التكنولوجية فيه و تقوم نظرية صدام الحضارات على تقسيم العالم على أسس ثقافية.

رغم ذلك نجد أن جذور هذا الاهتمام بكل ما هو ثقافي في العلاقات الدولية ليس لصيقا بنهاية الحرب الباردة و التغيرات أو التحولات الأكاديمية و العالمية الحاصلة بعدها و الجدير بالملاحظة أن العلاقات الدولية في اهتمامها بالثقافة ليست منبتة الصلة عما تشهده سائر الحقول الاجتماعية من اهتمامها بالثقافة بل بالعكس من ذلك فقد سبقت حقول اجتماعية أخرى إلى هذا الاجتماع بموجب النشأة الأولى للمفهوم أدرك علماء و دارسوا العلاقات الدولية هذا السبق فبدأوا دراساتهم حول الثقافة بالمراكمة على إسهامات الرواد من علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا ليصبح هناك حد واسعا من الاتصال و التقاطع حول العديد من الأمور و القضايا و من أول الأمور التي يتضح فيها هذا الاتصال بين عدد من الحقول الاجتماعية كان التعريف بالثقافة،[41]أما جذور هذه الأخيرة فهي تتصل ببعض الجهود العلمية الأولى التي عملت على خلق الصلات بين الثقافة وسلوك الدولة والتي تستند إلى حد كبير على نماذج الأنثروبولوجية و المثلة بما قدم عن القوة الثقافية أو ما يحلو للبعض أن يسميه أيضا الهيمنة الثقافية ، والإمبريالية الثقافية أو الاستعمار الثقافي ، يتم عادة الإشارة إلى القوة الثقافية كعملية فرض للقيم الثقافية بين الدول وبين الجماعات العرقية ، هذا المفهوم الذي طرحه غرامشي في الثلاثينات كشف عن الستار أو الغطاء السياسي الخارق " super-political veil" للمفهوم التقليدي للثقافة. و اعتبر أن الهيمنة الثقافية هو شكل الحكم الذي لا غنى عنه لحكم المجتمع المدني ، فالطبقة الحاكمة يجب ان تستمد دعمها من المثقفين والمؤسسات الثقافية لجعل الأخلاق والسياسة والقيم الثقافية مدونة لقواعد السلوك المقبولة عالميا ، وجعل الجماهير العريضة من الناس تتفق بحرية مع أسلوب الحياة الاجتماعية الأساسية للفريق الحاكم[42] و هو ما استخدمته الدول الاستعمارية كسلاح قوي في حربها الخفية مع الدول المستعمرة، وتظهر أيضا بعض الأفكار المتعلقة بالبعد الثقافي في العلاقات الدولية في العمل المبكر لـــ"دراسات الطابع الوطني" من الأربعينات و الخمسينات القرن الماضي و ذلك لمعرفة جذور و طابع الأمة ، من ثقافة ، أو الدين و اللغة والعادات ، والتنشئة الاجتماعية ، وتفسير للذكريات المشتركة للدولة و في واحدة من الأعمال الأنثروبولوجية لتفسير الثقافات الأكثر نفوذا في هذا الموضوع ، نجد، [43] Geertz 1973 و الذي عرف الثقافة بأنها"***نمطا تاريخيا تنتقل من المعاني المجسدة في الرموز ، ونظام المفاهيم الموروثة التي يعبر عنها في شكل رمزي عن طريق وسائل الاتصال ،***

41- محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية-دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات**،مرجع سابق الذكر ص 87 .

42- *Xintian (Yu);* **Cultural Impact On International Relatin;** **in** *JIEMIN (GUO)* **CHAPTER III ;Cultural Power And Cultural Conflict;** XX Cultural Heritage and Contemporary Change ;(Series III, Asia, Volume2 Washington . library of Congress Cataloging -in- Publication . 2002)

43 – S. Lantis (Jeffrey);" **Strategic Culture**: **From Clausewitz to Constructivism** " Center for Contemporary Conflict *Strategic Insights*, Volume IV, Issue 10 (October 2005) p1 .

وإدامة وتطوير معرفتهم ومواقفهم تجاه الحياة." و هنا قدم نموذجا مفيدا للثقافة واقترحت سبلا من أنماط المعاني التي يمكن أن تؤدي إلى السلوكيات المتميزة للدول .

رغم ذلك ، فالدراسات لاحقة للثقافة السياسية لم تثمر سوى عن القليل في صقل النظرية خلال تلك الفترة ففي حين أن النماذج السوسيولوجية للثقافة أصبحت معقدة بشكل متزايد فالمفهوم لا يزال على باقيا في مجال الدراسات لكنه حصل على أقل من الاهتمام السائد للباحثين في العلاقات الدولية.

إن هذه الدراسات و غيرها تمثل نظرة متصلة لتطور النظام الدولي من خلال متابعة بروز أهمية البعد الثقافي واقعيا و بالتالي أكاديميا و هذه الدراسات و إن اشارت في بعضها إلى اختفاء الثقافي كمؤثر على العلاقات الدولية في بعض مراحل تطورها إلا أنها تعود لمتابعة تجدد بروزه في مراحل تالية و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على استمرارية تأثير البعد الثقافي .هذه الاستمرارية التي قد تواري لصالح أبعاد أخرى تكون لها الأولوية في تلك المراحل إلا أن هذه الدراسات تتفق على أن الفترة الراهنة من تطور العلاقات الدولية تشهد انبعاثها [44] و هو ما ينعكس على تعقيد الجهود الرامية إلى دراسة آثاره تجريبية في أي موقف معين[45] و هو ما دفع بالجدل الدائر بين مؤيدي والمشككين في ما يتعلق تأثير الثقافة وتحليلها.

المطلب الثاني : الثقافة منظور جديد لتفسير العلاقات الدولية

I-الثقافة في نظرية العلاقات الدولية بين المشككين و المؤيدين :

بانتهاء الحرب الباردة تراجعت الاعتبارات و العوامل الإيديولوجية و الأمنية التي كانت تبدو حاسمة في تقرير مصائر الأمم و علاقاتها و تزايد الاهتمام و التركيز على العوامل الثقافية كقوة مؤثرة و دافعة في الشؤون الدولية و انتقل هذا الاهتمام الى العديد من الكتب و الدراسات الأكاديمية بل النظريات التي تبحث في هذا التأثير و تناقشه. و قد تبلور من هذه الدراسات نموذجان يؤكد كلاهما و إن اختلفت الدرجة على دور العوامل الثقافية في صياغة سلوك المجتمعات و في تحديد علاقاتها فيعتقد النموذج الأول أن الثقافة تلعب دورا حاسما في تقرير المصائر الاقتصادية للأمم و الشعوب و الأفراد لأن بعض الثقافات تضمن و تؤمن النجاح أكثر من غيرها. و يدلل هذا النموذج على ذلك أن بعض القيم و الاتجاهات الثقافية هي التي تفسر ظاهرة عدم الاستقرار و عدم المساواة[46] أما النموذج الثاني فيعتقد أن الأمة هي عبارة عن نظام ثقافي و يعتبر هذا النموذج أنه مما لا شك فيه أن شعوبا و بلدانا تتأثر علاقاتها باختلافاتها الثقافية التي تعكس فيها قيمها و نظرتها و مصلحتها و حالاتها و آمالها و مخاوفها التاريخية و لذلك فإن فشل تقدير هذه

---

[44]- نفس المرجع السابق ص 121.

[45] - Bercovitch (Jacob) and Elgström (Ole); **CULTURE AND INTERNATIONAL MEDIATION: EXPLORING THEORETICAL AND EMPIRICAL LINKAGES** Op ;Cit p 2.

[46]- سليم (جيهان) ،**عولمة الثقافة و استراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة،من ملف" العولمة و آفاق المستقبل في الوطن العربي"** ،(المستقبل العربي، العدد 293، جويلية2003 السنة 26) ص 121 .

الاختلافات يؤدي إلى سوء الفهم و سوء التفسير و حصول أخطار ضخمة في الحكم و التقدير . وفي ضوء ذلك ينتهي النموذج إلى اعتبار أن النظم و العقائد ووجهات النظر الثقافية إنما تؤثر بشكل قوي في الطريقة التي ينظر بها إلى مشكلات السياسية.غير أنه في مقابل هذه النماذج التي تؤكد على دور الثقافة في حياة الأمم و فيما بينها يبرز فكر آخر يعتقد في تراجع دور الثقافات و يقلل من شأنها خاصة على المدى الطويل غير أن هذا الفكر ينبه في الوقت نفسه إلى أن هذا لا يعني أن الهويات الثقافية سوف تختفي كلية أو أنها ستصبح غير ضرورية و لكن سيختفي تأثيرها بفعل أشكال و صيغ بديلة للولاء سوف تحدث أثرها على المدى الطويل، و يعتمد هذا الفكر على آراء و نظريات لمفكرين و باحثين من الشر ق و الغرب يلتقون جميعا على الدور المسيطر الذي تلعبه الحضارة الغربية بأدواتها العلمية و التكنولوجية على النطاق العالمي بحيث أصبحت قوة توحيد تجمع كل المجتمعات البشرية.[47]

ففي السنوات الأخيرة لقت الثقافة المزيد من الاهتمام سبب واحد هو على الأرجح ناتج من الأهمية المتزايدة لاضطرابات داخلية وحرب أهلية ، والصعوبة المتزايدة في التمييز بين الصراع الداخلي والدولي. كما الهويات والقيم المتباينة ، تعتبر من العوامل الرئيسية في الصراعات العرقية ، والثقافة ، ويصبح أداة نظرية طبيعية. التحدي البنائي نحو المنظورات التقليدية للعلاقات الدولية يعزز هذا الاتجاه البنائيين يرون أن الهويات والمصالح ظواهر مبنية اجتماعيا. أنها "تسعى إلى رسم خريطة لمجموعة كاملة من العوامل المثالية التي تشكل' رؤى وسلوك الفواعل ، تتراوح ما بين الثقافة و الإيديولوجية لتطلعات ومعتقدات مبدئية ، على الأسباب والمسببات المعرفة لمشاكل السياسة العامة المحددة " التحليل الثقافي يعتبر عنصرا رئيسيا في جهودها الرامية إلى تفسير أحداث العالم.

وحتى النهج الثقافي غزى معقل الواقعية – في الدراسات الأمنية. ففي أواخر عام 1990 شهدت موجة عالية من المنشورات باستخدام نظرية الثقافة لشرح الأمن القومي و منهم Desch، وأيضا Peter Katzenstein في مقاله عن "ثقافة الأمن القومي" "The Culture of National Security" وكأن الثقافة هي قطعة رئيسية فمن المقترح أن "التجربة الإنسانية هي واحدة من الثقافات. الثقافة والاختلافات الثقافية هي في صميم السلوك البشري على مر التاريخ في السياسة الدولية".[48]

مقابل ذلك سادت وجهات نظر مختلفة بشأن أهمية الثقافة و تأثيرها على العلاقات الدولية فهناك العلماء الذين يدعون أن الثقافة لا يحمل القوة التفسيرية ، فهي لا تكاد تذكر ،على الجانب الآخر يوجد علماء الآخرين الذين هم مقتنعون بأن الثقافة هي عامل التفسيري رئيسي و بالتالي إعطاء الثقافة مكانا بارزا في نماذجها.و موقف كل من هذين التيارين يبرز من خلال:

---

[47]- نفس المرجع السابق .

[48] - S. Lantis (Jeffrey); **Strategic Culture**: **From Clausewitz to Constructivism;** Op;Cit p 6.

▪ **المشككين** (The Sceptics):

و هم العلماء الذين يجادلون بأن الثقافة، لم يشغل مكانا بارزا في أدبيات العلاقات الدولية ليس لها أثر يذكر على إدارة الصراع وغالبا ما يأتي من هيمنة التقليد الواقعي الذي يعتبر من أهم مداخل تهميش عملية القيم في التحليل الأكاديمي حيث يجعل من القيم متغير تابع لمتغيرات أكثر أهمية في العملية السياسية و الظاهرة الدولية أهمها على الإطلاق اعتبار القوة القيمة الأساسية و المصلحة القيمة المحددة[49] كما ركز الواقعيون التقليديون على وحدوية الجهات الفاعلة ، اتخاذ قرارات رشيدة ، فالمخاوف بشأن القوة والمصالح لا يترك مجالا كبيرا للمتغيرات الثقافية. أحيانا ، الثقافة الوطنية يتم تحديدها بوصفها متغيرا مهما ، ولكن يتم معاملتها كقاسم أو فجوة كبيرة بين الدول ، وبالتالي مصدرا رئيسيا للصراعات لذلك فالكتابات التقليدية ، تحتوي على إشارات قليلة عن الثقافة[50] .

يرى المشككين أن هذه الظواهر ذات شأن للجهات في الدول الفاعلة وعلاوة على ذلك ، فإنهم غالبا ما تستخدمون النهج العقلاني لدراسة العلاقات الدولية فالدول بوصفها من العناصر الفاعلة و الوحيدة التي تعامل مع معلومات كاملة وبالتالي لا يوجد أي مكان للصور و التصورات في أطرها تفسيرية حجة المتشككين تنطلق من الادعاء أن المصالح الوطنية هي المحددات الرئيسية للمفاوضات الدولية. سلوك صانعي القرار يقاد من قبل أمنهم أو لرعاية الأهداف ، ومن المؤكد أن يكون للثقافة تأثير سطحي في عمليات التفاوض ، على سبيل المثال من حيث السلوكيات مختلفة ، إذا كان صناع القرار يريدون التوصل الى اتفاق ،فهذا لأنهم يرون أن هناك مصالح وطنية ، وأنها لن تدع التناقضات الثقافية يقف في طريقهم. هذا هو ما يشير إلى W. Zartman عندما يشير إلى أن الثقافة هي ظاهرة سطحية "epiphenomenal"[51] ، فإنه من الممكن أيضا تحديد خط آخر من الجدل ، حيث رفضت هذه الفكرة حول الثقافة من طرف المدعين إذ هناك خلافات لا يمكن تجاوزها بين مختلف المجتمعات في العالم وإنشاء سلطة سياسية واحدة على الصعيد العالمي أو انشاء قواعد ومعايير معترف بها عالميا للتعايش العالمي أمر غير المجدي نتيجة لذلك العلاقات الدولية ، تترك لمنطق الفوضى وبغض النظر عن الأهداف مثالية ، سيعمل الجميع من أجل ضمان الأمن خاص به و تصرفه كسلوك يكون وفقا لمبدأ الاعتماد على النفس و تعظيم قوة الدولة.[52] لذلك فادعاء المشككين يؤكد أن تأثير القوة هو أكثر من أن يتناقص أمام متغير آخر فأي عامل آخر يتضاءل بالمقارنة معها وبالتالي التركيز على القوة وحدها بدلا من ثقافة و في هذا المجال يقول Waltz إذ أن " القوة تتفوق على كل شيء (بما في ذلك

49- محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية–دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات**،مرجع سابق الذكر ص 84 .

50 S. Lantis (Jeffrey); **Strategic Culture: From Clausewitz to Constructivism;** Op;Cit p 5

51 – Bercovitch (Jacob) and Elgström (Ole); **CULTURE AND INTERNATIONAL MEDIATION: EXPLORING THEORETICAL AND EMPIRICAL LINKAGES;** Op;Cit.p 9-10.

52 – Morten(Valbjorn); **Culture and IR � Culture in IR; Ignoring, introducing, up-dating or forgetting the concept of culture in International Relations** p 6-7.
http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/4/1/0/pages74105/p74105-2.php

الثقافة)" ، فعلى الرغم مثلا من كون الصراعات الثقافية أمر لا مفر منه انطلاقا من التفاعلات المتناقضة في المصلحة عند مختلف الحضارات ، والتمديد لهذه الصراعات هو محدود إلا أن الثقافة هي قوة غير مرئية وآثارها على العلاقات الدولية يجب أن تمارس من خلال الهيئات السياسية والاقتصادية والعسكرية واضحة [53]. و على حد قول Kevin Avruch مثل هذا النهج لا يترك مجالا للثقافة في تحديد نتائج المفاوضات ولا حتى العلماء الذين لديهم وجهة نظر أكثر تنوعا للقوة ، والذي يولي اهتماما ليس فقط لتجميع موارد الطاقة ولكن أيضا لقضية محددة القوة السلوكية تميل إلى أن تشمل المتغيرات الثقافية بين أدواتها التحليلية.

عموما ينظر المشككين للعوامل الاجتماعية و الثقافية باعتبارها مجالات غير ملائمة للدراسة من قبل الباحثي العلاقات الدولية فهي مجالات دراساتها لمتخصصي السياسات الداخلية ينظرون للعوامل الثقافية كأداة توظف سياسيا من قبل الدولة باعتبارها لاعب موحد و احتكاري لتحقيق المصالح القومية ،العوامل الثقافية هامة و لكن دلالاتها و تأثيرها يكون داخليا من خلال القومية التي تعمل الدولة على تعزيزه و توجيهه خدمة لأهدافها إذ يؤكدون على استمرار الثقافة القومية كأساس ثابت للهوية الجماعية فلا تزال المشاعر و القيم القومية تسيطر على العديد من الجماعات ذات الخبرة و التاريخ المشترك و يدافعون على الثقافة القومية و صموده لأنه جزء هام من تفسير استمرار الدولة القومية في لعب الدور الأساسي في السياسات الدولية.

- **المؤيدين :**

أتباع التفسيرات الثقافية في العلاقات الدولية تميل الى الاعتماد على توضيحات تجريبية الاميريقية لتحقيق مطالباتهم (كوهين) لديهم الدعم الكامل من معظم الممارسين ، الذين وجدوا أدلة وافرة لأهمية الثقافة من تجاربهم الشخصية مثل (Fisher). و هم بذلك يتبعون القول المأثور بأن الهجوم هو أفضل دفاع ، و المؤمنين بقوة الثقافة التفسيرية هم أيضا يصبون لمحاولة لايجاد حجج مضادة للمتشككين ففي التسعينات أكد الجيل الثالث من الباحثين الأكاديمين على فائدة التفسيرات الثقافية والعمل النظري على الثقافة الاستراتيجية ، والهياكل المحلية ، والثقافة التنظيمية التي أحرزت تقدما ملموسا في هذه الفترة ، أثرت في جزء منه من جراء ظهور بنائية كمنظور ذو أفكار ليست معتادة على الأقل في ظل هيمنة التيارات التقليدية المادية فوندت جادل بأن هويات الدول ومصالحها ويمكن اعتبارها "مبنية اجتماعيا عن طريق الممارسة المعرفية." البنائية يعترف بأهمية "الهياكل التذاتانية التي تعطي معنى للعالم المادي ،" بما في ذلك المعايير ،الثقافة ،الهوية [54] ، وهوبف يقول بأن النموذج يوفر "نهجا واعدا للكشف عن تلك السمات المحلية للمجتمع ،الثقافة ، والسياسات التي ينبغي أن تكون مهمة لهوية الدولة وعمل الدولة في السياسة العالمية. "

---

[53] - *Xintian (Yu);* **Cultural Impact On International Relatin;** **in** *JIEMIN (GUO)* **CHAPTER III ;Cultural Power And Cultural Conflict** Op;Cit

[54] - S. Lantis (Jeffrey); **Strategic Culture**: **From Clausewitz to Constructivism;** Op;Cit p 5.

و يقول المؤيدون لعل دراسة دور العوامل الثقافية في تشكيل هويات الدول و الجماعات و صياغة الأعراف و المبادئ التي تنظم العلاقات الدولية تستحق اهتماما خاصا من طرف علماء العلاقات الدولية فهذه الدراسة قد تفتح آفاقا في هذا الحقل و تعيننا على فهم ظواهر قد تستعص على مدارس العلاقات الدولية و لهذا تهتم النظرية البنائية في هذا الحقل بدراسة هذا الدور و تتميز بنظرتها الى الهويات و الأعراف و المبادئ باعتبارها غير ثابتة أو معطاة للفاعلين الدوليين بل انهم يعيدون تشكيلها و بنائها و من هنا جاء اسم البنائية و يرون أن "الأعراف لا تعمل من وراء ظهور الفاعلين ، بل انهم يحددون ماهيتها و هم يتصارعون على تحديد تلك الماهية لأن نظراتهم لها مختلفة لأنها تنبع من اعتقادهم و مبادئهم المختلفة و حساباتهم المتعارضة ".[55]

لذلك يقترح المؤيدون ، على سبيل المثال أن المصالح ليست ظاهرة موضوعية بدلا من ذلك ، فهي مبنية اجتماعيا ، وبالتالي ترتبط ارتباطا مباشرا بالهويات و في الواقع بالثقافة، فتعقد الفواعل يجعل من الصعب على صناع القرار لاختراق العناصر المكونة لمصالح الآخرين. القوة كذلك تعتبر ظاهرة معقدة ، و حسب Avruch فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالشرعية وبالتالي مع الثقافة كما أن إسقاطات القوة ليست مفيدة دائما فنمط القوالب الثقافية القائمة قد تؤثر بدرجة أكبر نظرا للتهديدات أو الالتزامات الموجودة ،كما ان هناك قضايا و مشاكل لا يمكن حلها بالرجوع الى القوة، فالقضايا الثقافية وأنواع أخرى من المشاكل المحتملة هي أكثر تعقيدا للتعامل معها بمنطق القوة . فالتشوهات بسبب الصور الراسخة يكون من الصعب جدا "تصحيحها" فالقيم الثقافية هي جزء من الهوية الوطنية هذه الأخيرة ليس قائمة على حسابات مادية و إنما قائمة على حسابات عاطفية[56]. و هو ما ذهبت إليه برنامج البحوث البنائية التي ابدت اهتماما خاصا لتشكيل الهوية ، مع التواصل إلى العملية التنظيمية ، والتاريخ ، والتقاليد ، والثقافة. وفقا لـــ Hudson ، بنائية "تنظر إلى الثقافة باعتبارها نظام متطور من المعاني المشتركة التي تحكم تصورات ، والاتصالات ، و الأفعال... ثقافة الأشكال الممارسة في كل من المدى القصير والطويل لحظة العمل ، والثقافة توفر عناصر من القواعد التي تحدد الحالة و التي تكشف عن الدوافع ، والتي تحدد إستراتيجية النجاح ولكن البنائية تركز بالدرجة الأولى على البنى الاجتماعية على مستوى النظام ، مع إبلاء اهتمام خاص بدور المعايير في مجال الأمن الدولي فالمعايير عرفت بأنها "المعتقدات تذاتانية حول العالم الاجتماعي والطبيعي التي تحدد الفواعل ، وأوضاعهم ، وإمكانيات عملهم."

عموما تتحدى البنائية باعتبارها من المؤيدين لدور الثقافي في العلاقات الدولية معظم ما استقر عليه المشككين و منهم النظريات الواقعية و لا سيما اعتبار المصالح الثابتة للدول و توزيع القوة بينها من المحددات الرئيسية في العلاقات الدولية إذ يرى البنائيون أن الهويات و الأعراف و المبادئ تلعب أدوار حاسمة في تعريف الدول لمصالحها الوطنية و

55- على سالم (أحمد)،**القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة** المرجع السابق الذكر ص 134.

56 - Bercovitch (Jacob) and Elgström (Ole); "**CULTURE AND INTERNATIONAL MEDIATION**: **EXPLORING THEORETICAL AND EMPIRICAL LINKAGES** "; Op;Cit p11-12.

صياغة سياستها الخارجية و تتراوح هذه الأدوار بين تعريف ماهية السياسة الدولية المقبولة دوليا و دفع دول الى تبني سياسة معينة في قضايا محددة كما يساهم تعريف الجماعة لهويتها في تحديد مصادر التهديد الذي تتعرض لها حلفائها المحتملين في مواجهة هذا التهديد فسياسة الهوية و ليس منطق المساواة في سيادة الدول هي التي غالبا ما تقدم لنا تفسيرا أفضل لنظرة دولة ما لدولة أخرى باعتبارها مصدرا حقيقا أو محتملا لتهديد أمنها.[57]

لم يكن من المستغرب أن يعتمد بعض الباحثين على السياق البيني و الذي توصل إلى استنتاج بأن الأمور ثقافة تهم أكثر في ظل ظروف معينة ، وأقل في ظل ظروف الآخرى. ان المحافظة على سؤال بسيط "هل تهم الثقافة؟" ينبغي الاستعاضة عن خط مثمر أكثر من الاستفسار ، "تحت أي شروط أو ظروف تهم المسألة الثقافة ، وإلى أي مدى ؟" في الأدبيات ذات الصلة من المفترض أن يكون للثقافة تأثير أكبر عندما تكون هناك الفجوة الثقافية الواسعة بين الطرفين عند التفاوض ، وعندما تجتمع الجهات الفاعلة مرة واحدة فقط وليس بشكل متكرر وعندما تكون هناك رمزية عالية للقضايا التي هي في متناول اليد. انها مسائل أقل عندما تكون المصالح الوطنية على المحك ، وعندما تكون الصراعات مكثفة للغاية .لذلك فتأثير الثقافة يبرز بشكل أو بآخر مكانتها في العلاقات الدولية.

II- خلفيات ظهور ثقافة لفترة ما بعد الحرب الباردة :

الثقافة لم تظهر بطريق الخطأ ، ولكن لديها خلفية في بعض الأوقات.

- كانت هناك حسب Yosef Lpid التحولات العالمية و المجال الأكاديمي للعلاقات الدولية و قد أدى التفاعل بين السلسلتين الى تزايد الاهتمام بمفهوم الثقافة في أدبيات العلاقات الدولية المعاصرة و قد بدت التحولات العالمي من خلال انفجار القومية الانفصالية [58] مع الانتهاء المفاجئ للحرب الباردة التي أجبرت المجتمع الأكاديمي في حقل العلاقات الدولية على إعادة النظر في مكانة النظرية الثقافية و الهوية في الشؤون الدولية و على نحو واسع فقد بدا و كأن حقل العلاقات الدولية يستجيب إلى إدراك يزداد شيوعا بأن ثمة حقبة دولية جديدة في طريقها للظهور عبر ذلك المؤلف بقوله" حينما يبدو النظام و كانه يتحول ثقافيا بشكل ذاتي أسرع حتى من تحوله اقتصاديا و جيوبوليتيكيا فليس من الغريب أو من غير اللائق أن يعيد حقل العلاقات الدولية و على نحو مماثل تعديل رؤيته النظرية و الامريبقية " أما التغير في الحقل الاكاديمي هما سببان شديدا الارتباط و المقصود هنا ان طبيعة القضايا الدولية المثارة لابد من أن تجد تفسيرات على المستوى النظري .

[57]- على سالم (أحمد)،**القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة** ,المرجع السابق الذكر ص 135.

[58]- مع بداية التسعينات دخل العالم مرحلة جديدة في إطار ما أُصبح يسمى " باللانظام الدولي الجديد "، حيث ثمة انفلات للأوضاع عن مسارها الطبيعي و تحول شامل لمجموعة من المبادئ و المفاهيم التي تضبط مسار العلاقات الدولية (مفهوم السيادة و مفهوم حق الشعوب في تقرير المصير ،مفهوم حقوق الانسان ....) و هذه المرحلة هي فترة الانفجاريات القومية و الاثنية و الدينية التي شهدتها أوروبا الشرقية و آسيا الوسطى ،و الحروب الأهلية الطائفية في عدة مناطق من العالم .

الفصل الثاني

- يشير Fred Halliday إلى وجود عدة قضايا تتعلق بالعالم المعاصر جميعها فرضت البحث في التساؤل حول الثقافة و السياسة و أولها كما يقول أن الثقافة جزء ثابت و أساسي في الجدل الدائر حول العولمة من انها تخلق عمليتين متضادتي الاتجاه إذ تخلق عددا من الروابط الكونية من جهة و تؤدي في الوقت نفسه ذاته لبروز و انتعاش الهويات المحلية و الإقليمية و التفتيتية من جهة أخرى بما يخلق مجالا ثقافيا تمارس فيه أدوات العولمة عملية تآكل للاختلافات السابقة و التي كان يتم تعريفها أو تحديدها على أسس قومية و تبعا لمفاهيم الهوية و التاريخ فإن اتجاه النقاش الغالب في العلاقات الدولية حسبه ينظر للعولمة على أن لها تأثيران أحدهما تفتيتي و الآخر دمجيا للثقافة ،كما و أن الاهتمام بالبعد الثقافي في العلاقات الدولية فرضه تجدد الاهتمام و التأكيد في العلاقات الدولية على القومية و الهوية، الوطنية،التقاليد الجذور و جميعها كما يرى Fred [59] كلمات مفتاحية للتسعينات ووجود اتجاه يرى في النظام الدولي و فوق كل شيء حيزا يهيمن عليه الصراعات ما بين الثقافية و العرقية و يرى أنصار هذا الاتجاه أننا منذ نهاية الحرب الباردة ندخل مرحلة دولية جديدة من الصراع المعولم القائم على الثقافة[60] .
- نهاية الحرب الباردة قد انطوى على تخفيف لتهديدات عسكرية عنيفة في العلاقات الدولية ، والى التخفيف من المواجهة الايديولوجية بين الكتل. وبدأت بلدان كثيرة الاصلاحات الاقتصادية والاتصالات بين الدول وبين الجماعات العرقية قد تعززت بشكل متزايد ، وبالتالي تعزيز الوعي الحضاري. إذا كان بلد ما قويا أو ضعيفا لم يعد يقاس فقط من منظور سياسي وعسكري ، ولكن من حيث قوته الوطنية الشاملة. وهذا يشمل ليس فقط من العوامل مثل الاقتصاد والشؤون العسكرية والعلوم والتكنولوجيا ، والموارد الطبيعية ، ولكن أيضا على العوامل الروحية الأساسية للثقافة الوطنية ، الطباع و الروح. وهو يشمل أيضا التكامل والتوازن بين هذه العوامل الأساسية.

هذا يعزز بشكل واضح على أهمية الثقافة ، والتي أصبحت الآن واحدة من العوامل الرئيسية التي تحدد قوة البلاد ، جنبا إلى جنب مع السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية والعلوم والتكنولوجيا. وبسبب التغييرات في العالم الأوضاع السياسية والعسكرية ، والبلدان التي لديها "الوعي بالهيمنة" القوية حولت انتباهها إلى المجال الثقافي ومحاولة لتوحيد العالم مع قيمهم الثقافية من أجل تحقيق النتائج التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق النضال السياسي والقوة العسكرية .

59– محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية–دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات**،(مرجع سابق الذكر ص 131 .

60– في هذا الإطار نستدعي الكثير من النماذج ذكرها هنتغتون في دراسته باعتبارها أمثلة على بروز العوامل الثقافية و الحضارية في العلاقات الدولية الراهنة واصفا إياها بأنها نماذج من تكوينات طائفية –دينية و اثنية و قبلية – كانت موجودة في عالم الحرب الباردة بل في علم ما قبل الحرب الباردة و يعيد سبب تحول هذه المكونات الثقافية إلى عناصر صدام بسبب تفكك و التفكيك الذي حصل لها بفعل عوامل ذاتية و خارجية و يقول في هذا الصدد " ما إن طل القرن العشرون عبر حربه الأولى حتى كان النظام العالمي يشكل أطرافه(المستعمرات من نفوذ) عبر تفكيك مبرمج و مدروس و موظف لتلك التكوينات الثقافية و الاجتماعية و الاثنية ، وفقا لخطوط جيوسياسية ومراكز نفوذ و مصالح و طرقات و ثروات و استتباعات ثقافية و سياسية للقوى المحلية و اثنيات و قوميات و قبائل و جماعات دينية و طائفية و مذهبية و عشائرية ".

- في فترة الحرب الباردة الدول المهيمنة واجهت بعضها بعضا كأعداء انطلاقا من خلفية التناقض الايديولوجي و ما يخلفه من صراعات أما بعد انتهاء تلك الحرب الباردة فالعداءات الجيوسياسية لم تعد موجودة ، رغم ذلك اعتادت الدول على الحرب الباردة فقد حولت صراعها لمجال أوسع من الايديولوجيا هو الصراع الحضاري أو الثقافي ، إذ أنهم تعهدوا بالقيام "حربا بدون دخان البندقية" مع جميع الحضارات غير الغربية ، و ذلك لمحاولة استخدام معاييرهم القيمة لتوحيد العالم ؛و يمكن القول أنهم رفعوا القضايا الحضارية والثقافية بوصفها ذريعة جديدة للتدخل في شئون الداخلية للدول الأخرى .
- نظرية "صراع الحضارات" هي خلفية أخرى لتبرير بروز الثقافة في العلاقات الدولية

بعد انتهاء الحرب الباردة ، فإن بعض الباحثين الغربيين قد تعاونوا بنشاط مع الدول الغربية التي تقودها الولايات المتحدة من دفع القوة الثقافية في العلاقات الدولية بما فيها من علاقات مع عالم المتقدم و النامي والتي طرحت في نظريات مثل "نهاية التاريخ" ، "صراع الحضارات" و "ما بعد الاستعمار ". فقد حاولت هذه الأطروحات خلق الأسس النظرية لتسلل الثقافية إلى الواقع الدولي والتوسع تحت عباءة العقلانية والشرعية.و من بين وجهات النظر هذه ، فإن "صراع الحضارات" من الناحية النظرية كان له التأثير الأكبر و الأوسع نطاقا من غيره و هنا لا بد من الإشارة إلى أن مفهوم الحضارة عنده هو أساسا مساويا لمفهوم الثقافة، ويمكن للاثنين ان يكونا متبادلين على سبيل المثال ، يمكن أن يطلق "الحضارة الكونفوشيوسية" على "الثقافة الكونفوشيوسية". الحضارة هي شكل الوجودي للثقافة و لمعرف أكثر بالنظرية الهنتنغتونية نستطيع طرح التساؤل التالي :إلى ماذا تشير نظرية "صراع الحضارات" تحديدا؟ – -- البروفيسور صموئيل هنتنغتون كتب في مقاله "صدام الحضارات؟" أن الحضارات غير الغربية لا يمكن أن تبقى كائنات(شيئا) ، لأنها أصبحت جهات فاعلة و محور السياسة الدولية و سيصبح التفاعل مرتكزا بين الغرب والحضارات غير الغربية في المستقبل القريب ، سيتم تركيز الصراع على العلاقات بين الغرب وبعض البلدان الإسلامية و الكونفوشيوسية فهو بذلك يعني ان الحضارات غير الغربية قد ارتفعت على الساحة الدولية وقفت الى الغرب على قدم المساواة ، مما يؤدي إلى الصراع الثقافي. فالحضارات غير الغربية لها روح مستقلة ويتم انتقالها من "الأشياء" إلى "الفاعلين" ، وسوف يكون هناك طوفان من التمرد و هذا التفكير يعكس تطلعات بعض المركزيون الغرب.

- القوة الناعمة أو اللينة[61] و دفع أكثر للثقافة في العلاقات الدولية :

يقدم Joseph Nye مقتربا أكثر استاتيكية إذ وجد ان القوة العسكرية والاقتصادية وكلاهما يطلق عليهما (القوة القاسية) لم تعد كافية في الهيمنة او السيطرة لذا فهو يدعو الولايات المتحدة الأميركية الى استخدام قوة غير عسكرية في الترويج والترغيب لأفكارها وسياساتها، ويعتقد ناي أن استعمال القوة من قبل القوى الكبرى قد يشكل خطراً

[61]– القوة الناعمة او اللينة اصطلاح جديد طرحه جوزيف ناي عميد في جامعة هارفرد، رئيس مجلس الاستخبارات الوطني الاميركي، ومساعد وزير الدفاع في عهد ادارة بيل كلينتون، له العديد من الكتابات في اشهر الصحف مثل: النيويورك تايمز والواشنطن بوست والوول ستريت، وكذلك العديد من الكتب والمؤلفات ابرزها كتاب (الطبيعة المتغيرة للقوة الاميركية في 1990 و القوة اللينة ـــ وسائل النجاح في السياسة العالمية) .

على أهدافها وتطلعاها الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية، لذا فان الولايات المتحدة كما يقول ناي، إن أرادت أن تبقى قوية فعلى الأميركيين أن ينتبهوا إلى قوتنا الناعمة اللينة ......فبإمكان دولة، مثل الولايات المتحدة ان تحصل على النتائج التي تريدها في السياسة الدولية لان الدول الأخرى تريد اللحاق بها وإتباعها إعجابا بقيمها، أو تقليداً لنموذجها أو تطلعاً للوصول إلى مستوى ازدهارها و رفاهها وانفتاحها. فمن الأهمية بمكان ان تضع برنامجاً في السياسة الدولية يجذب الآخرين اليك، وان لا تجبرهم على التغيير من خلال التهديد أو استعمال القوة العسكرية أو الاقتصادية. هذا المظهر من القوة: (جعل الآخرين أن يريدون ما تريده أنت، هو ما اسميه انا بالقوة الناعمة- بهذه الطريقة تكسب الناس بدلاً من إجبارهم) [62].

فالقدرة على تأسيس الأولويات تميل دائماً الى الارتباط بمصادر القوة المعنوية، كأن تكون ثقافة جذابة، إيديولوجيا، أو مؤسسات، فإذا استطعت ان أجعلك تريد أن تفعل ما أريد أنا، فعندها لن يكون علي إجبارك على أن تقوم بما لا تريد أن تقوم به.[63] فلو ان الولايات المتحدة تمثل قيما يريد الآخرون إتباعها لكانت الكلفة التي ندفعها للقيادة (قيادة العالم) اقل.

باختصار فان عالمية ثقافة دولة ما، وقدرتها على وضع قواعد مفضلة ومؤسسات تحكم مناطق النشاط الدولي، هي مصادر حاسمة للقوة، كقيم الديمقراطية والحرية الشخصية والتطور السريع والانفتاح، الذي غالباً ما يتمثل في الثقافة الشعبية الأميركية، التعليم العالي والسياسة الخارجية[64] .

القوة اللينة، التي تمت مناقشتها بشكل مستفيض من قبل البروفيسور جوزيف ناي ، هي طريقة فعالة للتمييز بين الآثار الخفية للثقافة والقيم والأفكار وبين الإجراءات الأكثر قسرية مثل العمل العسكري أو المجال العسكري و في هذا المقام نستطيع أن نجد العلاقة التفاعلية بين ثلاثة أعصاب حساسة في العلاقات الدولية و هي السياسة و الاقتصاد و الثقافة فبروز عالم النظريات الاقتصادية لا يمكن أن تحل محل النظريات السياسية في العالم ، في حين أن البحث في الثقافة العالمية ، لا يمكن ، بطبيعة الحال ، أن يكون بديلا عن البحث في السياسة العالمية والاقتصاد العالمي. كل واحدة لديها التركيز النظري لمساعدة الناس على مراقبة الظواهر الدولية من زوايا مختلفة. ومع ذلك ، فإن هذه الأبعاد الثلاثة ليست معزولة [65] ، بل هي جوانب مختلفة من عملية تاريخية شاملة للشؤون الدولية. فقط عن طريق إجراء البحوث الثقافية يمكن اغتنامها حتى تكون هناك عملية تاريخية شاملة. وحتى الآن معظم التفسيرات تركز على أجزاء بأكملها ، مثل الاقتصاد والسياسة والتكنولوجيا والحرب ، وليس الشكل عام نفسه أي ليس الدمج بين كل تلك المجالات .

---

62 - Nye, Jr (Joseph S) ;" SOFT POWER" *.pdf p 145*
http://www.foreignpolicy.com/Ning/archive/archive/080/SOFT_POWER.PDF

63 - Ibid p 156.

64 - Ibid p 158-159 .

65 - *Xintian (Yu);* **Cultural Impact On International Relatin**; **in** *XINTIAN (YU)* ;**CHAPTER VI AN OUTLINE OF INTERNATIONAL CULTURE** opCit

يمكن أن يؤدي التركيز على جانب واحد إلى فهم مشوه للسياسة الدولية . وتفسير العلاقات الولية من منظور ثقافة تفضي إلى التغلب على هذه العوائق. ثقافة لها تأثير على جميع الأنشطة البشرية -- الفنية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والدينية والروحية والاقتصادية والتقنية. في هذا ، الثقافة ، على وجه الخصوص شاملة ومتكاملة. إذا كان البحث في العلاقات الدولية تسمو على مستوى الحدث الوصف والتفسير ، من خلال البحوث الثقافية التي يمكن أن ترتقي إلى المداولات النظرية للفلسفة التاريخية . من ناحية أخرى الإجابة على كافة الأسئلة التي أثارها عالم اليوم . ويمكن للإطار البحث في الثقافة الدولية أن تظهر مع الرسم البياني التالي[66] :

Ideas, Concepts and Principles الأفكار ،المفاهيم ، المبادئ

↓

Systemic Identity of Ideas and Concepts هوية نظمية من الأفكار و المفاهيم

↓

Cultural System نظام ثقافي

World Economy عالم اقتصادي — World Politics عالم سياسي

International Relations العلاقات الدولية

تأثير الثقافة في العلاقات الدولية

كل تلك النقاط كانت خلفية توضح أسباب ظهور العامل الثقافي في تلك الفترة بالذات و تبين مدى تأثيره في مجريات السياسة الدولية،لذلك وجب الاهتمام بهذا البعد من أبعاد دراسة الظاهرة الدولية الراهنة باعتباره كذلك بعدا واعدا يحمل العديد من أوجه إثراء الدراسة النظرية للعلاقات الدولية ،و كحقل جديد للبحث في العلاقات الدولية ، فمن الأفضل أن نقول إن هذا المطلب قد طرح الأسئلة قد تثير الجدل ، بدلا من إعطاء إجابات و هو العامل المحفز للنقاش والنقد لأن إعطاء الإجابة هو حكم مسبق على الانحياز الى تيار دون آخر و كما قلنا أن كل التيارات في العلاقات الدولية تخدم بعضها البعض .

[66] - Ibid .

الفصل الثاني

المطلب الثالث : صراع الحضارات كمنظور حضاري مفسر للصراعات في العلاقات الدولية

إن المصدر الأساسي للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا ايدولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية و المصدر المسيطر للصراع سيكون مصدار ثقافيا و ستظل الدول الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية لكن الصراعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم و مجموعات لها حضارات مختلفة و سيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.

صامويل هنتنغتون[67]

إن الفكرة الأساسية لـــ**صامويل هنتنغتون** و المحركة لأطروحة " صدام الحضارات "تبدأ من ثلاثة فرضيات:

الفرضية الأولى : خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة الصراع العنيف بين دول من مختلف الحضارات سيكون أكثر احتمالا مما كانت عليه خلال الحرب الباردة.

الفرضية الثانية : خلال فترة ما بعد الحرب الباردة ، سيكون الصراع العنيف أكثر شيوعا بين التجمعات المجاورة لمختلف الحضارات (أولئك على خطوط الصدع) أكثر من بين التجمعات المجاورة لحضارة واحدة.

الفرضية الثالثة : خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، سيكون الصراع العنيف تكون أكثر احتمالا بين دول من الحضارتين الغربية والإسلامية اكثر من الدول من الحضارات الأخرى.

ينبغي أن تكون الفرضية الأولى واسعة نوعا ما. أولا ،أهمية توقع صدام الحضارات بعد نهاية الحرب الباردة إذ يمكن أن يعزى ذلك إلى ارتفاع العدد المطلق للصراعات بين الحضارات. وكذلك الارتفاع نسبي بالنسبة لجميع الصراعات. ففي الفرضية الأولى يرى أن الفروق الثقافية سوف تحدد بصورة متزايدة شكل النظام الدولي مستقبلا و اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية و بالتالي الانقسامات الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية تتصادم في اطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة و من هنا فجوهر الأطروحة يكمن في كون

[67]– ظهرت نظرية صدام الحضارات لأول مرة في مقالة للباحث الأمريكي صمويل هنتغتون ضمن عدد لمجلة شؤون خارجية صيف 1993 قبل أن يطورها في شكل كتاب صدر له في 1996 و قد حاول من خلالها تحديد ملامح الصراع الدولي القائم بعد نهاية الحرب الباردة ففي هذه الأطروحة يرى الباحث أن الصراعات الدولية في عالم ما بعد لحرب الباردة ستكون صراعات بين أمم و المجموعات الثقافية و الحضارية المختلفة لا بين الدول و هو يؤكد بذلك على العنصر الثقافي كمحور أساسي للانقسامات بين الشعوب خصوصا مع تنامي بروز الهوية الثقافية أمام ما يشهده العالم من تحديث و تنمية اقتصادية مما يعمق الخلافات و الصراعات المبنية على أسس و مرتكزات ثقافية. فإذا كانت انقسامات مرحلة ما بعد الحرب الباردة ستكون ثقافية فالعالم معرض لأزمة هوية شاملة حيث كل لشعوب و الأمم تسعى للاجابة على التساؤل التالي " من نحن ؟ و يجيبون الى كل ما هو ما عزيز عليهم اجدادهم دينهم لغتهم تاريخهم قيمهم عاداتهم مؤسساتهم و بالتحامهم في الجماعات ثقافية على شكل عشيرة مجموعة اثنية أمة و أخيرا على شكل حضارة و لمزيد من التوسع حول هذا الموضوع أنظر :

-LIAUZU(Claude) ,**EMPIRE DU MAL contre GRANDE SATAN**,(Edition Armand Colin 2005) p 40

الحضارة باعتبارها أرقى أشكال التعبير عن الهوية و ستكون أحد العوامل الفاعلة في تحديد طبيعة الصراعات القادمة . لذلك فهو يطرح العامل الثقافي كمبدأ محرك للجيوسياسة العالمية.فما يمثل عنصر الجاذبية في نظرية هنتنغتون هو محاولته تطوير بناء شامل لا يشرح صراع الحاضر والمستقبل فحسب، بل يشرح أيضاً الملامح الرئيسة لنظام السياسة الدولية . وبما أن هذه النظرية تتناول أيضاً الصراعات في داخل الدول، فإن تأثيراتها تتجاوز العلاقات الدولية .[68]
لذلك لقت نظرية هنتنغتون اهتماما واسعا، فأفكاره حول هذا الموضوع كثيرا ما استشهد بها في أعمال أخرى فقد حلل بعض منهم أطروحته من منظور الصراع الدولي من بينهم (Russett ، Oneal و Cox ، Henderson و Tucker ؛ Chiozza،وGartzke و Gleditsch) ، في حين أن آخرين قد نظر في الجوانب الداخلية (على سبيل المثال Fox و Henderson).[69] و مستوى الصراع عنده يتم على مستويين :

- المستوى الجزئي Micro-Level تتصارع المجموعات المتجاورة على امتداد خطوط التقسيم (الصدع) بين حضارات بصورة عينية على السيطرة على أراضي بعضها البعض .
- على المستوى الكلي Microl-Level تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية و الاقتصادية النسبية و تتنافس على ترويج لقيمها الدينية و السياسية الخاصة [70].

يعرف الحضارة على مستويين ، **المستوى الأدنى** : بانها كيان و هوية ثقافية قائمة على أساس التمايز الثقافي التراتبي انطلاقا من أصغر الوحدات الثقافية أي من المحلي مرورا عبر الاقليمي و حتى القومي الوطني و ربما القاري و يقول في هذا الاطار أن الحضارة كيان ثقافي، فالقرى و الأقاليم و المجموعات الاثنية و القوميات و المجموعات الدينية لها جميعا ثقافات متمايزة و إن تكن على مستويات مختلفة من عدم التجانس[71]. فقد تكون ثقافة قرية ما في جنوب ايطاليا مختلفة عن قرية في شمال ايطاليا،لكنهما تشتركان معا في ثقافة ايطالية مشتركة تميزها عن القرى الألمانية.
أما المستوى الثاني و هو الأهم فهو تعريف واسع و شمولي و يعرفها باعتبارها كيانا ثقافيا واسعا يمثل أوسع مستويات الهوية الثقافية بحيث لا يوجد مستوى أعلى للتحديد و التمايز الهوياتي على مستوى الحضارة و يقول ان " الحضارة هي الشكل الأعلى للتجمع و المستوى الأسمى للهوية الثقافية الذي يحتاج اليه البشر للتمايز عن باقي الأنواع " و هي تحدد في آن معا بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة و الدين و التاريخ و العادات و المؤسسات و بالتحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب نفسه فمن يقطن روما يحدد نفسه بدرجات متباينة من الحدة على أنه من أهل روما أو ايطالي

---

[68] – غريفيثس (مارتن)و أوكالاهان (تيري) ، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية** ،(الامارات العربية المتحدة ،دبي، مركز الخليج للأبحاث الطبعة الأولى 2008) ص 279

[69] - LIAUZU(Claude) ,**EMPIRE DU MAL contre GRANDE SATAN**,(Edition Armand Colin 2005) p 40

[70]– الحديثي (عباس)، **نظريات السيطرة الاستراتيجية و صراع الحضارات** ،(الأردن، عمان دار أسامة للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى،2004) ص 80 .

[71] - JOSEPH S. NEY JR, **Understanding International conflicts An Introduction To Theory And History**,(Pearson International Edition 2007) p 266.

أو مسيحي أو كاثوليكي أو اوروبي أو غربي [72].و بهذا لا يفصل هنتغتون بين مفهوم الثقافة و مفهوم الحضارة الى درجة رفضه التمييز بينهما و يستعملهما في الكثير من الأحيان كمرادفين.

يعتقد هنتغنتون أن للحضارة طبيعة جوهرية موضوعية تتحدد و تتكون من مجموعة عناصر موضوعية هي اللغة التاريخ المشترك العادات المؤسسات و الدين (*) الذي يشكل القوة المركزية التي تحرك الناس و تحشدهم لذلك فالحضارة يمكن تعريفها الى حد كبير من خلال الدين فهو العلامة الفارقة للتمييز بين الحضارات فالشخص يمكن ان يكون عربي و فرنسي و لكم من الصعب أن يكون نصف مسلم و نصف كاثوليكي فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ و اللغة و الثقافة و التقاليد و الاهم الدين و هذه الفروق نتاج قرون و لن تختفي سريعا .[73] حيث كان يقسم العالم إلى تسعة 'الحضارات الكبرى' : الأفريقية ، والبوذية ، والهندوسية ، والإسلامية ، واليابانية ، دول أمريكا اللاتينية والأرثوذكسية ، الصينية ، و الغربية كذلك المستعمرات البريطانية السابقة لمنطقة البحر الكاريبي تدرج في الفئة العاشرة ('أخرى'). (‘Other’).[74] و هو المبين في الخريطة أدناه. و يبدو أن المعيار الرئيسي المسيطر هو الدين

خريطة الحضارات حسب التقسيم الهنتنغتوني

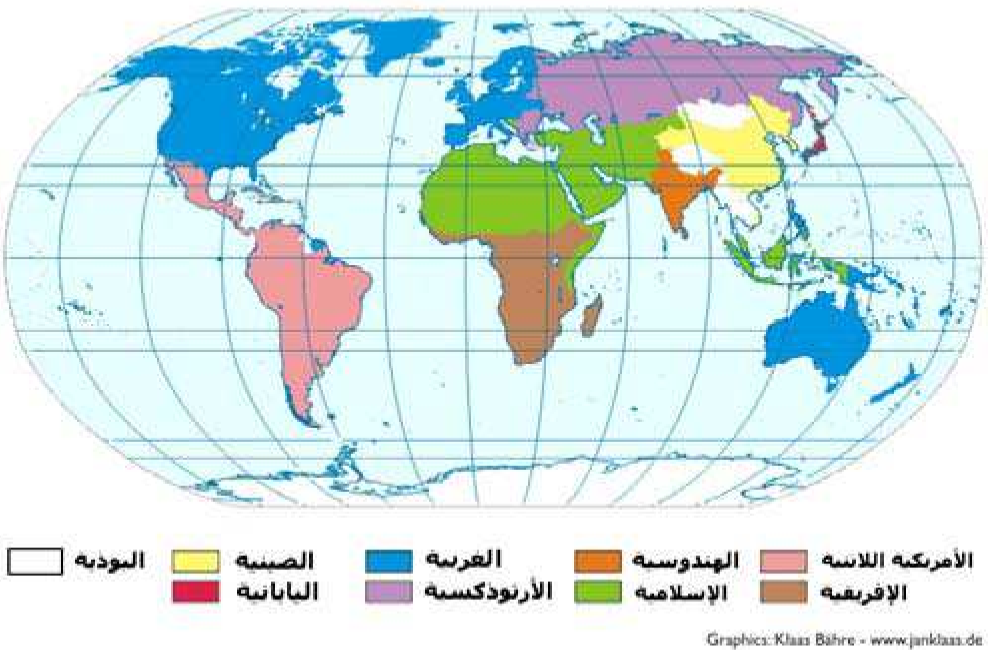

---

72 -Ibid 267 pp.

73– السعدي (محمد) ، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام** ، المرجع السابق الذكر ص 108-110 .

(*) اللغة : حيث يعتبر أن العنصر اللغوي المكون الثاني المميز بعد الدين لأفراد ثقافة عن ثقافة أخرى فالغرب يختلف عن أغلب الحضارات الأخرى من حيث لغاته و هندرسون يربط بين المكونين اللغة والدين و يؤكد في تحديد أن أولئك الذين يشتركون في اللغة الصينية والديانة/ الفلسفة الكونفوشيوسية هم أقل عرضة للقتال فيما بينهم ، في حين أن المسيحيين والمسلمين هم أكثر عرضة للصراع مع بعضها البعض ، يرى أن أثر الدين يتجاوز معظم المؤثرات الأخرى.

74 - TUSICISNY(ANDREJ); "**Civilizational Conflicts: More Frequent,Longer, and Bloodier?***" *Journal of Peace Research, vol. 41, no. 4, 2004, p. 485–498 Sage Publications (London, Thousand Oaks, CA and New Delhi)* *www.sagepublications.com*

هناك منطق وراء التصنيفات هنتنغتون، هذه الانقسامات عموما تحدد المجموعات الكبرى أو الصغيرة من العالم من خلال القواسم المشتركة واسعة ، ففي حين أن هذه الانقسامات هي بالتأكيد عرضة للانتقاد من حيث التركيب ، والشيء نفسه يمكن أن ينطبق على أي محاولة أخرى للفصل بين شعوب العالم. على سبيل المثال ، إن الجمع بين الأديان باستخدام العديد من حضارات هنتنغتون يخفف كثيرا أية نتائج (على سبيل المثال ، الحضارات الغربية ، وأمريكا اللاتينية ، والأرثوذكسية ، وربما أجزاء من أفريقيا من شأنه أن يشكل لدمج الدين المسيحي).[75] أما اللغة من شأنها أن تولد مجموعات كثيرة جدا وسيكون السباق المثير جدا للجدل ، لأن العديد من البلدان اليوم هي متعددة الأعراق والأجناس وليس من السهل دائما تحديدها . كما ذكر آنفا ، الاختلافات الحضارية / الثقافية يمكن أن تشمل جوانب مثل العرق والدين ، واللغة ، وكل ما يساعد على تشكل الهوية.[76]

الفرضية الثانية التي وضعها هنتنغتون مفادها أن في وضع يتمكن فيه الناس مختلف الثقافات (الحضارات) من الاحتكاك خاصة تلك التي تعيش على مقربة من بعضها البعض (مناطق معينة حيث خطوط الصدع) يزيد من احتمالات الصراع المسلح ، مما أدى إلى حدوث زيادة الصراعات العنيفة. ففرضية هنتنغتون تولي اهتماما كبيرا لخطوط التصدع ، تلك الأماكن حيث الحضارات المختلفة متجاورة ، أو جسديا ماديا تقع بجوار بعضها البعض. هذه الأماكن المحلية التي يكون فيها التفاعل المتكرر ممكن ، وبالتالي هذه هي الدول التي لديها فرص أكبر للتدخل في صراع مع بعضها البعض.

فهندرسون **يخلص إلى أن المتغيرات الثقافية يكون لها أثر أكبر في الصراع مما يفعل التواصل.**[77] في الواقع ، فانه يرى أن **الدين يؤثر مرتين من المتغيرات الثقافية المؤثرة في الصراع إذا كان مرتبطا بالتواصل الذي له مساهمة أكبر في توليد الصراع الدولي ، فإنه من المنطقي أن نتوقع أن الاثنين معا (ضمن خطوط التصدع) لا يمكن إلا أن تؤدي إلى تفاقم التوترات مهما يكون ناجما عن أي منهما على حدة.** و لعل هذا المخطط يبين أهمية خطوط الصدع في الصراعات بين وحدات من مختلف الحضارات[78]

---

[75] - Glynn (Ellis), **Gauging the Magnitude of Civilization Conflict;** Op;Cit p 6.

[76]- رزيق المخادمي(عبد القادر)،**النظام الدولي الجديد: الثابت و المتغير**،(ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،الطبعة الثالثة، 2006) ص 128 .

[77] - Glynn (Ellis), **Gauging the Magnitude of Civilization Conflict;** Op;Cit p7.

[78] - TUSICISNY(ANDREJ); "**Civilizational Conflicts**: **More Frequent**,**Longer**, **and Bloodier?** Op;Cit *p 485.*

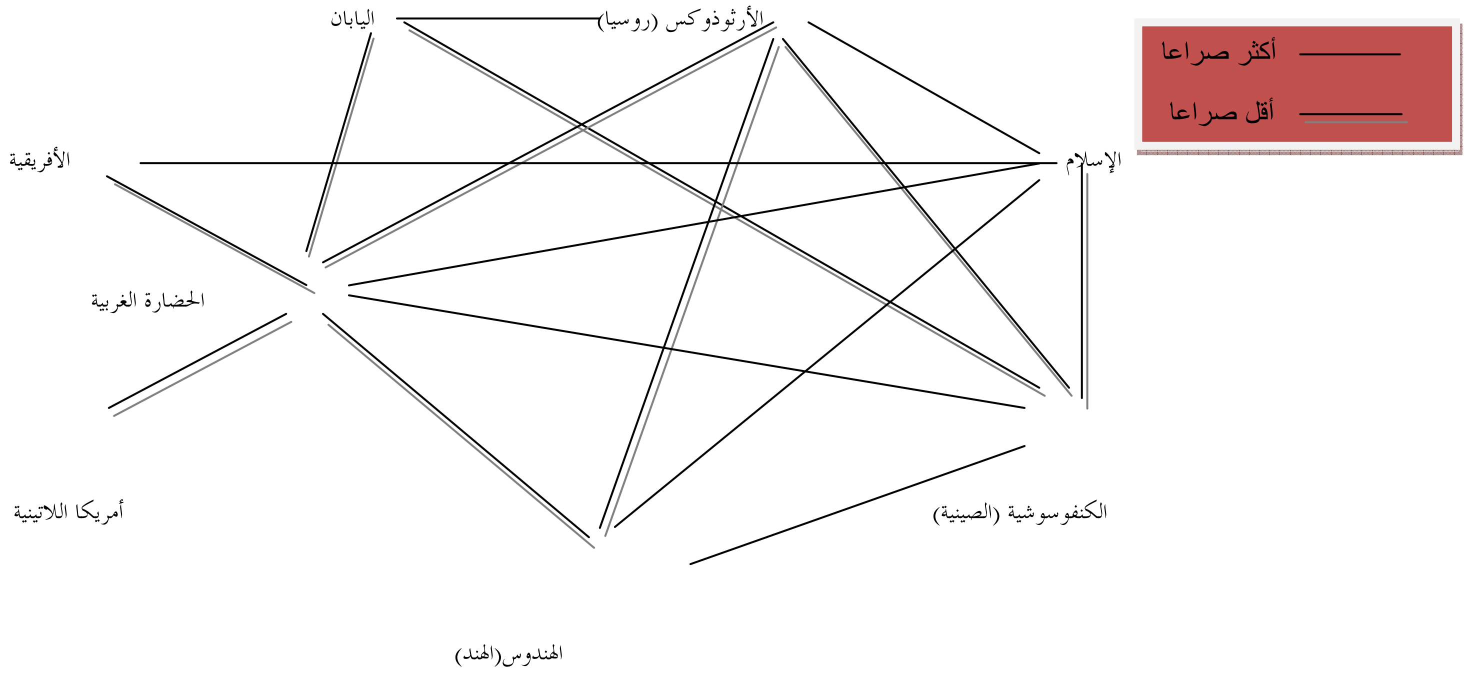

السياسة الكونية للحضارات الانحيازات البازغة :

نقلا عن صمويل هنتغنتون صدام الحضارات /إعادة صنع النظام العالمي ،ترجمة طلعت الشايب،مصر 1998 ص ص 397.

كما يقول في توضيحه لهذه الفكرة " السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية ،مدفوعة بالتحديث فالشعوب ذات ثقافات المتشابهة تتقارب ، و الشعوب و الدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد . الانحيازات التي تعتمد على الايديولوجية و العلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة و الحضارة . والحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية / الاثنية و الدينية و الحضارية . المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة و خطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية."[79] إن اعتبار خطوط الصدع مقياس نقيس به شدة الصراعات الحضارية ، ينتهي الى ان حدود الدول المتصارعة و المتاخمة لبعضها البعض تزيد من احتمالات الحرب و كثافة الصراع إذا ما قورنت بمثيلاتها البعيدة أو المنفصلة و هذا ينطبق في رأيي على الصراعات التي تحدث سواء بين الدول او داخلها (بين مجموعات الاثنية التي تتصارع على أساس عرقي / ثقافي) و عموما ، إن كثافة التفاعلات و الاحتكاكات بين الحضارات المختلفة تؤدي الى تنامي الوعي الحضاري عبر إدراك الاختلافات العميقة بين مختلف الحضارات و الشعور بالانتماء الحضاري المشترك

---

[79] - الحديثي (عباس)، **نظريات السيطرة الاستراتيجية و صراع الحضارات** ، المرجع السابق الذكر ص 157 .
- TUSICISNY(ANDREJ); **Civilizational Conflicts: More Frequent,Longer, and Bloodier; Op;Cit**

داخل الحضارة الواحدة و هو ما يزيد من فرص الصراع[80] و هو ما توضحه الخريطة التي تبين شدة الصراعات الحضارية عبر خطوط الصدع .

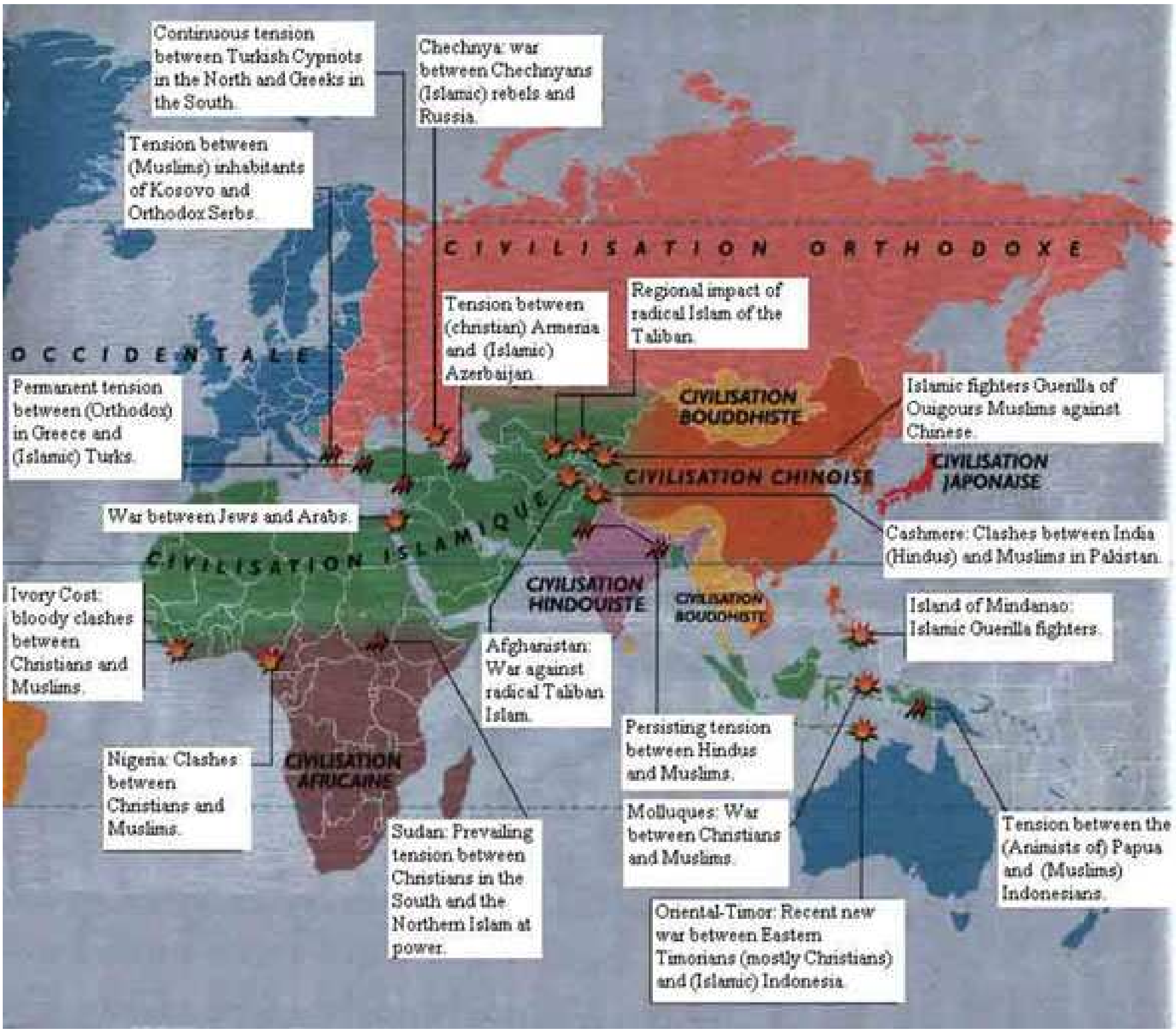

<u>شدة الصراعات الحضارية عبر خطوط الصدع</u>

الفرضية الثالثة : اكتسب النقاش الدائر حول ما إذا كان الإسلام يمثل فعلا تهديدا حضاريا للغرب أهميته لأنه جاء حين كانت الحرب الباردة تضع أوزارها و كان المفكرون الغربيون يسعون إلى إعادة رسم مفاهيم العالم و كانت عملية صب النماذج الجديدة و قولبتها تنذر بإعادة بناء الآخر الإسلامي .

رأي هنتنغتون بشأن توسيع نطاق صراع الغرب والإسلام عن طريق التنبؤ بأن من شأنه أن يكون هناك تعارض بين هاتين الحضارتين إذ جادل بأن التاريخ يكذّب هذه الفكرة التي تبناها الزعماء الغربيين بأن الغرب ليس لديه مشاكل

80 -O'Hagan (Jacinta) ;**Civilization Conflict Looking for Culturel Enemies** ;<u>Third World Quarterly</u> ; mar 95 ,Vol16,Issue1, p 19-20

مع الإسلام ، بل ومنهم فقط مع المتطرفين الاسلاميين. وتحجج بأنه على مدى السنوات الماضية أربعة عشر قرنا من المسيحية والاسلام كان خلاف مستمر وكانت الديانتين في منافسة جدية "السلطة والأرض والنفوس." و قد أكد أن التسامح بين الإسلام والغرب انخفض في العقود الأخيرة من القرن العشرين.[81] الأحداث التي جرت في السنوات القليلة الماضية على ما يبدو دعمت الادعاء بشأن هذا الانخفاض .إن مطلع الادبيات الغربية التي تتحدث عن الطرح و تتبناه يرى أنها لا تقف عند حدود الصراع المحلي ،بل تتجاوزه الى الصراع الاقليمي بسبب زرع الكيان الاسرائيلي في قلب الوطن العربي و كذلك الصراع الحضاري بين الاسلام و الغرب و هذا ما تعززه مقولة هنتغنتون يقول" ***أربعة عشر قرنا .... أثبتت العلاقات بين الاسلامية و المسيحية أنها كانت غالبا عاصفة،كل واحد كان نقيضا للآخر*** "[82] لذلك أخذت مقولة هنتغنتون و أطروحاته بعدا استراتيجيا خصوصا بعد أن انهارت المنظومة الاشتراكية ، حيث لم يبق عدو قوي للغرب فاثيرت هذه الاطروحات التي وضعت على سلم الأولويات في بناء أطروحات السياسة الدولية و العلاقات الدولية بين الغرب و الدول الاسلامية . و هذا السيناريو يعبر عن أحد أهم المتغيرات و هو انتهاء الحرب الباردة و هذا السيناريو يدفع باتجاه الضغط المتكرر من قبل الغرب : حضارته ،ثقافته ، نظمه.[83] و هو نفسه ما أدى الى بروز تيار فكري في الغرب يجعل من الإسلام عدوا للغرب بديلا من الشيوعية ، كما شكلت أحداث 2001/09/11 منعطفا تاريخيا أصبح ينذر بإمكانية قيام مواجهة و صدام حقيقيين بينهما بناء على خلفيات سياسية و عسكرية بغلاف ثقافي و حضاري .[84] و عموما ما يهمنا فعلا ليس التركيز على الصراع بين الغرب و الاسلام بقدر ما نهدف الى ايصال فكرة أن الاختلافات الحضارية و التمايزات الثقافية القائمة على الدين و اللغة و التقاليد و غيرها من المقومات تلعب دورا منافسا لما كانت تلعبه القوة ، و المصالح الاقتصادية المدعومة من طرف قوى ايديولوجية في اثارة الصراعات و إطالة أمدها .

ختاما : رغم كل الانتقادات التي ألصقت بأطروحة صراع الحضارات كونها لا تمثل أو لا تفسر إلا نسبة قليلة من الصراعات القائمة في العالم يرى هنتغنتون أن هناك حالات شاذة بالنسبة للصراعات الموجودة و التي و إن صعب تفسيرها بالنموذج القائم ،إلا أنها لا تدحض صحة النموذج،و لا يمكن هدم أي نموذج دون تقديم نموذج أفضل من حيث قدرته على تفسير الأحداث على نفس الصعيد الذهني الشمولي .و يعتبر ان العالم مازال منقسما و أن الحضارات من شأنها أن توحد أو تفرق بين شعوب العالم[85] . يبقى الاشارة انه من قراءة في الكتابات النظرية

[81] - Glynn (Ellis), **Gauging the Magnitude of Civilization Conflict;** Op;Cit p **13** .

[82] - LIAUZU(Claude) ,**EMPIRE DU MAL contre GRANDE SATAN** Op;Cit p 44 .

[83]- عبد الله العايد (حسن) ، **المتغيرات الدولية و سيناريوهات الثقافة العربية** ،(لبنان، بيروت ، دار النهضة العربية ،2004) ص 81 .

[84]- لكريني (إدريس)، **الإسلام و الغرب:بين نظرية الصدام ووافع الملتبس**، مرجع سابق الذكر ص 149-150 .

[85] - غريفيثس (مارتن)و أوكالاهان (تيري) ، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية** ،مرجع سابق الذكر ص 281

للمزيد من المطالعة في هذا الموضوع :

لهنتنغتون يمكن القول بأن أطروحته اعتبرت كمنظور حضاري لدراسة العلاقات الدولية و وضع الثقافة في القلب من دراسة العلاقات الدولية حيث أتاحت فرصة للحوار حول أهمية البعد الثقافي كمحرك للعلاقات الدولية و نقل الجدل حول الثقافة من هامش العلاقات الدولية الى قلبها و النظر الى الصراعات بمنظور ثقافي و حضاري بعد أن كانت تلك الصراعات حبيسة تفسيرات عدة – السياسية و الاقتصادية و الجيوبوليتيكية — و عوامل شتى إلا التفسير الحضاري و هو ما لمس جليا في اجتهادات علماء و باحثين في مجال الصراعات الدولية او الاثنية و ما الفصل الثالث إلا تأكيد على الدور الذي يمكن أن يلعبه مكون كالدين في شحن المشاعر و تعبئة جماهير لتخوض حروب أقل ما يقال عنها أنها لن تنتهي أو تحل بسهولة لأنها ليست قائمة على مصالح مؤقتة و لا على أطماع السلطة و الثروة و المكانة بقدر ما هي حرب اعتراف بوجود و كينونة طرف و نفي الآخر . سيكون الفصل الثالث الذي سنتناول من خلاله الصراعات الحضارية القائمة على أساس العنصر الديني الذي يعتبر هنتغتون المحرك المحوري للصراعات الحضارية في العالم سيكون مختبرا واقعيا لبعض فرضياته المتناولة وسنرى إذا ما كان الصراع في نيجيريا يخضع لفرضية صراع الغرب (المسيحية) ضد الاسلام و سنرى إذا ما كانت حالة لبنان تتجاوز المقدرة المعرفية لتحليل هنتغتون للصراعات القائمة على العنصر الديني و هنا يؤخذ بعين الاعتبار اختلاف الاديان التعددية الطائفية (تعدد المذاهب المتصارعة لكلا الديانتين) و ما إذا كانت حالة ايرلاندا الشمالية تدخل في هذا التقسيم الحضاري ،فكيف سيكون تصنيفها يا ترى تبعا للفرضيات المذكورة سالفا

المبحث الثالث : تأثير مكونات البعد الثقافي و دورها في تغذية الصراعات المعاصرة

المطلب الأول : دور الدين تأثيره كمكون ثقافي في التنظير و الممارسة لحقل العلاقات الدولية

علاقة الثقافة بالدين : إن مكانة الدين تبقى بحاجة الى المزيد من البحث و التقصي و الدراسة و لا سيما في العقد الأخير من القرن العشرين و ما تلاه حين سجل عودة الدين و بقوة بعد تراجع ثقة بعض الإيديولوجيات العصرية وقدرتها على الخلاص و تحقيق التنمية .[86] إذ تكشف الدراسات الانثروبولوجيا و الاجتماعية للشعوب و الثقافات عن وجود عنصر الدين كعنصر لا تخلو منه مجتمع و لا ثقافة و هو ما يدل على الدور الجوهري الذي يقوم به الدين في حياة المجتمع و بناء الثقافة، و قد أكد الكثير من العلماء بعد استقراء العديد من الثقافات انه ما من ثقافة إلا و

- Herzog (Roman) [et al.], ***Preventing the Clash of Civilizations: A Peace Strategy for the Twenty-First Century***, Edited by Henrik Schmiegelow (New York: St. Martin's Press,1999);
- Rashid (Salim,) ed., ***The Clash of Civilizations?: Asian Responses*** (Karachi; New York: Oxford University Press, [1997])

[86]- الكروي (محمود صالح)،" **مكانة الدين في النظام الملكي بالمغرب**" ،(المجلة العربية للعلوم السياسية العدد 19 صيف 2008) ص 165 .

الفصل الثاني

كان الدين – إلهيا أو وضعيا [87]– هو العامل الرئيسي في انبثاقها و توحيد عناصرها كما انه هو الذي يعطيها غاياتها العليا.و هناك ثقافات كثيرة قديمة و حديثة كالثقافة الفرعونية و الثقافة الفارسية ،و الثقافة الصينية ، و الثقافة الهندية و الثقافة العربية أثناء الجاهلية الأولى و هي ثقافات قائمة على الشرك و عبادة الّأصنام و الأوثان و مع ذلك فهي ثقافات ،و ارتباطها بالدين يؤكده أكثر من دليل. [88] و حول هذه الفسيفساء الدينية توضح هذه الخريطة أديان عا لم و كيفية توزيعهم [89]

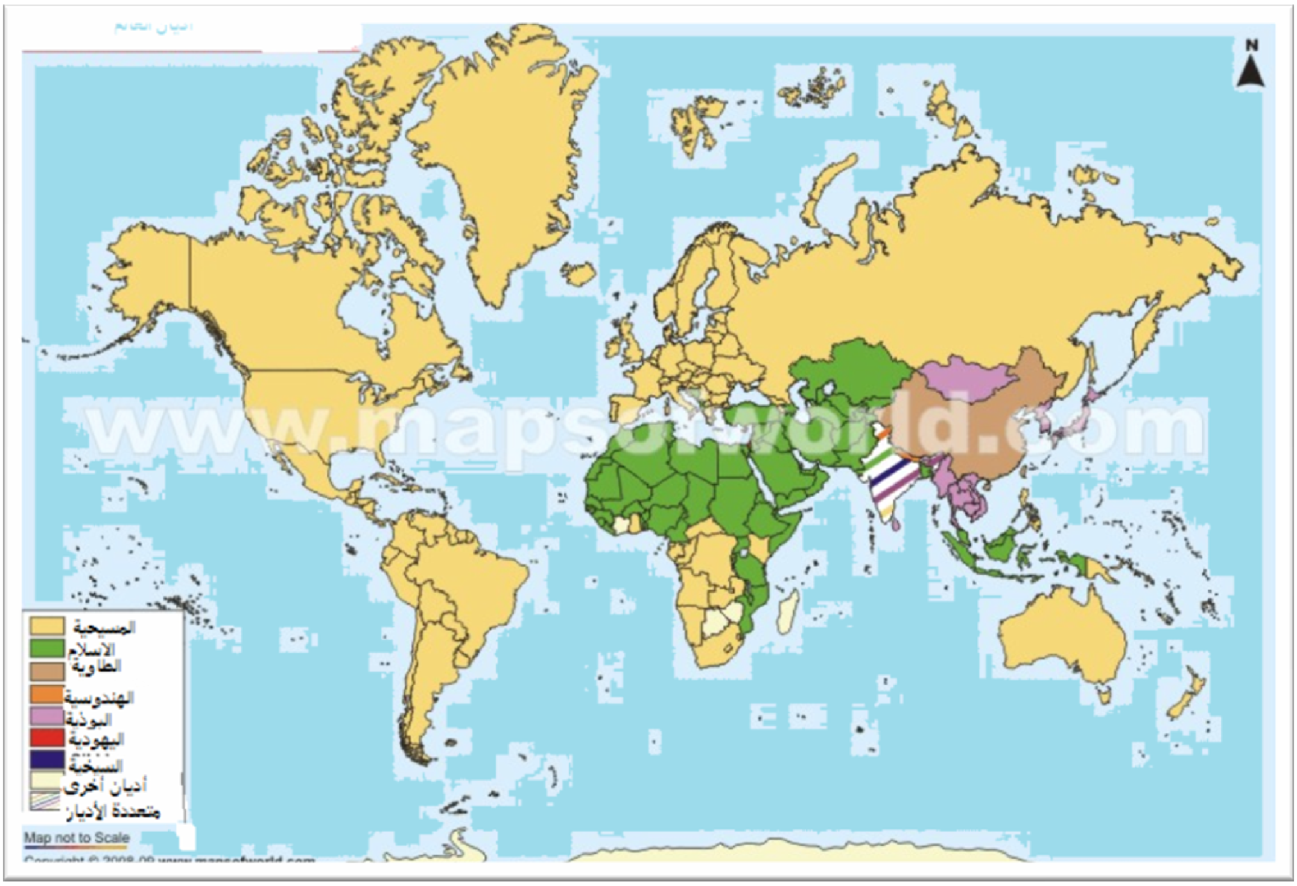

خريطة أديان العالم

و عن التوزيع المئوي للأديان[90] المخطط يوضح نسب مختلف الأديان و إن كان هناك تحيز واضح للديانة المسيحية .

---

87 – عماد (عبد الغني)، **سوسيولوجية الثقافة المفاهيم و الإشكاليات :من الحداثة إلى العولمة**،(مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت لبنان ،الطبعة الأولى، 2006) ص 138-139 .

88 – زعيمي(مراد) ، **دراسات نقدية :علم الاجتماع –رؤية نقدية** ،مرجع سبق ذكره ،ص 260 -261.

89– خريطة أديان العالم تجدها في الرابط التالي: ocw.nd.edu/.../Lecture%206.html

90– لأكثر تفصيل عن الأديان المختلفة يرجى النظر إلى الرابط : worldcultures.wikispaces.com/

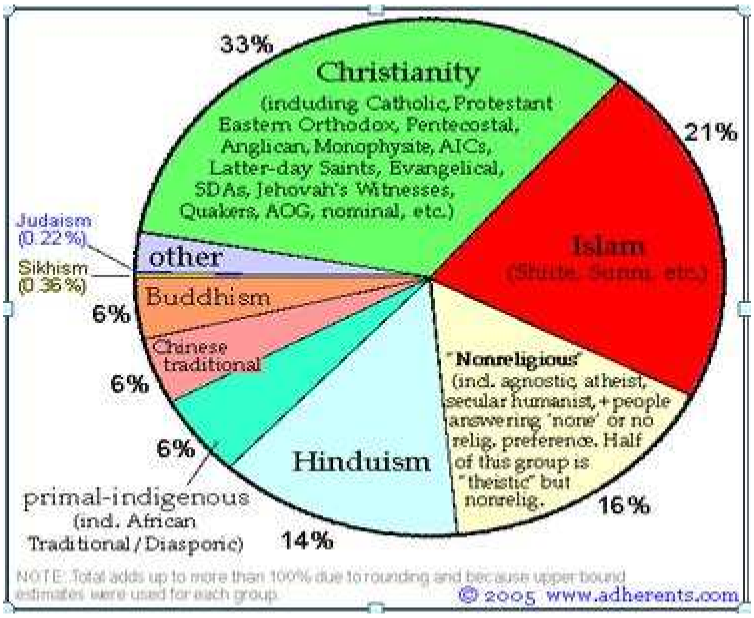

<u>مخطط التوزيع المئوي للأديان</u>

II- عودة الدين أو الظاهرة الدينية إلى الساحة الدولية

في الوقت الذي يشهد فيه العالم ثورة علمية و معرفية هائلة ، يشير العديد من المحللين و الباحثين إلى العودة القوية للأديان و هذا ما جعل الكثير يتنبئون بأن القرن الواحد و العشرين سيكون قرنا دينيا بامتياز . و العودة القوية للظاهرة الدينية لا يمكن النظر إليها كبعد ظرفي شاذ قابل للتراجع في كل لحظة ، بل أن هذه الصحوة الدينية نابعة من صميم الواقع التاريخي الإنساني ذلك أن الدين ظاهرة ملازمة للوجود الإنساني و وجوده حاسم في الثقافات و الحضارات و الانعطافات التاريخية الكبرى . مع ذلك لا بد من التنويه إلى كون أطروحة عودة الأديان هي محل جدال واسع في حقل العلاقات الدولية.[91] باعتبارها غير كافية و غير مقنعة لتفهم رهانات عالم اليوم في حين هناك من يرى أننا دخلنا بشكل مؤكد في مرحلة تجديد للحيوية الدينية .و في هذا الصدد يقول روبن رايت Robin Wright ***" في نهاية القرن العشرين أصبح الدين قوة حيوية للتغيير على النطاق العالمي ، يوفر الدين المثل ، الهوية المشروعة و البنية التحتية بدرجات متباينة : البوذيون في شرق آسيا ، الكاثوليك في شرق أوروبا ، أمريكا اللاتينية و الفيلبين السيخ و الهندوس في الهند ، و حتى اليهود في إسرائيل ، كلهم عادوا إلى ايمانهم الديني كي يحددوا أهدافهم و يتعبأوا "*** .[92]

فالدين هنا متعدد التأثير على العلاقات الدولية بما في ذلك قدرته على إضفاء الشرعية ، و تأثيره في العالم بوجهات نظر القادة وناخبيهم ، و انتشار الصراعات الدينية حول الحدود ، من خلال تحول الظواهر والقضايا التي تتداخل مع

---

[91]- السعدي(محمد) ، مستقبل **العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام**،مرجع سابق الذكر ص 79 .91 .

[92] - نفس المرجع السابق ص 92 .

الدين بما في ذلك حقوق الإنسان والإرهاب. في حين تفاصيل بعض هذه التأثيرات قد تغيرت بمرور الوقت ، وبناء عليه ، فإن أكبر تحول في الدين في الآونة الأخيرة ، و العلاقات الدولية لم يتحول في أرض الواقع ، وإنما تحول في المفاهيم الغربية لتلك الحقائق. فجزء كبير من علماء الغرب للقرن العشرين ، توقعوا أن الدين سوف يتوقف عن أن يكون عاملا ذا أهمية في المجتمع والسياسة. كثير منهم تتبع هذه النظرية ، من بينهم :

Durkheim Marx, John Stuart Mill, Weber Freud, Comte, الذين يعتقدون بأن الدين هو في خضم الموت النهائي وأن" نظرية العلمانية قد تكون الوحيدة التي تمكنت من الناحية النظرية تحقيق حالة نموذجية في مجال العلوم الاجتماعية" فالعلمانية كظاهرة متأصلة في الحداثة من شأنها تقويض دور الدين في تقديم تفسيرات المادية للكون، [93] لذلك فكل هذه الأفكار أدت إلى تقويض دور الدين و عدم السماح له بالتأثير على مجريات الأحداث العالمية بطريقة صريحة . وفكرة أن تأثير الدين في انخفاض لم يحظ بكثير من القبول بل الكثير من الذين قبلوا هذه التوقعات ترى أن الحداثة من شأنها أن تنقص الدين أو تحوله إلى القطاع الخاص ، ولكن ليس لدرجة اختفاءه . ومن بين هؤلاء نجد Robert Bellah الذي عمل على العديد من جوانب الدين والمجتمع ، و Rene Girard's الذي عمل على علاقة جوهرية بين الدين والعنف المجتمعي. ومع ذلك ، فمن المهم أن نتذكر أن تكون الاستثناءات وحتى وقت قريب لهذه الاستثناءات نادرا ما توجد في أدبيات العلاقات الدولية.[94] أيضا بينما في الماضي ، معظم علماء الغرب اعتبروا ان ضغوط الحداثة سوف تتسبب على الأقل بتراجع نفوذ الدين ، والكثير من هذه الضغوط الآن تسبب بالعكس. أي الحداثة بوصفها سببا لتطور الدين فالحداثة لها تأثير واضح في البيئة السياسية والاجتماعية التي نعيش فيها. في ظل أن الإيديولوجيات السياسية الحديثة تبدو أنها قد فشلت في تقديم وعودها من الرخاء والعدالة الاجتماعية، هذا وقد تم تقويض شرعيتها وتسبب ذلك في عودة الدين بوصفه أساسا للشرعية المجتمعية والسياسية في ظل فشل الحداثة، إضافة إلى كون الدول الحديثة البناء في المجموعة العالم الثالث أدت إلى الكثير من الحكومات العرقية القائمة على أساس الحياة السياسية عرقية في كثير من الدول .فمعظم هذه الهويات العرقية تتداخل مع العقائد الدينية ، وهذا زاد من بروز الهوية الدينية.[95]

III – الدين و نظرية العلاقات الدولية:

حتى نهاية الحرب الباردة ، فإنه ليس من قبيل المبالغة القول بأن بعض المنظرين من العلاقات الدولية أو واضعي السياسات عملوا على توضيح الروابط بين المتغيرات الثقافية مثل الدين والعرق من جهة ، والشؤون الدولية من جهة

---

93 – Fox (Jonathan): ***Religion and International Relations*** –**The Multiple Impacts of Religion on International Relations**:**Perceptions and Reality** . p 1-2 .
http://www.ifri.org/files/politique_etrangere/4_2006_Fox.pdf

94 – Ibid p 3.

95 – Ibid p 5 .

أخرى ولكن اعتبار الدين كمتغير يمكن ادماجه في التيارات الرئيسية للعلاقات الدولية فكرة لا تزال قيد البحث.
لذلك سيحاول هذا البحث أن ينظر إلى ثلاثة تقاليد في العلاقات الدولية، النظرية الواقعية الكلاسيكية ، والواقعية الجديدة و البنائية -- لمعرفة كيف يمكن أن يسهم الدين في فهمنا للشؤون الدولية داخل تلك الأطر النظرية. والادعاء أنه بدون تمتد حدود النظريات الفكرية إلى التطرق لمواضيع كالهوية و الثقافة ، فمن الممكن جدا أن لا نرى إمكانيات التفاعل في الاتجاهين بين الأطر والمتغيرات ذات الصلة بالهوية مثل الدين.
يمكن القول أن باحثي العلاقات الدولية رفضوا الدين بعمق أكثر من غيرهم من باحثي العلوم الاجتماعية. على خلاف علم الاجتماع والعلوم السياسية بحيث لها نظريات تفسر تراجع الدين ، فباحثي العلاقات الدولية ليس لديهم مثل هذه النظريات – نظرا لعدم عقلانية الدين الذي كان بسيط التناول و اعتبر كمسلمة أو معطى- ، و تعلقهم بالدين، كان دائما ضمن فئة أخرى على سبيل المثال المناقشة التي دارت في التسعينات لصموئيل هنتنغتون نظرية "صدام الحضارات" كانت أساسا حول ما إذا كان الصراع في المستقبل سيكون من بين العديد من الحضارات التي هي في المقام الأول محددة بالدين. ولكن أكثر المشاركين في النقاش الدائر تجنبوا مناقشة مباشرة عن الدين ،وتفشي هذه الظاهرة ، يدل على مسح لأربعة مجلات رئيسية للعلاقات الدولية التي تبين أن 6 فقط من 1،600 من المقالات المنشورة بين عامي 1980 و 1999 شملت الدين كعنصر هام .[96]
هذا التجاهل لدور الدين الأكثر انتشارا فقط بين باحثي العلاقات الدولية يرجع إلى :

- فكرة أن الدين في الانخفاض بشكل خاص فكرة غربية يمكن القول العلاقات الدولية تحوي على الغربيين أكثر من العلوم الاجتماعية.
- لأن جوهر نظرية العلاقات الدولية الغربية كما نعرفه اليوم ، وخاصة نظرية العلاقات الدولية الأمريكية ومن الناحية النظرية ، نشأت من نظريات الأمن القومي والتي ركزت على الحرب الباردة و المنافسة بين اثنين من الإيديولوجيات العلمانية التي بعدت الأنظار إلى الأحداث الدينية التي وقعت في القرن العشرين، هذه الأحداث نقلت البحث في العلاقات الدولية بعيدا عن العوامل غير المادية ،وزيادة التركيز على القدرات المادية خلال الحرب الباردة جاء على حساب أي من ازدهار الاثنية ، الأخلاق ، أو الدين المعروفة على نطاق واسع.
- سلم ويستفاليا أنهى عصر الحروب الدينية في الغرب المسيحي والتي تعتبر نقطة انطلاق لنظام الدولة المعاصرة، ففكرة علمانية عالم السياسة أخذت حيز التنفيذ في أذهان الكثيرين في العالم الغربي.
- تواجد الدين في الظل و امتناعه عن نظرية في العلاقات الدولية و كدراسة النظامية لدور الدين في السياسة أصلا تنبع من الاعتقاد بأن عصر الإيمان يسبب الحرب ، فكل من العلماء والسياسيين يعتبرون أن أعمال العنف في أوروبا خلال القرن السادس عشر و السابع عشر كانت ناشئة عن الهوس غير عقلاني للمثل

[96] - Ibid , p 3 .

الدينية، و منذ ذلك الحين ، عومل 'الدين' بوصفه سببا للعنف وانحراف في السياسة ، و ليس كمفهوم يستحق تحر منهجي معمق ، و هو ما أدى الى إقرار قصر الدين على الصعيد الداخلي و ترك القرارات المتعلقة بالدين لمسؤولي الوحدات الإدارية على النحو الوارد في مبدأ cujus regio، ejus religio (حرفيا تعني " هذه هي المنطقة ، و هذا دينها").[97]

وهكذا ، فقرون من التجربة التاريخية الغربية عززت فكرة أن الدين لا صلة له في العلاقات بين الدول. ونتيجة لذلك،كبرى النظريات و الأفكار والاتجاهات في العلاقات الدولية تشمل التحيز ضد الدين antireligious وهذا لا يعني أنهم أنكروا صراحة أهمية الدين ، بل أن الدين لا يدخل ضمن قائمة العوامل المهمة.[98] وحسب جوناثان فإنه

- يوجد عدم الاستعداد على نطاق واسع في أوساط الأكاديميين لاتخاذ المسائل الدينية في الاعتبار بوصفه بعدا هاما -- إما بسبب النفور بشأن المتغيرات الثقافية أو التردد من حيث كونه من القضايا صعبة القياس كميا ، فباحثي العلاقات الدولية كثيرا ما اهموا بتجاهل عوامل صعبة القياس. هذا بالتأكيد صحيح و ينطبق على الدين حتى أواخر التسعينات وهذا بطبيعة الحال ، لا يعني أن ربط كل قرار سياسي ، أو فعل بالدين هو خيار سليم أكاديميا .[99]

وبناء على ما سبق فإن نصيب الأسد من باحثي العلاقات الدولية لم يتناولوا الدين حتى وقت قريب ، إلا حين بدأت سلسلة من الهجمات الإرهابية على الغرب بدءا من 11 سبتمبر 2001. و بعدها هجمات مدريد11 مارس 2004 و قد كانت مؤشرا على حقيقة أن دراسات العلمنة مجدت الإمكانات المادية كما أنها قد فوتت بعدا هاما من الحياة السياسية. و أن تجاهل هذه قوة يمثل خطأ جسيما. فالتأكيد على أهمية "الدين" باعتباره من بين العوامل المثالية و السمة المميزة للهوية الثقافية، و التي مثلها صموئيل هنتنغتون بنقاش أطروحة "صراع الحضارات" بدأت بلفت الانتباه إلى الدين كـــ :

1- قوة تأثير على آراء الناس في العالم .(*)

2- بوصفه جانبا من جوانب الهوية.

3- مصدرا للشرعية .(**)

---

[97] -Nukhet (Sandal);Patrick (James) : **Religion and IR Theory: Towards a Mutual Understanding**. **pp 1-4**. http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/3/1/2/4/5/pages312458/p312458-1.php

[98] - *Fox (Jonathan):* ***Religion and International Relations*** **-The Multiple Impacts of Religion on International Relations:Perceptions and Reality** ,Op;Cit P 4.

[99] - Nukhet (Sandal);Patrick (James) : **Religion and IR Theory: Towards a Mutual Understanding**. Op;Cit p 6.

الفصل الثاني

4- نظام القيم المرتبطة بالمؤسسات السياسية والاقتصادية الرسمية التي قد تأخذ مكانها في الساحة السياسية حتى اذا كانت العالم الأكاديمي اعترف به أم لا.[100]

على أساس كل هذا فإنه يمكن القول بأن دور الدين في العلاقات الدولية قد ظل ثابتا ، وينظر إلى زيادة تأثير الدين على الساحة الدولية ، هو في جزء منه على الأقل تحول في النظرة الغربية إلى واقع أكثر منه تحولا في الواقع نفسه.
و لتقصي امكانية استخدام الدين في التفكير الواقعي (أي اعتماد مبادئ معينة من هذه المسارات لفهم الدين والسياسة على نحو أفضل ، و ما إذا كان الدين يتفق مع مضمون هذه النظرية أو لا . كيف يمكن أن تساهم الدين في فهم الشؤون الدولية من خلال تلك الأطر؟ ،فالواقعية كما هو معروف أصعب مدرسة فكرية من حيث استيعاب المتغيرات غير المادية في تفسيراتها للشؤون الدولية.
بداية ينبغي النظر في الأولويات المنهجية للواقعية الكلاسيكية لتحديد المدى الذي يمكن استخدام المتغيرات غير المادية دون الإخلال بالتماسك الفكري للنظرية. Morgenthau ، من خلال تأكيده على "الواقعية السياسية الذي يرى أن السياسة ، شأنها في ذلك شأن المجتمع بشكل عام ، تحكم بالقوانين الموضوعية التي لها جذورها في الطبيعة البشرية". ففهمه للعلم يمثل أكثر من الرغبة في خفض محورية البعد المعياري. وينظر بالتمني للتفكير في وضع السياسات على النحو الذي شهدته فترة ما بعد حقبة الحرب العالمية الأولى من محاولة لاستبعاد المتغيرات غير المادية تماما كقوله :***"في نهاية المطاف القرارات التي تواجه العقل العلمي... غير أخلاقية و لكنها فكرية في طبيعتها*** ".و الحقيقة أن الواقعية الكلاسيكية تشجع دراسة الآداب والأخلاق والدين على المستوى الفردي أو على مستوى الوحدة الفرعية لهذا الموضوع. غير أن تشكيل المصلحة و القوة[المعتمدة على السياق التاريخي و الثقافي] على مستوى الدولة ليست واضحة. على الرغم من المرونة الواقعية الكلاسيكية، فهي ليست الأنسب لدراسة الظواهر الدينية التي تتم عبر الشبكات (بما فيها الجماعات الإرهابية) ، نظرا لتركيزها على الدول الأساسية كمستوى التحليل و هو ما دفع العلماء من الواقعيين الجدد و من بينهم Posen بمفاهيم مثل "معضلة الأمن" في حسابات الصراع العرقي. من خلال اختيار مصطلحات مثالية و وضعها في ديناميات الجماعات الدينية المتنافسة أيضا، وفي الآونة الأخيرة ، Jervis يشير إلى أن الواقعية تؤكد على العلاقة المتبادلة بين الهويات والصراعات التي يمكن أن يلعب الدين دورا في الصراعات العرقية ، وخاصة باعتباره المتغير المستقل (أي تحديد من نحن وتحديد الآخر) .

- (*) حجة أن الدين يمكن أن تؤثر في آراء الناس ، وليس في التراع. هذا يمكن أن تؤثر في العلاقات الدولية بطريقتين. **أولا** ، أن الدين يؤثر في عالم أفكار صناع السياسات ، وكما يؤثر على قراراته. و يمكن ان يؤدي الى سياسات متطرفة ومستعصية بما في ذلك الحرب.**الثانيا** :على نطاق واسع يمكن للمعتقدات الدينية أن تضع قيود مفروضة على قرارات صناع السياسات. فالحكومات الاستبدادية لن يكون من صالحها أن تتخذ إجراء يتعارض مباشرة إلى المعتقدات الأخلاقية . على سبيل المثال ، في الصراع العربي الإسرائيلي ، الزعماء من الجانبين يحتاجون إلى ضرورة وزن كيف ستكون ردة فعل السكان على أي اتفاق. ويصدق هذا بوجه خاص على اتفاقات تتناول التصرف في الاماكن المقدسة مثل مدينة القدس.

- (**) الشرعية : يكاد الجميع يجمعون على أن الدين هو مصدر محتمل للشرعية. ويمكن أن يكون الدين أداة قوية للإقناع. يمكن استخدامه من قبل صانعي السياسة الخارجية لدعم سياساتها من بين عدد من المشاهدين بما فيهم السياسيون الآخرون وناخبيهم ، وكلا من واضعي السياسات والمواطنين من دول أخرى.

[100] -Ibid p 6 .

باختصار ، حتى لو كانت الواقعية الجديدة تستطيع أن تستوعب العرق أو الدين في إطار عملها الأساسي.[101] فمما لا شك فيه أن دراسة الظواهر غير المادية لا ينطبق بدقة على الإطار" الواقعي" بجهتيه ، والتي تأخذ الدولة باعتبارها محور التفاعلات ، فعدم قدرة الواقعية على استيعاب الدين تبين عدم كفاية الأدوات المطلوبة و هذه أنباء طيبة بالنسبة للباحثين الذين يهتمون باستخدام المتغيرات الثقافية في إطار نظري. فالمنظور البنائي يوفر إطارا متينا عندما يتعلق الأمر بالاعتقاد بمنظومة الدين و إذا كان أحد يريد أن ينظر إلى المنظمات والمؤسسات الدينية والظواهر الاجتماعية ذات الصلة و التركيز على المعايير والأنظمة فالبنائية تبدو أنها أنسب إطار لمثل هذه الدراسات التي هي في صلب نظرية العلاقات الدولية عبر تكوين الهوية (مع الأخذ بــ"الدين" كمتغير تابع و مستقل). لذلك فمستوى تحليل البنائية ومجالاتها يمكنها من التكامل / التبادل مع الدين. في حين نستطيع الحكم على الواقعية الجديدة أنها أقل ضيافة للدين من بين المناهج التي ناقشته، ومن المثير للاهتمام القول أن هناك مجالا لمزيد من التوسع في الواقعية الجديدة مما قد يتصوره النقاد إذا ما تعلق لدور الدين أن يقوم به .

أخيرا هناك إدراك متزايد بوجود نقاط تتجاهل الدين في أكبر نظريات العلاقات الدولية. كما أنه أصبح من الواضح أنه لا يمكن فهم حقيقة الأحداث العالمية دون أن تأخذ الدين في الاعتبار. البعض مثل صموئيل هنتنغتون حاول أن يشرح تزايد الدلائل على أن الدين لا يزال ذو الصلة بالقول إن ***"أواخر القرن العشرون أظهر انبعاث عالمي للدين"*** فلا يوجد سبب لنظريات العلاقات الدولية التي لا يمكن لها أن تتطور من أجل استيعاب الدين. ولكي نكون منصفين ينبغي دمج الدين في النظرية العلاقات الدولية لأن هذا التكامل أمر أساسي في النظام لفهم الأحداث التي وقعت في عالم اليوم المعقد.

IV –الدين و الصراعات الدولية :

غير خاف أن مسائل الثقافة والدين والهوية باتت تحرك، اليوم، جماعاتٍ ومجتمعات عدة في عالمنا المعاصر، وتضع ديناميات جديدة في الصراعات الجارية فيه إذ ما زوّدت قضايا الهوية الدينية والحضارية صراعات هذا العالم بالطاقة المتجددة بحيث دفعت بها إلى بلوغ مستويات عليا من الاحتداد ، لذلك تبحث هذه الورقة سلسلة من الأسئلة بشأن دور الدين في الصراع العرقي : **ما هو دور الدين في الصراع؟ هل الدين هو جانب هام من جوانب الصراع بشكل عام ، والصراعات العرقية على وجه الخصوص؟** و للاجابة على هذا التساؤل ركزت بعض الدراسات على تأثير التمييز الديني والتشريعات الدينية من قبل الدولة على الاحتجاج وتمرد الأقليات الاثنية فكثيرا ما درست هذه المواضيع باستخدام مجموعة البيانات (MAR) Minorities at Risk ،مجموعات البيانات Religion and State (RAS) و قواعد البيانات الدول الفاشلة State Failure (SF). وبيانات إضافية عن التمييز

[101] - Nukhet (Sandal);Patrick (James) : **Religion and IR Theory**: **Towards a Mutual Understanding**. Op;Cit p 22.

الديني تم جمعها التي تنم معظمها عن جزء من تزايد لأدبيات MAR بقيادة Ted Gurr و الكثير غيرهم التي تبحث عن أسباب الصراع الاثني الذي كان يحفزه تسونامي الصراعات التي ميزت أوائل التسعينيات في آسيا وأوروبا وأفريقيا هذه كلها تعاني من الصراعات القومية والإثنية في فترة ما بعد فترة الحرب الباردة ، ومنها الصراعات الدينية ، والتي تتسبب في تزايد الاهتمام بتجدد الصراعات الاثنو- دينية ، أي الصراع بين الجماعات الاثنية ذات الديانات المختلفة.[102] وتشير الملاحظة إلى ان اشتراك أفراد جماعة ما في العقيدة الدينية يمثل بحق مقوما بارزا من مقومات الذاتية الاثنية لهذه الجماعة ذلك أن العقيدة الدينية تؤثر تأثيرا بالغا في سلوك الجماعة و على نحو يفوق في بعض الأحيان تأثير اللغة أو السلالة ففي ظل مواقف أو أوضاع معينة قد يتغاضى المرء في سلوكه عن رابطة السلالة او اللغة أو حتى الاديولوجية من أجل العقيدة الدينية [103] فما بالك إذا ما تعرضت تلك العقيدة للتهديد أو الاحتقار من طرف جماعة دينية اخرى فهذا حتما سيولد صراعات طويلة الأمد و مستعصية الحل و بعض أكثر هذه الصراعات بروزا و قدما الصراع العربي الإسرائيلي ، زيادة حدة التوتر في اقليم كشمير في الهند ، الصراع في ايرلندا الشمالية ، والحرب الأهلية في يوغوسلافيا السابقة هي كلها صراعات بين مجموعات اثنية ذات ديانات مختلفة. على الرغم من أن أعدادا من هذه الصراعات الاثنو- دينية تعتبر عالية ، فالنظريات السابقة فشلت في معالجة هذه الأحداث بشكل شامل للعالم الحقيقي كما هو مذكور أعلاه ، باستثناء بعض كتب مثل Jonathan Fox. الذي بين من خلال النتائج التي توصل إليها أن التمييز الديني والتشريعات الدينية لها دور هام في تصعيد حدة الصراعات الدينية ، نتائج البحث عن هذه الأسئلة تساعد على تحسين معرفتنا ليس فقط على الصراعات الاثنية بصفة عامة ، ولكن أيضا الاثنو- دينية على وجه الخصوص. يقول فوكس في هذا الصدد أن دراسات الكمية سابقة على أساس الدين قليلة ، وتحليل مجموعة بيانات الصراع (MAR) يدل على انه حتى عام 1980المجموعات القومية الاثنو- دينية وغير الدينية تسببت تقريبا بكمية مماثلة من الصراع ، ولكن من عام 1980 فصاعدا ، الجماعات القومية الإثنو- دينية هي المسؤولة عن تزايد الصراعات أكثر عنفا مقارنة مع جماعات قومية غير دينية.[104]

---

[102] - Akbaba (Yasemin); **Religious Discrimination: Unique to the Middle East or Muslim Majority States? p 4.**
http://www.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/1/7/8/8/4/p178842_index.html

[103] - وهبان (أحمد)، **الصراعات العرقية و إستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات و الجماعات و الحركات العرقية**،(أليكس لتكنولوجيا المعلومات الاسكندرية،2007) ص 100 .

[104] - حول هذا الموضوع يقول Jonathan Fox- في التحليل سابق من مجموعة البيانات (SF)-بأن التغيرات في مستوى العنف و التي أدت الى هذه النتائج لها آثار عديدة. فالأثر الأول يبين أن الدين يمكن أن تؤثر في النزاع ، ولكنه ليس المؤثر الوحيد. الثاني ، يمكن أن يتغير تاثير الدين في الصراع بمرور الوقت. الأثر الثالث ، تأثير الدين على الصراع ما فتئت في تتزايد. هذا يتناقض مع نظرية التحديث ونظرية العلمنة ، التي كانتا مسيطرتين على الأنماط السائدة في العلوم الاجتماعية الغربية لأكثر من قرن "القرن العشرين" وتنبأتا بأفول الدين كقوة ذات الصلة السياسية والاجتماعية في العصر الحديث كما و سبق ذكره آنفا. و تاريخيا ، تم استخدام الدين كمصدر هام من أجل التحقق من صحة كل من الصراعات الداخلية ، و الصراعات الدولية والعنف وعلاوة على ذلك ، تم استخدام الدين كأداة للتمييز من قبل الحكومات التي تؤدي المظالم الدينية ،أما أحداث العالم الحقيقي فقد سلطت الضوء على أهمية التمييز الديني، و قد كانت التوترات بين المسيحيين الارثوذكس والمسلمين في البلقان ، والمسلمين والهندوس في الهند ، والبهائيين والشيعة في إيران ، والهندوس والبوذيين في سري لانكا والمسيحيين والمسلمين في السودان أمثلة بارزة على ذلك. و اعتمادا على الديموغرافيا

و تجدر الإشارة إلى أن تباين الجماعات الاثنية المشكلة لمجتمع ما من حيث الدين- الجماعات الدينية – لا يكتسب أهمية سياسية إلا إذا ترتب علية تنافس أو تنازع او صراع بين هذه الجماعات سواء في مجال القيم أو الثروة أو السلطة أو غير ذلك من المجالات و من هنا يفرق كثير من الكتاب بين مفهومي الطوائف و الطائفية إذ يشير المفهوم إلى مجرد التنوع في المعتقدات و الممارسات الدينية بين الأفراد أو الجماعات التي يتشكل منها المجتمع في حين ان المفهوم الثاني – الطائفي- يشير إلى استخدام هذا التنوع الديني لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو ثقافية .[105]

و يمكن التنبيه إلى كون التمييز الديني في العلاقات الدولية و الصراعات المعاصرة ليس مقتصرا بين ديانتين مختلفتين فقط كما هو سائد بل يتعداه إلى الطوائف المختلفة داخل الدين الواحد و التي تحكم على نفسها بالاختلاف الذي يوفر ما يكفي للمجموعات الدينية بأن تدخل في صراع تحركه دوافع دينية فكثيرا ما نجد دولا تنظر إلى مختلف الطوائف المسيحية أو الاسلامية كأديان مختلفة الطوائف الكاثوليكية والارثوذكسية و البروتستانتية تعتبر من الديانات المختلفة بالنسبة للجماعات المسيحية. الطوائف السنية والشيعية في الإسلام تعتبر ديانات مختلفة أيضا.و هذا لا يعني أن التمييز الديني لن يطال الهويات الدينية الأخرى كالبوذية والهندوسية واليهودية والوثنية ، الكونفوشيوسية ، والسيخية ، والبهائية... و غيرها . ، فقد لوحظ في السنوات الأخيرة طفوح ظاهرة الطوائف الدينية Les Sectes و التي أصبحت تتزايد بشكل مثير ، و قد أضحت مصدر قلق للكثير .و لعل المجتمع الهندي يمثل واحدا من بين العديد من مجتمعات معاصرة يؤدي فيه الدين دورا بارزا في تحديد طبيعة العلاقات بين الجماعات العرقية على نحو يمكن القول أن للطائفية سماتها الواضحة في ذلك المجتمع، فالهند متعددة الديانات حيث يشكل الهندوس 70.5 % من إجمالي عدد السكان. إلى جانب وجود أقليات أخرى منها جماعة السيخ في البنجاب و جماعة المسيحيين في كيرالا غير أن الطائفية تظهر بجلاء في علاقة الهندوس و المسلمين رغم انتمائهما الى سلالة واحدة فالاختلافات الدينية بين الجماعتين حيث أن كل منهما نظمت عقيدتها بما يتعارض مع الجماعة الأخرى، أظهرت حركة عرقية في اقليم كشمير ذي أغلبية مسلمة التي جعلت من الانفصال عن الهند و الانضمام الى باكستان هدفا لها على نحو أدى إلى تأجيج نيران الحرب بين الدولتين أكثر من مرة و هو الصراع الذي لازال دائرا حتى الآن و محتمل الوقوع في أي وقت.[106]

عموما فإن معرفة المزيد عن طبيعة التمييز الديني ، فضلا عن دوره في الصراعات المعاصرة قد يكون كفيلا بفك شفرة تأثير التعصب والتمييز في العلاقات الدولية المعاصرة. التمييز الديني ينظر اليه باعتباره دليلا على خط سميك يفصل بين "الذات" و "الآخر" بين المجموعات الاثنو- دينية. فالإقصاء المتعمد والانتقائي لبعض الجماعات الاثنو-دينية

الدينية ، كثير من الدول ، مثل سري لانكا والسودان ، التمييز الديني يستخدم كأداة سياسية لتعزيز شرعية الدولة.كما و أن اضطهاد حوالي 300،000 من معتنقي العقيدة البهائية في إيران هو مثال واضح كذلك.و للاطلاع أكثر الرجاء النظر الى:

- Fox (Jonathan) ; **The Rise of Religious Nationalism and Conflict: Ethnic Conflict and Revolutionary Wars, 1945-2001**; Journal of Peace Research, Vol. 41, No. 6, 715-731 (2004)Sage pep.

[105]- وهبان (أحمد)، **الصراعات العرقية و إستقرار العالم المعاصر**،مرجع سابق الذكر ص 101 .

[106]- نفس المرجع ص 101 -102 .

يعزز الهوية تلك الجماعات التي تعاني من التمييز ،ويمكن أن ينظر إليها بوصفها مظهرا من مظاهر الاختلافات التي لا يمكن حلها بين الأطراف التي يمكن في النهاية أن تفتح الطريق للاحتجاج وتمرد الاقلية و لجوئها إلى العنف .

وعن أكثر المناطق استجابة للمتغير الديني و أكثرها تأثيرا تشير الوقائع كما تشير الدراسات إلى أن الدين له مكانة مركزية في الصراعات العرقية في الشرق الأوسط أكثر من أي مكان آخر حيث يؤكد Foxعلى أن "54 % من الأقليات العرقية السياسية في منطقة الشرق الأوسط هي أيضا الأقليات الدينية... و يسترسل في القول : ***الدين في الواقع له أهمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط والصراعات الاثنو-دينية و هذا بالنظر إلى أربعة شروط بما في ذلك : اعتبار الدين قضية هامة في الصراع ، وجود التمييز الديني ،أقلية تطالب بالمزيد من الحقوق الدينية ، الدين هو الاحتجاج في الخطاب السياسي***". لوحظ في تقارير الدراسة أن جميع الشروط الأربعة المذكورة أعلاه باتت على نحو أكثر تواترا في الشرق الأوسط مما كانت عليه في مناطق أخرى.فبيانات التمييز الثقافي بما فيه الديني في العالم تنص على أنه في 1994-1995 تبين أنه في حين الديمقراطيات الغربية واليابان يسجل فيها أدنى مستوى للتمييز الثقافي (يعني النتيجة = 0.71) ، فشمال أفريقيا والشرق الأوسط حصلت على أعلى الدرجات ، أي 3.27. أما شرق وجنوب شرق آسيا فحصدت على1.85 باعتبارها منطقة في الوسط .[107]

و في خريطة **توزيع الأديان في العالم** تبين أن الدول باللون الأخضر هي دول علمانية و بعد دراسة استقصائية وجد المحللون أن معظم تلك الدول لا تحتضن صراعات عالم اليوم و قد ربطت هذه الدراسة بين الدين كمتغير و سبب رئيسي في الصراعات و بين الدول العلمانية من جهة و الدول الإسلامية من جهة أخرى ورغم ذلك أجد في أن التفكير العلماني طاغي على الدراسة إذ تم استبعاد معظم الديانات و تم التركيز فقط على الدين الاسلامي باعتباره مصدر الصراعات الحالية و سبب كل التوترات التي يعيشها النظام الدولي .

[107] - Ibid p 8- 9-10.

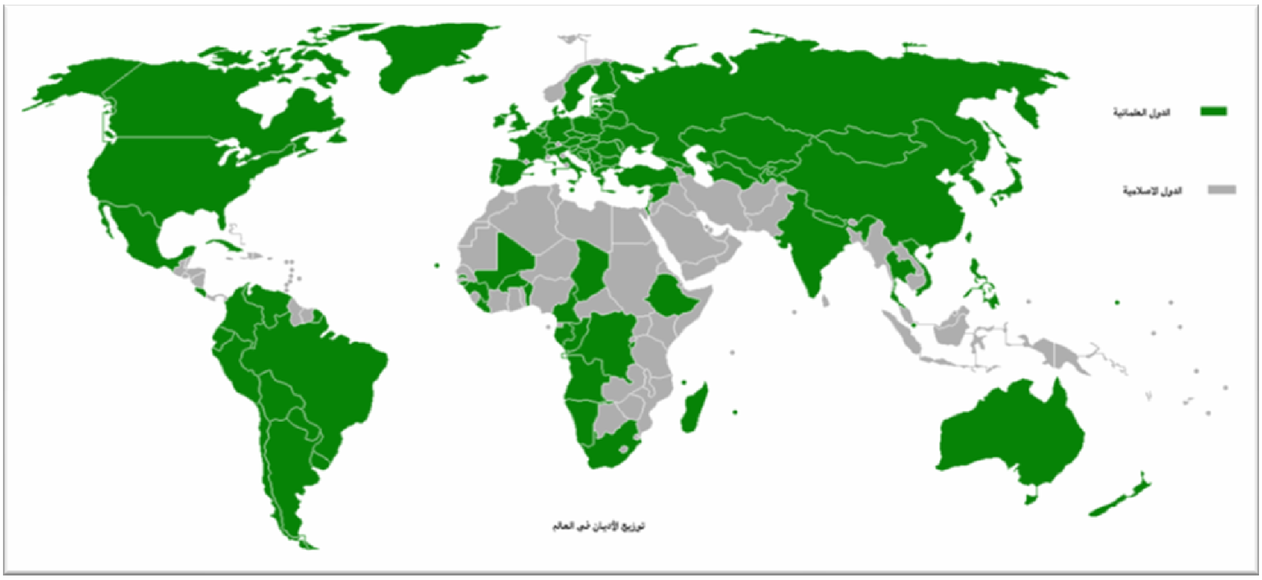

و تبين الخريطة الآتية أن معظم الصراعات في العالم منها منشأها الدول القائمة على أساس ديني خاصة الدول الاسلامية و الشرق الأوسط[108]

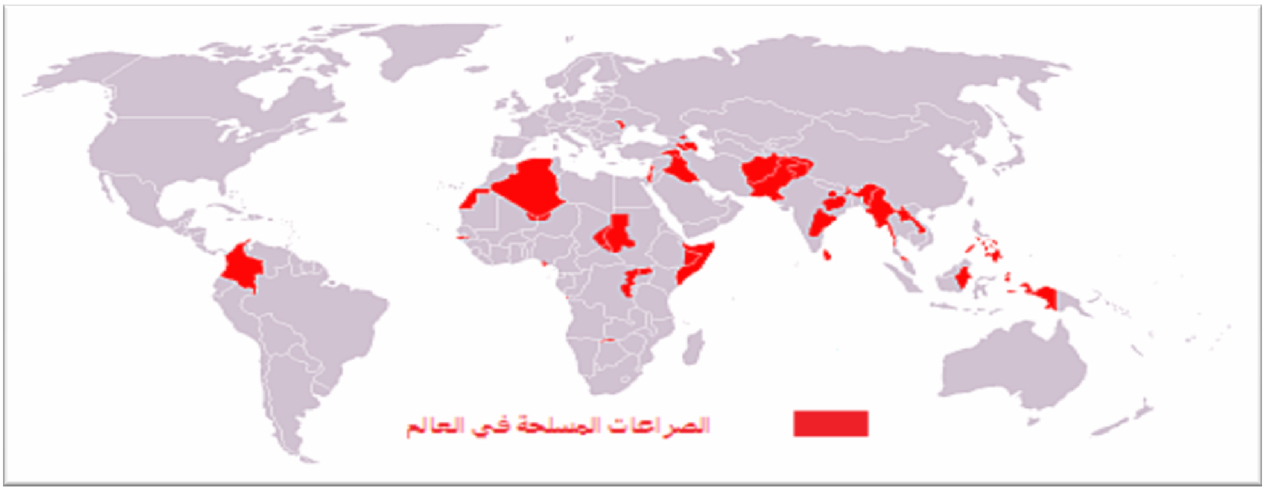

و كما قلنا سابقا أن أحد الأسباب الرئيسية لهذا القول هو أن تكون محاولات غير ناجحة لعلمنة العديد من دول الشرق الأوسط نتيجة لفشل السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي جعلت من الحكم الديني بديلا معقولا.

- **كيف تؤثر هذه الصراعات الدينية على الساحة الدولية؟**

[108] - لأكثر استطلاع الرجاء تصفح الرابط التالي :
www.secularthinker.com/2009/07/maps-of-world.html

استنادا إلى تحليل للبيانات الدول الفاشلة(SF) منذ أواخر السبعينات ، أصبحت الصراعات الدينية تحتل نسبة أكبر من كل الصراعات. حيث تحوي تلك البيانات على وجود قائمة من أعنف الصراعات الداخلية بين عامي 1948 و 2003 الصراعات الدينية قد ارتفعت من 25 % من جميع الصراعات المحلية في عام 1976 إلى 60 % في عام 2003. [109] و انتشار مثل هذه الصراعات يكون نتيجة لسياسات معينة : تدخلات باسم الانسانية من طرف دول أو منظمات او أحلاف إذ تشير الدراسات إلى أن هذا التدخل على الأرجح يكون أكثر في الصراعات الدينية فنحو أربعة أو خمس حالات التدخل تتدخل لصالح الأقلية التي تشترك معها في نفس الهوية الدينية ،أو نتيجة الضجة الاعلامية التي من الممكن أن يسببها أطراف الصراع سواء في المحافل الدولية أو على مستوى الرأي العام العالمي ، و التي من الممكن ان تضيف لأحد الطرفين الشرعية في استمراره في الصراع. الصراعات المحلية في كثير من الأحيان تعبر الحدود الدولية. تميل لإنتاج اللاجئين الذي يمكن أن يسبب بمشكلات في الدول المجاورة. أيضا الجماعات في دول مجاورة الذين يشتركون في الانتماءات العرقية أو الدينية مع المجموعات المشاركة في صراع و غالبا ما تشارك في هذا الصراع وكل هذا حدث في التسعينات بجمهوريات يوغوسلافيا السابقة. [110]
و من هنا يتضح أن وحدة الدين لجماعة تشكل مقوما بارزا من المقومات الثقافية و عاملا محفزا لاستقرار و تكوين الدول و الجماعات إذا كان الفاعلون من غير الدول كُثْراً اليوم،فإن الدول ما زالت الفاعل الرئيسي، في احتضان البعد الديني داخل هوية الدولة فنرى مثلا الفاتيكان وإيران، منذ الثورة الإسلامية، دولتين ذوَاتيْ بُعد ديني أساسي، على غرار إسرائيل وباكستان اللتين تكوَّنتا من البعد الديني، كما أن تباين الجماعات المشكلة لمجتمع ما من حيث العقيدة الدينية من شأنه ان يؤدي لظهور نزاعات محتملة داخل الدولة الواحدة و بين الدول.

و لذلك سوف يلعب عامل الدين دورا مهما أكثر من أي وقت مضى في الصراع العالمي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر و حسب ألفين و هايدي توفلر " ***فإن التأثير المتزايد للأديان العالمية من الإسلام و حتى الأرثوذوكسية الروسية مرورا بطوائف العصر الجديد المتكاثرة بسرعة ليست بحاجة إلى توثيق ،فالكل سيكون لاعبا أساسيا في النظام العالمي للقرن الواحد و العشرين"*** [111] و من هذا المنطلق بدأ الحديث وسط العديد من الاستراتيجيين عن العامل الديني كأحد و أقوى التأثيرات المحركة للشعوب و الصراعات و بخاصة في بعض المناطق الجيوستراتيجية الحساسة (الشرق الأوسط ، البلقان ،آسيا الوسطى ،و شمال و جنوب البحر الأبيض المتوسط).
خلاصة القول : الهوية الدينية و العقائدية تشكل عاملا سيؤثر في العلاقات الدولية لدرجة أنه يمكن القول بأن هناك

---

[109] - Fox (Jonathan): ***Religion and International Relations*** -**The Multiple Impacts of Religion on International Relations**:**Perceptions and Reality** ,Op,Cit P 11.

[110]- هناك صراع في جزء من العالم يمكن أن ينشر صراعات مماثلة في مكان آخر. إذ يعتقد الكثيرون أن الثورة الإيرانية كان لها بالضبط التأثير على حركات المعارضة الإسلامية في جميع أنحاء العالم. إذ أن نجاح الثورة الدينية ، كما حدث في إيران وأفغانستان ، غالبا ما يؤدي الى نشر الثورة ، وتدعيم حركات المعارضة العنيفة في مناطق أخرى. في حالتي ايران ونظام طالبان السابق في أفغانستان ، شمل ذلك الدعم للعديد من الحركات المسلحة.

[111]- السعدي(محمد) ، مستقبل **العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام** ،مرجع سابق الذكر ص 92 .

بوادر لصراع عالمي بين الأديان أو بين الأصوليات الدينية ، فالأديان أصبحت مصدرا لمجموعة من التحركات و الهزات الجيو سياسية و الجيو ثقافية عبر العالم . و الظاهرة " عودة الدين " أصبحت منذ الثمانينات تكتسي بعدا عالميا و هي تنبعث في عدة حضارات ، و تختلف في أصولها الثقافية و في مستوى نموها ، و لكن في كل مكان تعبير عن رد فعل على أزمة المجتمعات، و الأديان تحاول أن تقدم نفسها كبديل قادر على تشخيص الأسباب العميقة لهذه الأزمة و لإيجاد الحلول لها .

- **المطلب الثاني : مكانة المكون اللغوي بالنسبة للبعد الثقافي و مدى تأثيره في الصراعات المعاصرة**

قد نجد عدة لغات بين عدة مجموعات داخل الدولة الواحدة و عوض أن تعُرف بانتمائها الى دولة ما تفضل أن يكون انتمائها على أساس لغوي و هو ما يجعل من اختلاف الجماعات على الأساس اللغوي أمرا حتميا حيث تكتسب كل جماعة لغوي خصائص تميزها عن باقي المجموعات و عادة الجماعة اللغوية :هي كل جماعة اثنية يشترك أفرادها في التحدث بلغة واحدة و يتمايزون من خلالها عن أفراد الجماعات الاثنية الأخرى في مجتمعهم و كما هو معروف أن التباين الغوي يتمخض عنه تباين ثقافي فيما بينها و لعل من اظهر الأمثلة عن المجتمعات ذات التعددية اللغوية الثقافية في عالمنا المعاصر كل من كندا اسبانيا و سيريلانكا و الهند و العراق و تركيا و إيران و السودان و الجزائر و غيرها .[112] و لمعرفة أكثر عن العلاقة المتبادلة بين الثقافة و اللغة و تأثير هذه الأخيرة على الصراعات الاثنية في العالم المعاصر وجب التطرق إلى عدة نقاط دون ضرورة تعريفها ، فليس المقصود هنا ايتاء بعدة تعاريف مختفلة للغة بقدر ما المقصود من تناول هذه التعاريف هو إيضاح علاقة اللغة المتعددة بالثقافة باعتبارها ثاني أهم عنصر بعد الدين ترابطا بالبعد الثقافي و إن كانت اللغة لا تثير التساؤلات نفسها التى حملها الدين في علاقته مع الثقافة إلا أن هذا لا يلغي كونها من أهم المتغيرات تلاصقا مع كل ما له صلة بالثقافة من جهة[- التاريخ ،العادات و التقاليد ، الأعراف ، القيم ، و حتى الدين -]و من أكثر العوامل التي يعول عليها في التلاحم القومي أو الانفصال العرقي و هو ما سوف يظهر بالتفصيل ،نظرا للأهمية التي تحظى بها اللغة بالنسبة للوجود القومي و الوحدة الوطنية من جهة و بالنسبة للصراعات العرقية و الثقافية.

- **II- أهمية اللغة كمكون تابع و مستقل للبعد الثقافي :**

عموما فإن العلاقة المنشود إبرازها بين الدين و الثقافة هي كون اللغة هي حجر الزاوية في كل من الدين و الثقافة على حد سواء و لأن الانتماء القومي لأي شعب في الدنيا لا يرجع إلى كون هذا الشعب منحدرا بالضرورة من عنصر أو عرق واحد و إنما الى الانتماء أو الاندماج الإرادي لهذا الشعب في الثقافة المتبناة و التي قد يكون للغة دورا كبيرا في تماسكه.و لكون العلاقة بين الثقافة و اللغة من جانب و الثقافة و الدين و اللغة من جانب آخر هي علاقة

[112]- وهبان (أحمد)، **الصراعات العرقية و إستقرار العالم المعاصر**،مرجع سابق الذكر ص 98-131 .

تداخل و ترابط فمن الصعب بمكان الفصل بين الصراعات الاثنية المعاصرة و التي غالبا ما تشترك في أكثر من مكون فإذا كان الصراع في إقليم **الكيبك** في كندا قائما على مرجعية لغوية ،و الصراع بين مسلمي **سينكياج** و الصين قائما على أسس دينية ،فإن الصراعات الدائرة في افريقيا تضم اكثر من مكون و المثال الحي هو الصراع في نيجيريا الذي ياخد اكثر من بعد فإضافة إلى كونه صراع ديني بين المسيحيين و المسلمين ،فهو صراع لغوي داخلي بين المجموعات عديدة منها Tif ،Jukun ، Etulo، Kuteb، Berom، Afizere، Anaguta، Taroh و كلها تكشف عن حقيقة المطالبة بمعاملة عادلة فيما يخص لغاتها أو لهجاتها المحلية و التي غالبا ما تتعرض للخطر من طرف جماعة لغوية مهيمنة، نجد أنه حدثت اشتباكات عنيفة بين المجموعات Tif / Jukun و بين Etulo/ Tif [113] زد على ذلك مجموعات قبلية ذات عادات و تقاليد مختلفة إذ تطالب الجماعات الإثنية باحترام عاداتها والسماح لأبنائها بممارسة هذه العادات حسب التعاليم الدينية أو العادات والتقاليد السائدة.

- **III- كيفية تأثير المكون اللغوي في الصراعات:**

حتى نفهم دور اللغة كمكون مثير للصراعات الثقافية و العرقية يجب أن نفهم دورها اولا كمكون مشجع على الاستقرار و الوحدة . إذ يمثل هذا العامل من أبرز المكونات المهيئة للوحدة القومية بل و يذهب **كارتلون هيز** الى اعتباره أبرز المكونات على الإطلاق في هذا الصدد .
ليس ثمة شك في ان اللغة المشتركة من شانها العمل على خلق نوع من الثقافة القومية المشتركة Common National Culture و في المقابل فمن الصعوبة بمكان خلق ثقافة قومية موحدة دون أن تكون هناك وحدة في اللغة بين أفراد التجمع البشري و من شان التجانس اللغوي أن يهيئ لخلق نوع من التجانس الثقافي[114] و الحق ان استقراء التاريخ يشير إلى ان الحركات القومية التي ظهرت في أروبا في القرن التاسع عشر قد اعتمدت على وحدة اللغة سواء للمطالبة بالانفصال عن غيرها و تكوين دولة مستقلة تقتصر على المتحدثين بلغة واحدة أو للمطالبة بجمع شتات المتحدثين بلغة واحدة في دولة واحدة كذلك فإن تسويات الصلح التي تمت في اعقاب الحربين العالميين اعتمدت على اللغة كمعيار لتحديد الجماعة التي تمنح حق تقرير المصير.

كذلك فإن اهمية اللغة فيما تتصل بالأمور القومية تظهر للعيان بوجه خاص من حقيقة أن الحواجز اللغوية تنطبق في أكثر الأحوال على الحدود الفاصلة بين القوميات ففي الشلزفيج و الهولشتلين مثلا نجد ان الحدود الفاصلة بين الدينماركيين و الالمان ليست الحدود السياسية بل الحدود التي ترسمها حاجز اللغة [115]

113 - Marc(Ross) : "**Cultural Strategies of Ethnic Conflict Mitigation**
http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/2/4/7/pages72473/p72473-1.php

114- وهبان (أحمد)، **الصراعات العرقية و إستقرار العالم المعاصر**، المرجع السابق الذكر ص 65-66 .

115- نفس المرجع السابق ص 67 .

تأسيسا لما تقدم فإن افتقاد التجمع البشري لوحدة اللغة هو امر له تداعياته السلبية على روابط التضامن و الاندماج القومي وله تأثيره أيضا على إثارة بعض الاختلافات اللغوية التي قد تؤدي إلى توترات و أزمات و تكون بوادر للصراعات بين الجماعات المختلفة داخل الدولة و التي تحاول فرض لغتها و التمسك بها كونها رمزا بارزا من مكونات هويتها الثقافية و هو ما تلقى الاعتراض أو التجاهل من طرف المجموعة الأغلبية أو الدولة و على سبيل المثال فقد أدى وجود عدد لا يستهان به من سكان كندا يتكلم اللغة الفرنسية الى حدوث ازدواجية واضحة من الناحيتين الثقافية و الحضارية تتمثل في ارتباط الكنديين الفرنسيين بالتراث الفرنسي في الوقت الذي يرتبط فيه الكنديون الانجليز بالتراث الأنجلوسكسوني و هذه الازدواجية الثقافية تمثل عاملا يغذي الصراعات الانفصالية في كندا حيث يعتقد الكنديون الفرنسيون أن لهم قومية متميزة تبرر انفصالهم في دولة مستقلة .و هناك أيضا الهند الدولة المكونة من أربع عشر لغة و مئات اللهجات المحلية هذه الحالات هي مثال واضح عن تعقيد من امكانيات الاتصال بين الأفراد كما يهدد التجانس القومي داخل تلك الدولة .

كما تعاني بلجيكا الصراع القائم بين المجموعتين في البلاد و هما الوالون Walloons الناطقون بالفرنسية و يقطنون جنوب بلجيكا و الفليمنغ أو الفلاندرز Flemings- Flanders الناذقون باللغة الدوتشية Dotch و يسكنون في الشمال اذ هناك كراهية واضحة بيت الجماعتين يتوقع بعض الباحثين أن تؤدي هذا الى الانقسام رغم قلة نسبتهم –الوالون32بالمئة- قياسا بالفلاندرز56 بالمئة .[116]

مهما يكن فإن أهمية اللغة كمقوم للثقافة الذاتية للعرقية تتوقف على الإدراك الذاتي له من جانب الجماعة ففي بعض الأحيان تقدمه الجماعة على غيره من المقومات (كالسلالة أو الدين) و تضفي عليه أهمية كبرى كمحور لعصبيتها الذاتية غير انه في أحيان أخرى، قد تنحسر أهمية هذا العامل اللغوي الثقافي و تبرز عوامل أخرى في المقدمة كمحاور لهوية الجماعة، ففي الهند على سبيل المثال نجد كل من الهندوس و المسلمين الذين يتحدثون لغة التاميل قد يتضامنون – في ظروف معينة – بغية الوقوف في مواجهة أولئك الذي يتحدثون اللغة الآرية ، غير انه في مواقف أخرى يتضامن الهندوس الشماليون و الجنوبيون في مواجهة المسلمين و ينظرون إليهم كأعداء .[117]

لذلك تعتبر مكانة اللغة في النظام السياسي إحدى أدوات الهيمنة والسيادة، والمطالبة بوضع رسمي للغة ما في البلاد هو المطالبة باعتراف رسمي بأن الجماعة المتحدثة بتلك اللغة ذات شرعية أكبر، وقد تكون مطالبها بأولوية لغة أو بالتعددية اللغوية إذا كانت الجماعة الإثنية أقلية هذا لا ينفي أن لها دورا في الحراك الاجتماعي الطبقي والكفاءة الإدارية وشغل المناصب وعلاقات الدولة الخارجية. ومن أمثلة المطالب اللغوية مطالب الأمازيغ في الجزائر بتدريس لغتهم في الجامعات واعتبارها لغة رسمية ثانية، ورفض التعريب في جنوب السودان، والاعتراف باللغات الأفريقية في جنوب أفريقيا بعد

[116]- ابراهيم بغدادي (عبد السلام) ،**الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا** , المرجع السابق الذكر، ص 16- 30 .

[117]- نفس المرجع السابق ص 68-100 .

انتهاء الحقبة العنصرية و الأمثلة كثيرة.
وهكذا تبقى الخطوط الفاصلة بين الثقافة الفرعية للجماعات و الثقافة القومية معتمدة على قوة تلك المكونات أو ضعفها ، تكاملها أو تعارضها فيما بينها و يبقى احتمال اثارة النزاع حول مكون أو آخر راجع الى أهميته أولا ثم تمسك الجماعة بالثقافة الفرعية و خصوصيتها و رفض الذوبان في الثقافة الوطنية ، أو حتى عدم الاكتراث بجدوى الوصول الى قواسم مشتركة التي عادة ما تنقص من حدة الحساسيات المثارة بين الطرفين .

المطلب الثالث : أهمية القيم و البناء المعياري(العادات، التقاليد، العرف، المعتقدات، الطقوس و الشعائر) كمكونات ثقافية في العلاقات الدولية

يحتوي البناء المعياري على العديد من المفاهيم المتداخلة و التي تعتبر عناصر ثقافية يحكم من خلالها على السلوك على أنه مقبول أو غير مقبول اجتماعيا و تتمثل المعايير الاجتماعية- فضلا عن القيم – في العادات والتقاليد و العرف و المعتقدات و الطرائق الشعبية .

I – العادات:

من بين المكونات الثقافية تبدو العادات الأكثر عمومية تعتبر العادات الشعبية من أكثر عناصر التراث الشعبي انتشارا و حظوة باهتمام الدارسين ذلك كونها تتميز بالصفة الاجتماعية على اعتبار أنها فعل يصدر عن تفاعل مجموعة من الأفراد و الصفة الوراثية حيث تكون الصفة الاجتماعية متوارثة أو مستندة إلى تراث يدعمها ضف إلى ذلك الصفة المعيارية و الشيء الذي يجعلها تتسم بالطابع المعياري شأنها في ذلك شأن القيم الذي يفرض الامتثال الجماعي لها مثل القوانين و الأعراف [118] لقد تحدث ابن خلدون عن أهمية العادات الاجتماعية و كيف أن الإنسان ابن عوائده لا ابن طبيعته "... و أصله أن الإنسان ابن عوائده و مألوفه لا ابن طبيعته و مزاجه...."
و كغيرها من المكونات الثقافية تتداخل **العادات** مع بقية المكونات الثقافية إذ تتمثل العادات في **اللغة** و الأنماط الرمزية الأخرى التي تعبر عن أفكار الفرد و **معتقداته** و أنواع السلوك كما تدعم العادات الحياة الاجتماعية و تؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع و تقوية الروابط بين أفراده ،كما يمكن أن تكون العكس من ذلك و تكون السبب لنشوب الاضطرابات و التي قد تتطور الى صراعات إذا لم يتم احتوائها داخل المجتمعات .
وكثيرا ما يتم الربط بين العادات و التقاليد باعتبار ان كل واحد منهما يكمل الآخر على ان هناك بعض الاختلاف بين المفهومين و هوما يظهر في الجزء التالي

II- التقاليد: سوسيولوجيا اكتسب هذا المفهوم بعدا جديدا يعبر عن مدى الارتباط حاضر المجتمع بماضيه كما يشكل أساس لمستقبله ، فيأخذ التقليد طابعا شعبيا و منحى فلكلوريا يتناقله جيل عن جيل و يشعر نحوه بالكثير من

[118]- بن نعمان (أحمد) ، **هذي هي الثقافة** ،مرجع سبق ذكره ص 83-84 .

التقديس و يكون من المستحيل العدول عنه [119] و هذا ما يميز التقاليد عن العادات و التقاليد بهذا تمثل العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل الى جيل عبر الزمن و تتميز بوحدة أساسية مستمرة. و بهذا تأخذ التقاليد حصة الأسد من الدراسات الأكاديمية باعتبارها المكون المساهم في استمرارية الثقافة [باعتبارها تنتقل من جيل من جيل] كبعد و كمفهوم.

عموما التقليد هو شكل من أشكال الرواسب الثقافية في المجتمع، تتغير العادات باستمرار بينما التقاليد فهي ثابتة تحفظ تماسك الجماعة ثقافيا بالاستناد الى معطيات مسبقة على صعيد المعتقد الديني أو القاعدة الاقتصادية و يرافق التقليد عادات يمكن للناس أن يقوموا باستبدالها بسهولة.

III-العرف:

استخدم مصطلحا « Mores »و« Customs » أحيانا كثيرة للدلالة على الأعراف و في القانون العرف هو " ما درج الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم و شعورهم بضرورة احترامها" .

و أشهر تعريف في علم الاجتماع هو ما ذهب اليه سمنر Sumner عندما أشار الى أن الأعراف هي السنن الاجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للاستعمالات و **العادات** و **التقاليد** و **المعتقدات** و الأفكار و القوانين و ما شابه ذلك و بخاصة عندما تحوي حكما إنها تحوي جانبا هاما لما يطلق عليه الصواب أو الخطأ و يمكن ان تتمثل في الحكم و الأمثال و الأغاني الشعبية و القصص الأدبية التي تعتبر مظاهرا من مظاهر التراث الثقافي .[120] العرف عبارة عن طائفة من الأفكار و الآراء و المعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة و يمثل العرف مقدسات الجماعة و محرماتها و ينعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال و ما يلجئون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي و يضطر الأفراد للخضوع لهذه المعتقدات لأنها تستمد قوتها من فكر الجماعة و عقائدها .[121]

كما يختلف العرف عن العادات في ارتباطه بالناحية العقائدية و العقلية أما العادات فهي في معظمها أفعال و أعمال و يخضع العرف للتطور شأنه في ذلك شأن العادات فهو لا يجمد على أوضاع معينة و لكنه يتزحزح إلى حد ما عن الصورة ءالأولى و أشكاله القديمة ، غير أن تطوره بطئ .

IV-المعتقدات:

يقصد بالمعتقدات الشعبية لمجتمع ما تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي و ما وراء الطبيعة و قد تكون نابعة من الشعب ذاته أو أنها كانت معتقدات دينية (كالإسلام و المسيحية) ثم تحولت مع مرور الزمن إلى

[119]- عماد (عبد الغني) ، **سوسيولوجية الثقافة المفاهيم و الإشكاليات :من الحداثة إلى العولمة**،(مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت لبنان ،الطبعة الأولى، 2006) ص 155 .

[120]- نفس المرجع السابق ص 154 .

[121]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ،" **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي** "، مرجع سبق ذكره ص 158 .

أشكال جديدة من الاعتقاد المغاير لما تحظى بالقبول الرسمي من رجال الدين كما حدث في الإسرائيليات .. و عموما فهي "موجودة في كل مرتبة عالية من العلم و الثقافة " و يدخل في نطاق هذه المعتقدات الأفكار و الأحاسيس التي يكونها الناس إزاء الظواهر الطبيعية.[122] و غالبا ما تربط المعتقدات بالدين مثلها مثل الشعائر الطقوس .

V-الشعائر و الطقوس :

المظهر الغالب للشعائر و الطقوس انها من طبيعة دينية و هي تنطوي في جانب منها على مجموعة من المحرمات المقدسة المعروفة باسم "التابو " " taboo " وهي تشير الى مجموعة من الأمور و الأفعال و المواقف التي يجب على الأفراد القيام بها و بخاصة انها تستند الى الجزاء الديني و الرادع الاخلاقي و الشعائر هي عبارة " عن اجراءات مقررة ذات طبيعة تتصف بالرسمية و الوقار "

عموما تدرس كل هته المكونات دراسة نظرية تحت مفهوم القيم ذلك أن كل من هذه المفاهيم دفعت لدراسة و تحليل البعد القيمي في العلاقات الدولية و أثرت و جددت الاهتمام بالنظرية المعيارية مقابل النظريات المادية السائدة في الحقل كما و أن هذه المكونات القيمية هي الأساس في تكوين الكل المركب الذي يتكون منه الثقافة و الاهتمام بالبعد الثقافي و بمفهوم الثقافة عموما .

VI-القيم :

تعد القيم من بين المفاهيم الجوهرية في كافة ميادين الحياة (الاقتصادية والاجتماعية و السياسية) لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها فهي ضرورة اجتماعية لأنها معايير و أهداف لابد و أن نجدها في كل مجتمع منظم – متقدما كان أو متخلفا – و يضيف البعض أن الحياة الاجتماعية تستحيل بدون القيم فقيام النظام الاجتماعي بوظائفه لا يمكن استمراره بغير قيم .[123] غير ان هذه الأهمية لم تظهر كحقيقة في الدراسات الأكاديمية للباحثين خاصة في حقل العلاقات الدولية إلا في الفترة الأخيرة و يمكن أن نعتبر أن الأسباب التي أدت إلى عودة الدين في العلاقات الدولية هي نفسها التي عملت على ارجاع القيم و المعايير إلى الاستخدام النظري و الواقعي باعتبارهما مكونين من المكونات المعيارية في العلاقات الدولية .

يجدر القول أن القيم بمعناها الواسع تضم العديد من العناصر الثقافية أولها الدين يليه كل من المعايير و المعتقدات و غيرها من المفاهيم المتداخلة و قد يلفت انتباه القارئ إلى أن معظم التعريفات التي تم تناولها تشترك مع بعضها البعض فمثلا القيم هي أفكار معيارية أو القيم هي معتقدات مصدرها الثقافة ....لذلك فإن القيم و المعايير تشكل لب الثقافة و نواتها و العادات و التقاليد تمثل كتلتها الصلبة التي تميز كل اتحاد اجتماعي ثابت .

---

[122]- بن نعمان (أحمد) ، **هذي هي الثقافة** ،مرجع سبق ذكره ص 82-83.

[123]- خطاب (سمير)، **التنشئة السياسية و القيم** ، (اتراك للنشر و التوزيع ، القاهرة- مصر، الطبعة الاولى، 2004) ص 59.

III مجالات الاهتمام بدراسة القيم في العلاقات الدولية :

موضوع القيم من الموضوعات التي تقع في دائرة اهتمام العديد من التخصصات كالفلسفة والدين والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلى الرغم من أهمية موضوع القيم-كأحد الموضوعات الأساسية في مجال علم السياسة فقد تأخر الاهتمام بدراستها بوجه عام وارتقائها وتغيرها عبر العمر بوجه خاص- وربما يرجع ذلك إلى عدة أسباب منها اعتقاد الكثير من الباحثين والدارسين بأنها تقع خارج نطاق البحوث الامبريقية وأنه من الصعب قياسها وتحديد أبعادها وعلاقتها بغيرها من التغيرات. حيث يرى لفيتون Leviton ***أن تأخر الاهتمام بدراسة القيم يرجع إلى وجود اعتقاد بان دراسة الأحكام القيميةValue Judgments تقع خارج نطاق الفحوص الأمبريقية كما أنها لا تخضع للقياس وينظر إليها على أنها بمثابة قوى عميقة لا عقلانية irrational لا تخضع للمعالجة التجريبية المعملية .***[124]

بالرغم من أن القيم و المعايير عموما لم تلعب دورًا هامًا فى التوجهات التى سادت دراسة العلاقات الدولية فى الفترة منذ الخمسينات وحتى أواخر السبعينات من القرن العشرين، إلا أن مراجعة الكتابات الغربية فى المرحلة التالية توضح أن هناك تزايداً في الاهتمام بدراسة دور القيم و المعايير فى تحليل العلاقات الدولية و حتى السياسات الخارجية للدول ، بل لقد جعل البعض من القيم أحد مصادر الإبداع النظري فى العلاقات الدولية، والتى يمكن أن تساعد على بلورة نظرية لاختبار فروض معينة فى الواقع. و قد أشار عدد من الباحثين والمحللين إلي أن فكرة القيم فى العلاقات الدولية فى الأدبيات الغربية تتنازعها مدرستان :

الأولى: ترى أنه من العبث التمسك بقيم فى عالم السياسة الدولية الذي لا يعرف إلا المصلحة، وأن تمسك دولة بالأخلاق يعنى استسلامها فى موقف ما للطرف الآخر الذي لن يتبع نفس قواعد السلوك، وفي هذا الإطار يعتقد مورجنثو أن الأخلاق ضرورية في العلاقات الدولية ولكنه يناهض المبرر الأخلاقي للسياسة الدولية وهو ما يسميه بـــ"أيديولوجية الأخلاق" أي أن المبادئ الأخلاقية تخفي وراءها المصالح الخاصة، كما يدين الإطلاقية الأخلاقية ويسميها "بالنزعة العاطفية "لأنها تغطي طبيعة السياسي وتركز فقط على القيمة الأخلاقية على حساب القيم الأخرى

الثانية: وترى أن الحديث عن القيم لا يعنى تجاهل الواقع، بل ترشيده حتى لا ينغمس العاملون فى المجال السياسي فى الحسابات البراجماتية الوقتية متجاهلين السؤال الملح عند وضع السياسة الخارجية: من نحن؟ ماذا نريد أن تكون؟

وينتمي إلي هذه المدرسة عدد من الباحثين الغربيين الذين يوضحون أهمية دور القيم فى التفاعلات الدولية، ومن بينهم : **ستانلى هوفمان** الذي يري أن مسألة القيم فى السلوك الخارجي تكمن أهميتها فى حجم الواجبات والحقوق أو

---

[124]- محمد خليفة (عبد اللطيف)، **إرتقاء القيم :دراسة نفسية**، مرجع سابق الذكر ص 13.

وعلى الرغم من أهمية موضوع القيم Values في مجال الدراسات الأكاديمية والسلوك البشري بصفة عامة فقد ظل لفترة طويلة خاضعا للتأملات الفلسفية بعيدا عن الدراسة العلمية الواقعية؟ فالفحوص الأمبريقية للقيم ظلت وكأنها جزر أو مناطق منعزلة عن مجال العلاقات الدولية وارتبطت بمجالات وتخصصات عديدة كالفلسفة والدين والاقتصاد وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا .

المسئولية التى تقع على الفرد،وأن المسألة الأخلاقية الدولية أثارت تساؤلين دار حولهما البحث، وهما: هل هناك خيار قيمي فى العلاقات الدولية؟ وإذا كان هناك، فما هي حدود هذا الخيار؟ ويذهب إلى أن هناك هرمًا من القيم، قاعدته قيم الفرد، ثم قيم الجماعة، ثم قيم صانع القرار الذي يحتل قمة الهرم، ويرى أن إشكالية نسبية القيم تبقى مطروحة فى التفاعلات الدولية. **ناى وشلزنجر** :طرحا قضية العلاقة بين الأخلاق والجماعة الدولية، ويريان أنه من الخطورة بمكان قياس الأخلاق الدولية على الأخلاق الفردية وذلك لعدة أسباب: اختلاف أوضاع وظروف الدول عن الأفراد، وأن موضوعات السياسة الخارجية يصعب تصنيفها من حيث "جيد" و"سيئ"، دول أخلاقية وأخرى غير أخلاقية بل هى أقرب إلى مناسب و غير مناسب أما **ارنست هاس** فيري أن الدول لن تتصرف كأفراد، وقياس السلوك الدولي على السلوك الفردي ليس مجديًا، لكن هذا لا يعنى أن نطرح مسألة الأخلاق جانبًا. ويقترح ضرورة دراسة العناصر المتشابهة فى النظم الأخلاقية المتعارضة أو المتصارعة .

أنه نظرًا للاختلافات الفكرية بين الباحثين المؤيدين لأهمية دور القيم فى العلاقات الدولية، فليس هناك تعريف مشترك لما هو أخلاقي كإطار عام للتحرك الدولي، أو حدًا أدنى من الاتفاق حول ماهية القيم التى يمكن أن تحكم العلاقات الدولية .

تثير القيم في العلاقات الدولية قضية العلاقة بين الأخلاق الفردية والأخلاق الجماعية الدولية، وإمكانية قياس كل منها شأنها في ذلك شأن الدين .إذ أنه مع اعتراف البعض بأهمية القيم فى السياسة الخارجية إلا أنهم يؤكدون أنه لا توجد مبادئ مجردة وعالمية (إلا فى بعض الحالات الاستثنائية) تحكم السياسة الخارجية

كما و أن التطورات التي شهدها العالم المعاصر وخاصة مع انتهاء الحرب الباردة، وسقوط المعسكر الشيوعي، الذي عرف بطبيعته الإلحادية وتغييبه للجانب الديني والقيمي، كانت دافعاً لتصاعد التيارات الفكرية المنادية بإعادة الاعتبار للأبعاد القيمية والدينية في دراسة العلاقات الدولية، وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه **المنظور القيمي** في دراسة وتحليل العلاقات الدولية. لذلك ، فإنه من الصعب تجاهل تأثير القيم و المعتقدات الدينية التي يؤمن بها العديد من الباحثين علي ما ينادون به من مقولات، وما يضعونه من مداخل واقترابات تحليلية في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، ومنها علم العلاقات الدولية .

IV حول تأثير القيم و دورها في الصراعات اليوم :

نستطيع ان نلمس دورها إذا ما أدمجت مع متغير ملموس و هو الدين إذ يمكن القول أن القيم الدينية من شانها أن تلعب دورا في صراعات اليوم حيث يعتبر معظم الباحثين بأن التهديدات العالمية التي نواجهها اليوم تضرب بجذورها لقضايا عميقة في الأخلاق والقيم في السياسة الدولية. وتتعلق هذه التهديدات برفاهية الفرد الذي يكون هويته متجذرة في مختلف البيئات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ولذلك ، فإن الحلول لمشاكل الأمن العالمي اليوم يجب أن تأخذ في الاعتبار الخلفية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للفرد والحقيقة هي أن العديد من مشاكل اليوم متجذرة في

سوء الفهم الديني والثقافي والتعصب فالأفراد يتأثرون بعمق إيمانهم وقيمهم. ولذلك ، فمن المنطقي أن أي حل لمشاكلهم ينبغي أن تأخذ في الاعتبار منظومات قيمهم. بطبيعة الحال ، في كثير من الأحيان اشتباك و تعارض منظومات القيم مع بعضها البعض تؤدي إلى تفاقم المشاكل وتجعل من الصعب البحث عن حلول. طريقة واحدة للتعامل مع هذه القضايا هي البحث عن أوجه التشابه بين نظم القيم والمعتقدات المختلفة ، وبناء الحلول المبنية على هذه القواسم المشتركة.[125]

إن الأخلاق والقيم تلعب دورا مهما في تشكل الفرد ، والمجتمع والأمة. لذلك فالأخلاق والقيم تلعب دورا مركزيا في صراعات اليوم و ينبغي أيضا أن تلعب دورا هاما في العلاقات الدولية ومع ذلك ، هذا ليس هو الحال. الحديث عن القيم في سياق العلاقات الدولية يعتبر علامة من علامات الضعف والسذاجة. استكشاف دور الأخلاق والقيم في السياسة عموما و الصراعات قد تم تجاهله في العالم الغربي ، بطبيعة الحال دفع القليل من القيم العالمية ، مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والأسواق الحرة وغيرها في العلاقات الدولية. على أن المساعدات الغربية للبلدان النامية [باعتبارها عمل أخلاقي]قد تم تبريرها باسم "الحكم العالمي"، و عملية فرض نقل المعايير الغربية اعتبرت شراكة ،كما وأن استخدام القوة تم تبريرها من خلال "التدخل الإنساني" لمنع الإبادة الجماعية.

لذلك فتقديم دراسة الأديان العالمية والقيم في العلوم الاجتماعية ، ولا سيما نظرية العلاقات الدولية والسياسة والاقتصاد سيعزز فهمنا للصراعات التي يعاني منها العالم اليوم و يثري الدراسات الأكاديمية التي استوعبت هذه الأبعاد المعيارية و يوسعها، و يشجع البحوث المتعددة التخصصات لتعزيز التفاهم المتبادل بين العوامل المادية و المعيارية في نظرية العلاقات الدولية بعدما أصبحت هناك حاجة ملحة لتزاوج التجريبية مع المعيارية التي غدت ذات درجة عالية من التخصص . فالتجريبية غالبا غير مفهومة للسياسيين وصانعي السياسات والممارسين والأشخاص العاديين إذا ما قورنت بالخطابات الدينية المفهومة حتى من قبل معظم الأشخاص الأميين ، فالخطابات القائمة على الأخلاق و القيم قادرة على الوصول إلى الرجل العادي الآن بسهولة أكبر من المنظرين و الباحثين في مجال العلوم الانسانية .[126]

استنادا لما سبق ذكره هنالك حاجة لإعادة التركيز على البعد الأخلاقي والمعنوي كمكون مهم لمشاكل و صراعات اليوم فلا شك أن نظم القيم المختلفة للناس لا تتفق دائما والى حد بعيد مع غيرها و هو سبب الصراع.

---

[125] - Dr. Gupta (Arvind) ; **GLOBAL SECURITY AND THE ROLE OF ETHICS AND VALUES; p 3**. http://www.worldacademy.org/files/pdf

[126] -Ipid p 4 ;5 .

الفصل الثالث

" المكون الديني" كمفسر للصراعات المعاصرة

- **المبحث الأول**: صراع أتباع دين معين ضد أتباع دين آخر - دراسة حالة مصغرة للصراع في نيجيريا بين المسلمين / المسيحيين
- **المبحث الثاني**: صراع دين معين ضد أتباع دين آخر مرفق بصراع مذهبي - دراسة حالة مصغرة للصراع في لبنان
- **المبحث الثالث**: صراع أتباع مذهب معين ضد أتباع مذهب آخر داخل الدين الواحد - دراسة حالة مصغرة للصراع في ايرلندا البروتستنت / الكاثوليك

الفصل الثالث

تشكل الصراعات المعاصرة القائمة على الصراعات الاثنية و الثقافية الداخلية 90بالمئة من مجموع الصراعات العالمية ومعظم هذه الصراعات طويلة الأمد نتيجة لاندلاع أزمات اجتماعية و صراعات اثنيه تتداخل فيها اللغة و الحضارة و الهوية المميزة و الدين و الانتماء القبلي و العرق و اللون و غالبية هذه الصراعات اليوم ليست بين دولة و أخرى بقدر ما هي صراعات بين مجموعة اثنية و أخرى داخل الدولة الواحدة فمثلا منذ عام 1970 اندلعت في القارة الافريقية أكثر من ثلاثين حربا و كانت اغلبية العظمى من تلك الحروب داخل الدول ذاتها .[1] لذلك فمن المنطقي القول أن مثل هذه الصراعات الداخلية كالصراعات الدينية تحدث تكرارا في المجتمعات الغير متجانسة من الناحية الاثنية و الدينية و التي تعاني انقسامات حادة ،إذ تنشب صراعات من هذا النوع داخل حدود الدولة العصرية الموحدة عندما تتعايش مجموعات حضارية ومتنوعة تريد الحفاظ على هوية متميزة و مستقلة عن هوية المجموعات الأخرى فتحاول التعبير عن خصوصيتها و تمايزها من خلال الحفاظ على الدين و اللغة أو الانتماء العرقي او الحضاري و تكون مثل هذه الصراعات الاثنية للحصول على ما هو نادر بما في ذلك السلطة و المترلة و القيم المعنوية الاعتراف أو حتى الجوانب الاقتصادية .

المقصود من هذا الفصل هو مساهمة في البحث المستمر عن وسائل جديدة لمعرف خصوصية الصراعات الدينية في العالم ، باستخدام نيجيريا و لبنان و ايرلندا الشمالية كدراسات حالة مصغرة ، و مقارنة الصراعات الدينية في كل تلك البلدان ليتسنى لنا معرفة الجذور العميقة و المعقدة لتلك الصراعات وإظهار مدى الصعوبات في إدارة ذلك النوع المعين من الصراعات لذلك فاستمرار الصراعات الإثنية والدينية تثير تساؤلات حول فعالية بعض الآليات و الإجراءات وحول الحلول المقدمة التي قد تعالج المشاكل السياسية و الاقتصادية غير أنها تعجز عن إيجاد حلول المتعلقة بالمسائل العقائدية.

تقترح هذه الدراسة ، من بين أمور أخرى ، أن الانقسام الديني قد تضر بالوحدة الوطنية والاجتماعية و الرفاه الاقتصادي للبلدان ومن المهم أن نلاحظ أن معظم هذه الصراعات الاثنو-دينية التي سببها الاستعمار ، أدت الى تفاقم الصراع بين الجماعات العرقية عن طريق الاستفادة من عزل وتقسيم المجموعات الاثنية و الدينية و التي استخدمت كطرق لتحريض بعض المجموعات ضد البعض الآخر ، وبالتالي إبقاء توزيع الموارد الاقتصادية في كثير من الأحيان تميل لصالح جماعة معينة ، ودفع الفئات المهمشة لاستخدام انتمائهم الاثني و الديني للتحرك من اجل المساواة. أما عن أسباب اختيار نيجيريا و لبنان و ايرلندا كدراسات حالة. على الرغم من أن هذه البلدان كل منها يمثل مجال جغرافي مختلف تمام الاختلاف عن البقية فكل حالة لها ظروف مختلفة عن الاخرى و هو ما سوف يتم التطرف له بتفصيل غير مخل للمعنى :

الحالة الأولى- نيجيريا : تتعدد أنواع الصراعات في نيجيريا و إفريقيا إلى حد أن هذين المصطلحين [إفريقيا و

[1]- حماد (كمال)، **النزاعات الدولية :دراسة قانونية دولية في علم النزاعات**،(الدار الوطنية للدراسات و النشر و التوزيع، الجزائر ،الطبعة الأولى،1998) ص36 37

الصراعات][2] أصبحا عند بعض المختصين مترادفين ، فالقارة السوداء تعد أكثر القارات معاناة ،حيث باعتبارها الاكثر تفتتا من الناحية السياسية إذ تضم نحو 50 وحدة سياسية لا يعادلها في ذلك قارة من قارات العالم الاخرى ،كما لا توجد منطقة فيها لا تعاني من مشاكل و ليس هناك دولة خالية من الصراع الداخلي لذلك فمن غير اللائق تجاهل دراسة و لو حالة من الحالات الصراعية المتنوعة و المتداخلة في تلك القارة ،بذلك لم يأت الاختيار من فراغ لأخذ نيجيريا نموذجا للصراعات في افريقيا و ذلك لعدة اعتبارات أهمها :

- التعقيد الثقافي الناشئ من اختلاط الخارطة اللغوية و الدينية في نيجيريا هو المتسبب في القضاء على الثقافات المحلية و تصاعد حدة الصراعات فيها .
- يمثل الصراع الديني في نيجيريا صراع بين طائفتين من ديانتين مختلفتين هما الديانة الاسلامية و الديانة المسيحية
- إن المشكلة الأعظم لنيجيريا المتوجسة في عمومها هي ثقافية، إنها مسألة الهوية فحينما يعرف المرء ذاته يمكنه كذلك أن يختار و يحدد موقعه و يؤكد ذاته و ذلك يقضي النهل من تاريخه الخاص و المطلوب في هذه الدراسة هو البحث عن هوية المواطن النيجيري و معرفة ما إذا كانت هوية دينية أو قومية.
- هي نموذج ، لحالة الدولة الأفريقية غير المستقرة ، سواء في نظام الحكم (مدني – عسكري) أو في الأوضاع الاثنية والقبلية ، أو في التفكك الداخلي بين المقاطعات في الإعلان المتكرر عن انفصال هذه المقاطعة أو تلك ، أو التهديد بالانفصال كلما حدث تطور سياسي لا ترضى عنه الجماعات الاثنية[3] والأهم والذي برز على السطح مؤخرا ، وأصبح يهدد وحده البلاد ، الصراع الديني و الذي تعتبر مربط الفرس في هذه الدراسة.

الحالة الثانية– لبنان :

- صعوبة الاستقرار في لبنان باعتبارها مركز ثقل الشرق الأوسط غاية و مطمع كل من اسرائيل و الدول الكبرى كما تعتبر الحالة الأكثر اثارة للجدل على اعتبار موقعها الجيو-استراتيجي الهام و هو ما يؤهلها لتكون بؤرة الصراع في الشرق الأوسط .
- انعكس الصراع سواء الطائفي الكاثوليكي الأرثوذكسي أو السني الشيعي في لبنان على الطوائف المسيحية و الاسلامية إلى درجة القطيعة التامة بين الطوائف لا تزاوج ولا تواصل ولا مشاركة في الطقوس الدينية ، فالصراع الديني بين أتباع طائفة وأتباع طائفة أخرى في لبنان، أفضى إلى انقسام الطائفة الواحدة –المسيحية أو الإسلامية – إلى ملل ونحل متصارعة.

[2]– أكثر تفاصيل عن النزاعات في افريقيا أنظر الى : بوعشة (محمد) ، **العرب و المستقبل في الصراع الدولي**،(الدار العربية للنشر و التوزيع، الجزائر الطبعة الأولى 2000) ص 155 .

[3]–رزيق المخادمي (عبد القادر)، **النزاعات في افريقيا إنكسار دائم أو انحسار مؤقت!!!!** ، (دار الفجر للنشر و التوزيع،القاهرة ،الطبعة الأولى 2005) ص 89 .

- احتوائها على فسيفساء من الديانات و المذاهب التي تنشط كل منها على حدا وهي الحالة الوحيدة المعبرة عن الفسيفساء الدينية فهي لا تمثل فقط صراع أتباع دين ضد آخر- المسلمين و المسيحيين- و إنما تتعداه الى صراع بين أتباع من نفس الدين سواء الطائفة المسيحية – المارون مع بقية الطوائف المسيحية أو الصراع بين طوائف الشيعة و السنة الاسلامية .لذلك فهو يمثل صراع ديني حضاري بين أكثر من دين و أكثر من طائفة.

الحالة الثالثة- ايرلندا الشمالية :

- ايرلندا الشمالية هي حالة عن التعصب المذهبي الداخلي و الغموض الديني الهوياتي و الاجتماعي ضمن الديانة المسيحية الأكثر ظهورا من غيرها .
- ايرلاندا الشمالية تمثل النموذج الأوضح عن البلد الأوروبي المنقسم داخليا في المجال الديني " بين الكاثوليك و البروتستانت .
- ايرلندا الشمالية تعطي بدورها مثالا على أنّ العداء الأصولي القديم بين الطوائف المسيحية المنقسمة، ما زال حيّا أيضا و يمكن ان يرجع في أي لحظة فهي نموذج على صراع ديني طائفي متطاول فطول مدة الصراع التي قربت عن ثمانية قرون و تجدده من حين الى آخر أدخلته خانة الصراعات الدينية الواجب بحثها .
- الصراع في ايرلندا الشمالية هو تجسيد للصراع المركب بين الكاثوليك و البروتستانت داخل ألستر والخارجي بين أيرلندا الشمالية و بريطانيا .

و لأكثر تفاصيل سوف نتطرق الى الحالات الصراعية الثلاث و ذلك من خلال ثلاث مباحث

المبحث الأول : صراع أتباع دين معين ضد أتباع دين آخر- دراسة حالة مصغرة للصراع في نيجيريا بين المسلمين / المسيحيين

يقول كل من Ted Gurr و Monty Marshall أن الدول الافريقية خاصة نيجيريا تواجه اليوم تحديات أكبر للسلام والاستقرار من أي وقت مضى فهي خليط من انعدام الأمن وعدم الاستقرار وفساد المؤسسات السياسية والفقر المرعب ، وبالتالي وقعت فريسة لاستمرار الصراع الاثني المسلح. والصراعات في البلدان الافريقية عموما هي في معظمها بين المجموعات الاثنية ، وليس بين الدول. و إذا لم يتم كبح هذه الصراعات الاثنية المعدية يمكن أن تنتشر بسرعة عبر الحدود مثل الخلايا السرطانية.[4] و هو ما ينطبق على حالة نيجيريا التي يوجد فيها أكثر من 250 إثنية و مثلها من اللغات و هي بذلك واحدة من مناطق التوتر العديدة و تكتنفها مخاطر شديدة إذ يضمر المجتمع النيجيري تنوعا دينيا و لغويا كبيرا[5] و تعتبر النزعة الاثنية و الدينية واحدة من المشاكل الخطيرة التي تواجهها إذ تنمو الصراعات

[4] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria: Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s**.pdf p 2. http://www.monitor.upeace.org/pdf/rashid.pdf

[5]- ياكوب (جوزيف)، ترجمة عمر (حسين)، **ما بعد الأقليات** ،(المركز الثقافي العربي ،المغرب، الطبعة الأولى 2004)ص 151- 216 .

الاثنية المرتبطة مع الصيغ الثقافية الجديدة المتناقضة مع دياناتهم و تقاليدهم و الدعوات الى الحكم الذاتي و الحركات الانفصالية العنيفة بقوة فيها و تصبح موضع اهتمام و عناية أكثر من أي وقت مضى و هو ما يستدعي دراستها و القاء الضوء عليها من خلال التطرق الى :

المطلب الأول : نيجيريا والتركيب الاثني

مع حوالي 135 مليون شخص، نيجيريا في افريقيا هي البلد الاكثر سكانا و هي موطن لـ250 من المجموعات الاثنية و الدينية و اللغوية [و إن كانت اللغة الإنجليزية مختارة كلغة رسمية] و بالرغم من أن معظم الجماعات العرقية هي صغيرة جدا ، هناك ثلاث جماعات اثنية هي الأكثر عدداً، والأقوى نفوذاً، على الصعيد السياسي و التي تشكل ما بين 60 و 70 %من السكان مثلا جماعات الهوسا-الفولاني Hausa-Fulani نحو 30 % من السكان ، Yorubas حوالي 20 % وIgbos نحو 18 %. هذه المجموعات العرقية الرئيسية الثلاث ليست متباينة فقط من المنطقة ، ولكن أيضا عن طريق الدين ونمط الحياة.

وعن تقسيم الطوائف التي تضم فضلا عن ما تم التطرق اليه جماعات أخرى تظهر نسبهم المؤوية في الجدول التالي :

الطوائف	Hausaو Fulani	Yoruba	Igbo	Ijaw	Kanuri	Ibibio	Tiv
النسبة	%.29	%.21	%.18	%.10	%.4	%.3.5	%.2.5

في حالة نيجيريا لا يستطيع الباحث أن يفصل الصراعات الاثنية عن الدينية إذ يسيطر على الساحة الصراعية في نيجيريا ثلاث اثنيات تتصارع فيما بينها، الأمر الذي يؤدي بشكل أو بآخر لعدم وجود استقرار في نيجيريا، هذه الاثنيات أو القبائل هي: قبيلة "الهوسا " التي تتمركز في شمال نيجيريا و التي تدين بالاسلام ،و الهوسا هي أكبر تجمع عرقي بنيجيريا وتقدر نسبة المسلمين بهذه القبيلة 98% [من أبرز مدنها مدينة كانو شمال نيجيريا] وفي الجنوب الغربي توجد قبيلة " اليوروبا"،التي تضم الغالبية المسيحية ثاني أكثر القبائل النيجيرية عدداً بعد الهوسا ولا تخلو هذه القبيلة من الصراعات الداخلية بين مجموعاتها السبع أما ثالث القبائل فهي قبيلة " الإيبو "[6] فتقع في الجنوب الشرقي، القبيلة الثالثة من حيث العدد بعد كل من الهوسا واليوروبا ويتركز بهذه المنطقة غالبية احتياطي النفط النيجيري و المعروفة بتقدمها و نشاطها ،قد انعكس هذا على الحياة الحزبية فقد أصبح لكل من تلك المجموعات حزب خاص بها داخل

[6]- لقد ارتبط اسم قبيلة الإيبو بحرب بيافرا الانفصالية بين كل من قبيلتي الإيبو والهوسا والتي شنت بعد أن تم إعلان انفصال إقليم بيافرا الغني بالنفط في منتصف عام 1967م من قبل الرئيس بنيامين نامدي أزيكوي، حيث بدأت حرب أهلية أودت بحياة مليون شخص واستمرت الحرب في الفترة ما بين يونيو 1967 وحتى يناير 1970م. وتتصارع القبائل فيما بينها فلا توجد هذه الصراعات من أجل الدين فقط، بل تضم بين طياتها صراعات أخرى خاصة بالمصالح والحسابات السياسية والثأر، هذه الأمور التي تقف وراءها الكثير من التحالفات، كما نتج عن هذه الصراعات عدد من الحروب الأهلية والانقلابات ففي أوائل التسعينات حدث انقلابين من تنظيم ضباط الأيبو ضد رئيس من الهوسا، ولكن لم يفلح أي منهم كما تلا ذلك عدد من الانقلابات والاغتيالات الأخرى.ونظراً لإقامة العديد من أبناء قبيلة الهوسا في مناطق نفوذ قبيلة اليوروبا والعكس فغالباً ما تحدث الكثير من المواجهات بين الطرفين، هذا بالإضافة للصراع على السلطة وحكم البلاد .

النظام الفيدرالي للدولة النيجيرية و بهذا الانقسام القبلي في نيجيريا اضافة الى ارتكازه على المظاهر الثقافية والحضارية فهو يمتد الى تنظيم الحياة السياسية [7].

LES BLOCS RÉGIONAUX ETHNIQUES

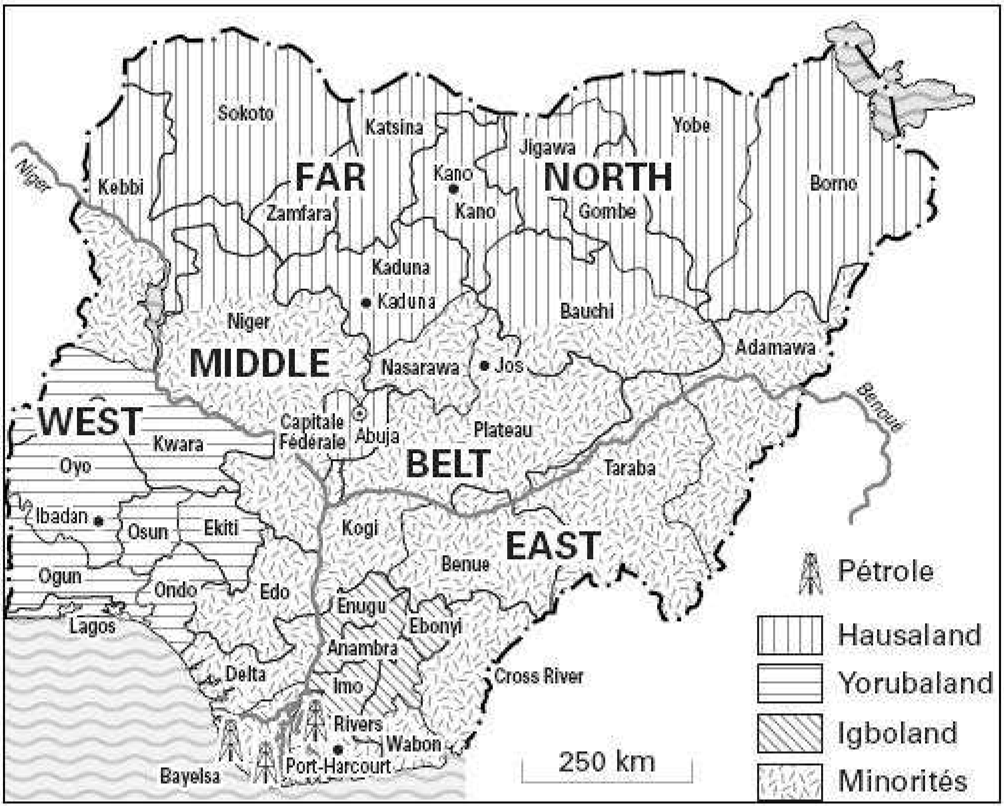

الكتل الاثنية الإقليمية في نيجيريا

كارسون أضاف أن نيجيريا تواجه عددا من التحديات الرئيسية منها: التوترات التي كثيرا ما تشتعل بين المسلمين والمسيحيين في الجزء الشمالي من البلاد، حيث يبلغ عدد السكان المقيمين هناك من المسلمين حوالي 75 مليون نسمة، مما يجعلها ثاني أكبر دولة في أفريقيا من حيث عدد السكان المسلمين فيها، وأكبر دولة تضم سكانا مسلمين في منطقة جنوب الصحراء الكبرى.[8] فحسب الإحصائيات المتاحة من الهيئة الوطنية النيجيرية للإحصائيات فإن 50% من إجمالي سكان نيجيريا يدينون بالإسلام، و40% يدينون بالمسيحية، في حين يدين الباقون (10%) بديانات وثنية

[7] – بطرس غالي (بطرس) ، **العلاقات الدولية في إطار منظمة الوحدة الافريقية** ،(مكتبة الأنجلو المصرية،مصر 1987) ص 326. و لتفاصيل أكثر عن المجموعات و القبائل النيجيرية الرئيسية و كل ما يتعلق بنيجيريا يرجى النظر :

– رياض(محمد) عبد الرسول (كوثر)، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة** ،(دار النهضة العربية بيروت ،لبنان،الطبعة الثانية) من الصفحة 449-500.

[8] -David Kellerhals(Merle) ; **Clinton Calls for Enhanced Political Reforms in Nigeria;12 August 2009**
http://www.america.gov/st/peacesec-english/2009/August/20090812162501dmslahrellek0.386883.html

طبيعية.[9] يمثل إقليم الشمال منطقة أكبر كثافة مسلمة حيث يشكل المسلمون فيها 95%. وتشهد منطقة الغرب حالة تجاذب بين الإسلام والمسيحية، إذ يشكل المسلمون 50% والمسيحيون 45%، وإن كانت التجاذبات هذه لا تصل حد الاشتباك والمواجهة كما هو الحال في الشمال. وتنتشر المسيحية في منطقة الحزام الأوسط والمناطق الوسطى إضافة إلى بقايا الوثنية، في حين أن منطقة شرق البلاد تسودها الديانة المسيحية بنسبة 65% بجانب الوثنية بنسبة 43% والإسلام بنسبة 2%.[10] رغم أن معظم الجمعيات المسيحية تعتبر أن نيجيريا منقسمة بين المسيحيين والمسلمين بالتساوي طبقا لأبحاث أجراها منتدى Pew[11] حول الدين والحياة العامة[12].

إزاء هذا التركيب الاثني المتوارث في البلاد و الوضع الطائفي المعقد تسود حالة حراك في المناطق الشديدة المركزية والسيطرة للديانة الأغلبية حيث تتحرك الأقليات الطائفية للفت الأنظار إليها وإعادة الاعتبار لها، وتتكرر مشاهد الصراع الطائفي حتى بين أبناء القبيلة الواحدة كما هو الحال بين المسلمين والوثنيين من أبناء اليوروبا وتسجل سنويا ضحايا وجرحى بالعشرات. والحراك من هذا النوع على المستوى الفدرالي ينحصر بين المسلمين والمسيحيين ، و حول توزيع المسلمين في الولايات النيجيرية تبين الخريطة تواجد العنصر الاسلامي و تفاوت توزيعه بين الولايات :

---

[9]- هناك تباين في نسبة كل دين في نيجيريا والرقم المذكور في الأعلى هو الرقم الرسمي للحكومة النيجيرية في حين أن بعض المصادر الإسلامية ترفع النسبة ما بين 70 و75%. انظر للمقارنة المصادر التالية: WORLDWIDE MUSLIM POPULATION
http://www.islamicpopulation.com/nigeria_muslim.html

[10]- بن عبد الباقي محمد (الخضر) ، **نيجيريا صراع يتجدد** (الجزيرة ملفات خاصة 2004-العوامل الاخلية للصراع في نيجيريا) .
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DE160462-4C72-4E2C-9476-BFEF2E371D65.htm

[11]- يجدر الذكر أن منتدي باو حول الدين و الحياة العامة "Pew Forum on Religion and Public Life" قام بدراسة، جاءت بعنوان "خريطة المسلمين في العالم" وحاولت رصد و الحصول على أشمل صورة ممكنة عن السكان المسلمين في العالم، معتمدين على بيانات وإحصائيات سكانية والتوقعات المتعلقة بذلك، ليخرج الفريق بما وصفوه "أكبر مشروع من نوعه حتى الآن .و لأكثر معلومات يرجى تصفح الموقع الخاص به : http://pewforum.org/docs/?DocID=450 و عن الاحصائيات التي خصت الدين الاسلامي موجودة في :

http://pewforum.org/newassets/images/reports/Muslimpopulation/Muslimpopulation.pdf

[12] - Summary: **A Symposium on Religious Conflict in Nigeria ; May 8, 2007** p 1
http://www.cfr.org/content/meetings/nigeria_symposium_summary.pdf

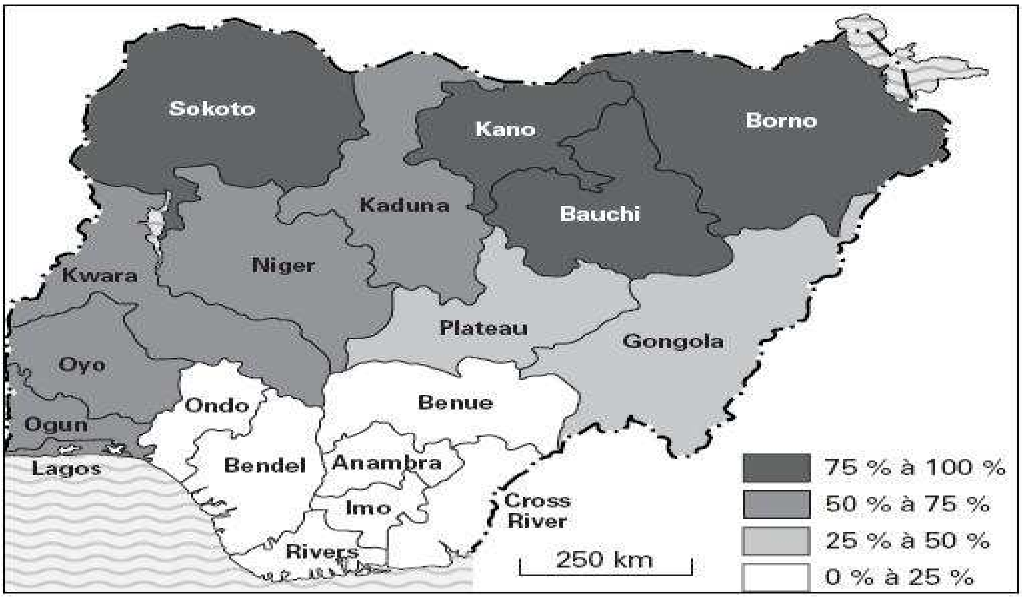

خريطة توزيع المسلمين عبر الولايات النيجيرية

المطلب الثاني : السوابق التاريخية لمشكلة الصراعات الاثنو_دينية في نيجيريا المتعلقة بالاستعمار والحرب الباردة من جهة و الحكم سيئ ، وتسييس الهويات العرقية والدينية من جهة أخرى.

1- الاسباب المتعلقة بالاستعمار :

نيجيريا لديها تاريخ مقلق من الاستعمار ، الذي ولد الكراهية والصراع بين المجموعات العرقية المختلفة. مهمة التصدي لبذور الصراع التي زرعت من قبل البريطانيين قد تكون معقدة فإذا حاولنا التوسع في أسباب التي جعلت للاستعمار دورا أساسيا في الصراع الديني يجب التطرق أولا لمكانة الدين الاسلامي في نيجيريا لمعرفة مشكلة الصراع الديني .

تذكر المصادر التاريخية أن الإسلام بدأ يشق طريقه إلى المناطق المعروفة الآن بـــ (نيجيريا) منذ القرن الثامن الميلادي عن طريق التجار العرب المسلمين، وازداد انتشار الإسلام وعظم أمر المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي تأثراً بنفوذ) الموحدين)، و(المرابطين) الذين أقاموا دولتهم في المغرب العربي، و لم يتمكن الإسلام من الوصول مبكراً إلى الأجزاء الجنوبية من نيجيريا، بسبب كثافة الغابات التي تفصل بين الشمال والجنوب، الذي بدأ يتعرض لهجمات البرتغاليين والبريطانيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.[13]

قد شنت بريطانيا بعد ذلك حرباً على المناطق الإسلامية في شمال نيجيريا وأخضعتها للتاج البريطاني المباشر. ثم بدأت بريطانيا في إحلال ثقافتها الغربية محل الثقافة الإسلامية التي كانت سائدة في المجتمعات الإفريقية، و قدكانت السياسة البريطانية التعليمية ذات أهداف تبشيرية، هذه السياسة أدت إلى ظهور مدارس وكليات وجامعات من الطراز الغربي،

[13]- رياض(محمد) عبد الرسول (كوثر)، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة** ،(دار النهضة العربية بيروت ،لبنان،الطبعة الثانية) ص 450 .

وأفرزت هذه الجامعات نخبة جديدة تقبل التعامل مع المستعمر بشكل أو بآخر تحت مسميات ومصطلحات تحديثية مختلفة، وجرى تشجيع هؤلاء (المتغربين) على خلط قليل من الإسلام بالعلمانية لكي يتمكنوا من مخاطبة الجماهير المسلمة حسب المنظور الغربي.

لقد صاحب هذا الاستعمار وصول بعثات تبشيرية مسيحية إلى مناطق الجنوب التي تسكنها قبائل (اليوربا) و (الإيبو) وغيرهما، مما أدى إلى انتشار المسيحية في تلك المناطق في إطار المخطط التبشيري والاستعماري الذي وُضع لتحقيق هدفين :

1ــ نشر المسيحية لتوظيفها في إيجاد قدر من التعاطف والولاء بين النيجيريين المسيحيين وبين سلطات الاحتلال البريطاني الأجنبي استناداً إلى وحدة الشعور الديني.

2ــ تشتيت وتمزيق الشعب النيجيري بإظهار المسيحيين طبقة متميزة ومقربة من سلطات الاحتلال.

ومازالت نيجيريا تتعرض حتى اليوم لضغوط من قبل البعثات التبشيرية التي تدعمها الحكومات ومجلس الكنائس العالمي[14] مما ادى ارتفاع المسيحية بشكل كبير من نحو عشرين في المئة من السكان في عام 1950 إلى نحو ثمان وأربعين في المئة اليوم. هذه الزيادة في الأعداد أدت الى زيادة المشاركة المسيحية في الحياة السياسية في نيجيريا [15]، فبمبادرة الكنائس زاد عدد المسيحيين في نيجيريا في الفترة من 1 في المئة من السكان قبل قرن من الزمان على نحو 40 في المئة الآن ولعل زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلى نيجيريا عام 1982 ومن بعده الأسقف كانتربوري دليل على تركيز المؤسسات التبشيرية على الساحة النيجيرية.

وقد أفلح الاستعمار البريطاني في بذر بذور عوامل الفرقة وترسيخ الصراع الديني في نيجيريا مما جعل المجتمع يبدو وكأنه مجتمعان منفصلان لكل منهما ارتباطاته التاريخية والحضارية، شمال وجنوب[16]. فقد أوجدت بريطانيا في ستينات القرن الماضي دولة نيجيريّة مصطنعة ضمت حوالي 250 مجموعة عرقية تتكلم لغات مختلفة وقد عملت الحدود الإدارية التي أوجدها الحكومة البريطانية الاستعمارية على تعميق الخلافات بين المجموعات العرقية المختلفة. كما أن المناطق الجغرافية النيجيرية المترامية، والأوضاع البيئية المناخية المختلفة حدت من التفاعل بين المجموعات المختلفة وأوجدت ثقافات وأوضاعا اقتصادية متنوعة. إذ لم يكن النظام المفروض من الحكم غير المباشر في نيجيريا المقدم من قبل اللورد فريدريك Lugard الآلية المناسبة لإدارة العداوات القبلية في المستعمرة. فالنظام لم يعمل فقط على تعزيز الانقسامات العرقية "، كما ورد عن Nnoli، Okwudiba. بل أن استراتيجية الحكم هذه عززت الجماعات العرقية ضد بعضها البعض. منحت السلطة للحكام التقليديين الذين استخدموه فسادا في القرى لجمع

---

[14] - ISOLA(JUSTINE);**One Nation Under Gods**; INTERVIEWS FEBRUARY ARTICLE TOOLS sponsored by: **The Atlantic** 19, 2008. http://www.theatlantic.com/doc/200802u/nigeria-islam-christianity#

[15] - Summary: **A Symposium on Religious Conflict in Nigeria** Op ;Cit p 1

[16]- رياض(محمد) عبد الرسول (كوثر)، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة** المرجع السابق الذكر ص 452 .

الفصل الثالث

الثروة والأراضي وإنشاء شبكات الولاء ، والتي شجعت القبلية والمحاباة ، على المدى الطويل مازالت نيجيريا تعاني منها حتى الآن.[17]

أما الفصل بين المستعمرة النيجيرية والتي عززتها القوانين الاستعمارية فقد حدت من التنقل المسيحيين الجنوبيين إلى الشمال المسلم ، وخلق تسوية منفصلة لغير المواطنين من السكان الأصليين في الشمال ، وحتى الحد من شراء الأراضي واحدة من خارج المنطقة الخاصة. وأصبح التحامل و الكراهية منتشرة في المحافظات ومختلف الجماعات العرقية التي بدأت تبحث كل منهما على الاخرى بشكل مريب في جميع مجالات الاتصال. فعدم المساواة والمعاملة التفضيلية للمجموعات العرقية هي المسؤولة عن المنافسة الشديدة في المجتمع النيجيري. فهي التي خلقت التفاوت في التحصيل التعليمي ، واتسعت الفجوات السياسية والاقتصادية بين شمال وجنوب نيجيريا و بالتالي بين المسيحيين و المسلمين.[18]

كان كل هذا نتيجة تغدية الفترة الاستعمارية للروح الانفصالية، فقد أصر الاستعمار على أن يذكر الفرد بهويته الاثنية و القبلية فكل بعثة تبشيرية لها مجالها القبلي و لها اقليهما الجغرافي الذي تمارس خلاله نشاطها ،مما خلف الشعور بأنفسهم كمجموعة متميزة و إن كان موجودا من قبل إلا انه قد زادت عن قبل، و هو ما عمل على زيادة التوترات و الحساسيات بين الجماعات الاثنية كما فرض انقساما على جميع الاصعدة خاصة تلك التي تتعلق بانظمتهم السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

2- تحديد العوامل التي أدت إلى تسييس العرقية والهويات الدينية في نيجيريا ، والتي تشمل :

- وجود اثنين أو أكثر من المجموعات العرقية والدينية ذات القوة العددية التي يمكن أن تؤثر تأثيرا كبيرا على اتجاه و نتائج العملية السياسية الديمقراطية.
- اتخاذ كل من العرق والدين وسيلة لإضفاء الشرعية على الهيمنة في الحالات عندما تتعرض مصالح الطبقة السياسية للتهديد.
- عندما يكون هناك صعود للفكر المتطرف الداخلي ذو مغزى سياسي لجماعة دينية أو اثنية فانها تكون قادرة على إزاحة الهيمنة .[19]

---

[17] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria**: **Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s**.Op,Cit p 5.

[18] - Ibid p 6.

[19]- M.A. Kwaja(Chris); **Strategies for [Re]Building State Capacity to Manage Ethnic and Religious Conflict in Nigeria;** Centre For Conflict Management and Peace Studies: *The Journal of Pan African Studies*, vol.3, no.3, September 2009 p 107 .

- عندما يكون مجتمع يتميز بالمصاعب السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية فإن ذلك يسبب التحالفات العرقية والدينية على طول خطوط الصدع.

في هذا الموضوع نجد أن العوامل الاقتصادية قد حددت بوصفها واحدة من الأسباب المهمة للصراع في نيجيريا فالعلماء يعتقدون ان التنافس على الموارد الشحيحة هو القاسم المشترك في معظم الصراعات الاثنو- دينية الحاصلة في نيجيريا ففي المجتمعات المتعددة الاثنيات كنيجيريا ، الطوائف الاثنو-دينية تتنافس بعنف على الممتلكات والحقوق والوظائف والتعليم واللغة والمرافق الاجتماعية ومرافق الرعاية الصحية الجيدة. في دراسة Okwudiba Nnoli اعطت أمثلة تجريبية تربط بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية للصراع الاثني\الديني في نيجيريا. وفقا لـــ J.S. Furnival ، التي ورد ذكرها في Nnoli " القوى الاقتصادية تعمل لجعل التوتر بين المجموعات ذات المصالح المتضاربة." [20]

وبشأن هذه الصراعات أيضا، يشير بعض الخبراء بأصابع الاتهام إلى عدم التكافؤ في توزيع الثروات. ففي نيجيريا، ثاني قوة اقتصادية في القارة الإفريقية، يعيش نصف السكان تحت خط الفقر. ويشرح **باسكال درووه** و هو مؤرخ مختص في القارة الإفريقية أن "الجنوب، حيث تعيش أغلبية مسيحية، يتميز ببنيته التحتية وثرائه النفطي. أما الشمال، حيث تعيش أغلبية مسلمة، فهو أشد فقرا. وهذه المشكلة الاقتصادية والاجتماعية تسوّد تاريخ نيجيريا منذ 40 عاما.قد تكون خلفية للصراعات في البلاد"[21]

- سببا مهم آخر من الصراعات الاثنو-دينية هو العامل النفسي ، وخاصة الخوف وانعدام الأمن بين الجماعات العرقية خلال فترة انتقالية ، فقد أشار الكثير إلى أن المتطرفين بناء على هذه المخاوف يعملون لاستقطاب المجتمع وبالإضافة إلى ذلك ،فذكريات جراح الماضي تعمل على تضخيم هذه المخاوف[22]. هذه التفاعلات تؤدي لإنتاج خليط سام من الريبة والشكوك التي تؤدي الى اعمال عنف اثنية و دينية و منها الخوف المجموعات المسيحية مثلا من تطبيق الشريعة الاسلامية ليس فقط في الشمال و انما في كامل نيجيريا .

- الهشاشة المؤسسية لمؤسسات الدولة من حيث قدرتها والقدرة على إدارة التنوع ، والفساد ، وازدياد التفاوت بين الأغنياء والفقراء انتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ، التدهور البيئي ، وصراعات على الأرض

[20] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria**: **Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s** Op;Cit p 4.

[21]- **Christian-Muslim Mix Is Boiling Over in Africa ;** Ripples from Sept. 11 Attacks Reaching Farther 2001-10-20; "zenith" pdf ;p 1 -http://www.zenit.org/phpdf.php

[22] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria**: **Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s** Op;Cit p 5.

و وفقا لـــ Lake و Rothschild ، الصراع الاثني هو علامة على وجود دولة ضعيفة أو دولة متورطة في الولاءات القديمة. رغم كون نيجيريا قوة إقليمية عظمى "" ، وعضو مفتاحي او جوهري للاتحاد الأفريقي والجماعة الاقتصادية ل دول غرب إفريقيا (ايكواس) ، فهذا لا يكفي للقول أنها دولة موحدة ذات تجانس داخلي [23].

فقد تم ربط بعض أسباب الصراعات الدينية العنيفة التي تفاقمت الى حد كبير في نيجيريا منذ تتويج الحكم الديمقراطي في عام 1999. نتيجة لفشل الدولة في نيجيريا لترقى إلى مستوى المسؤولية الرئيسية توفير الأمن والرفاه لمواطنيها. و هو ما تم التطرق إليه بالتفصيل من طرف باحثين في الصراعات الداخلية و الحروب الأهلية منهم Fox و Ted Gurr باستخدامهم لتحليل الدول الفاشلة و قابليتها لاستضافة الصراعات الى عقر دارها .

وهكذا ، نتيجة لجميع هذه الأسباب، فإن الدولة حسب Rotberg يستهلكها العنف الداخلي ، وواقع الحال هو ان المواطنين فقدوا الثقة في قدرة الدولة على حد سواء لإدارة التنوع الديني والعرقي من ناحية ، وتوفير الحماية لهم من ناحية اخرى ، لذلك فإن معظمهم يلجأ إلى مصادر بديلة للأمن ، والتي تقدمها الجماعات الاثنية الدينية كوعاء يضمن الخصوصية الاثنية و الدينية و يضمن بالتالي الأمن الذي يخلق الولاء و الذي بدوره يقوى الجماعة ضد غيرها من الجماعات أو ضد الدولة .

المطلب الثالث : الوجه الآخر للصراع في نيجيريا : " البعد الديني "

كما و سبق الاستنتاج أن المجموعات الاثنية تعرف بأنها جماعة من الناس الذين يتقاسمون الخصائص الثقافية و الدينية واللغوية بما في ذلك التاريخ ، والتقاليد ، وأسطورة ، والأصل و من هنا السؤال الذي نحاول طرحه هل الصراع بين الشمال و الجنوب في نيجيريا هو صراع اثني فقط أم أنه ديني بالأساس؟ بمعنى هل حقيقة الصراع بين المسيحيين والمسلمين هو صراع عرقي طغى على السطح تحت مظلة قضية دينية [تطبيق الشريعة] . أم أنه صراع ديني حقيقي ؟ حسب الخلفية التاريخية التي زودتنا عن معلومات أساسية فيما يخص التركيبة الاثنية و ما أنتجته من صراعات اثنية وانقسامات اثنية و جهوية ودينية معقدة ومركبة ، فإن الصراع لا يقوم فقط على البعد الجغرافي، ، بل يتعداه الى ديني و اثني ، ففي الشمال توجد قبيلة الهوسا / الفلاني المسلمة ،وفي الجنوب الغربي هناك اليوربا المسيحية وفي الشرق هناك قبائل الأيبو... الخ و هو ما زاد في تعقيد تلك الصراعات و حال دون إمكانية تصنيفها إما في خانة الصراعات العرقية أو الدينية .

بالرجوع الى الأحداث و الصراعات المتلاحقة في نيجيريا يستطيع الباحث أو المهتم بمثل هذه القضايا أن يميز مرحلتين للصراع ،المرحلة الأولى تمتد من نهاية عصر الاستعمار و إعلان نيجيريا دولة مستقلة إلى غاية التسعينات ففي هذه المرحلة و رغم الكلام عن الديانتين الإسلامية و المسيحية السائدتين في الشمال و الجزء الجنوبي على التوالي من

[23] - A. JOHN(IME); Z . MOHAMMED (AMINU); D . P INTO (ANDREW); A . NKANTA (CELE S T INE):" **Gun Violence in Nigeria: A Focus on Ethno-Religious Conflict in Kano**"; Journal of Public Health Policy (2007) VOL. 28, NO. 4 , 420–431/pdf p 421.

البلاد. إلا أن المشكلة لم تكن في الدين و لم يكن الدين بحد ذاته ليؤدي إلى انفجار العنف. إلا أن توجه الجنوب نحو الأفكار الغربية أوجد عدم مساواة اجتماعية اقتصادية وقوى التبعيات العرقية عبر خطوط دينية. نتيجة لذلك، بدأ الإعراب عن توترات أخرى وإبرازها يأخذ تعابير دينية، وفي نهاية المطاف بدأ اللاعبون الرئيسيون في الصراع يستخدمون الدين للحصول على الدعم السياسي .وكانت دوافعهم لا تنطلق من حماية الخصوصية الاثنية و الدينية لكل جماعة بقدر ما كانت صراعات تحركها دوافع سياسية نابعة من تخوف كل جماعة او طرف من الطرف الآخر و الذي قد يحكم السلطة أو يتحكم في الثروات و النفط في البلاد و في هته الفترة نستطيع تأكيد أن الصراع بين المسلمين و المسيحيين هو صراع إثني مسيس بالأساس تحت غطاء ديني و هنا لا يلعب العامل الديني أية تأثير على مجريات الصراع النيجيري إلا كونه ورقة سياسية رابحة تستخدمها بعض الجماعات التي تريد كسب الشرعية و التأييد الجماهيري حيث أضحى الخطاب الديني، بشقيه الإسلامي والمسيحي، أحد أدوات التعبئة والتنافس على السلطة، وهو ما أضفى على علاقة الدين بالسياسة طابع التعقيد والتشابك الشديد في ظل الانقسام الحاد الذي تطرحه الخبرة النيجيرية.وهو ما أكده و باجماع بعض العلماء و المختصيين في دراسة الصراعات في افريقيا و الذين ظلوا يحاولون وضع أنهج نظرية للصراع الإثني لفترة طويلة ، مثل Donald Horowitz, و Ted Gurr, و Donald Rothschild وEdward Azar و اتفقوا على أن الصراعات الإثنو-دينية المختبرة اليوم -- ولا سيما في نيجيريا -- هي عميقة الجذور. هذه الصراعات القائمة على الدين واللغة والهوية وأصبحت على درجة من التعقيد يصعب التفرقة بينها و بالتالي حلها أو إدارتها ، أما الدين فله تأثير قوي على مكانة الفرد في المجتمع ومع ذلك ، الدين لم يكن القضية المهيمنة على الساحة السياسية على مدى السنوات القليلة الماضية بسبب وجود اتفاق لإقتسام السلطة ، أو "التسوية الكبرى ،" مما أدى الى تحييد فعال لهذه المسألة.لذلك غالبا ما تكون الصراعات الاثنية النيجيرية بسبب محاولة لتأمين المزيد من السلطة أو الوصول إلى المزيد من الموارد أو الهيمنة أو حتى محاولة الاعتراف بمكانتها في المجتمع [24]. وترى دراسة أولئك العلماء أن الصراع في نيجيريا هو مرادف للعدم المساواة. حيثما ظهر التفاوت بين هذه الجماعات ، أدى إلى صراع حتمي و هو اعتراف بأن نيجيريا في تلك الفترة كانت صراعاتها نابعة من غياب المساواة و التقسيم الغير العادل للثروات بين الشمال المسلم الرعوي و الجنوب المسيحي النفطي لا أكثر و لا أقل .

أما المرحلة الثانية فهي تمتد من التسعينات و حتى بداية 2010 أين برزت في هذه الفترة متغيرات و مستجدات أخرى – خاصة استبدال الحكم العسكري بالمدني في 1999 و تطبيق الشريعة الإسلامية على عدد من الولايات الشمالية لنيجيريا في 2000 و التي استمرت أثارها الى غاية انجاز هذا البحث – كل تلك العوامل عملت على نقل المكون الديني نقلة نوعية من مجرد عامل ثانوي الى عامل تفسيري و محوري تقريبا في جميع الأحداث الواقعة منذ تسعينيات القرن الماضي الى غاية يومنا هذا و تزامن هذا التغير أو البروز مع صعود الموجة الدينة كقوة لا يستهان بها

[24] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria: Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s** Op;Cit p 2-3 .

الفصل الثالث

في مسارات العلاقات الدولية ككل سواء الاكاديمية منها[أطروحة هنتغتون و بروزه جعله يأخذ مكانة الأولى بعد أن كانت العوامل الاثنية كاللغة و العرق تحتل الصدارة] أو الواقعية [مع تنامي التيارات الدينية و الأصولية ليس فقط الاسلامية حتى اليهودية و المسيحية و تأثيرها في تحرير كم معتبر من الصراعات التي أخذت وصف صراعات ما بعد الحرب الباردة بامتياز] وظهور قوة الهويات الدينية في جميع أنحاء العالم ، سامية والعداء للسامية حول العالم والدور الكبير الذي تضطلع به الجهات الفاعلة من غير الدول ، جميع هذا كان قائما بالتعاون مع العولمة قد حول جانبا من المشهد الاجتماعي لنيجيريا التسعينات وأصبح دينيا ، التحول سريع الحركة من الصراع الاثني الى الصراعات الدينية أصبح من السمات المشتركة للعلاقات بين المجموعات كما أن كل تحليل للصراعات في نيجيريا ضمنيا كان أو صريحا له الجوانب الدينية ، لسبب بسيط هو أن الدين هيمن على الحياة في التسعينات.[25]

إذا ما حاولنا إثبات أن الصراع في نيجيريا حاليا يأخذ طابعا دينيا في هذه الفترة فما علينا إلا تتبع الاحداث و الاشتباكات الواقعة بين المسيحيين و المسلمين منذ التسعينات الى غاية 2010 فانطلاقا من الحقائق التالية نجد أن :

- نيجيريا من الواضح أنها الدولة النموذج في استيعاب خطوط الصدع العرقية والدينية فعلى الرغم من التفاؤل الشديد بعد اعلاء الحكم الديمقراطي في نيجيريا في عام 1999 الذي كان من شأنه أن يحول دون الصراعات الإثنية والدينية أو يعمل على الأقل على احتواءها ، شهدت البلاد عنفا دينيا شديد المستوى ادى الى عواقب وخيمة إذ أصبحت الصراعات الدينية العنيفة أسلوب العمل الجماعي من قبل الجماعات الاثنية والدينية المختلفة في نيجيريا في السنوات العشر الماضية ، بالتالي فالأساليب الصراعية بدلا من التعاون أو المساومة برزت بوصفها 'الخيار الرشيد' ، مما خلف خسائر في الأرواح وتدمير الممتلكات الهائلة للجانبين المسيحي و المسلم.[26]
- يجب القول أن الهويات الدينية لم تصبح فقط قوية وعاملا حاسما في العلاقات بين المجموعات الاثنية ، بل و أيضا من العوامل القوية لتحديد الهوية الاجتماعية في نيجيريا ، فمن الصعب اقتلاع أساس جذور الدين و التدين والأصولية الدينية في نيجيريا على النحو المذكور سابقا، الدين من اللبنات الرئيسية لبناء وإعادة البناء دولة الإسلام والمسيحية ، فكلاهما يسعى الى توسيع و دعم القاعدة الجماعية [27] .
- جميع أشكال الحياة الاجتماعية في نيجيريا تتم من خلال " الدين" والتنشئة الدينية الداخلية ازدهرت على نطاق وطني مع الهوية العرقية والمواطنة وأصبحت أكثر تعقيدا لتحليل في بعض الحالات، فرغم أن الوعي

---

[25] -Ibid p 8 .

[26] - M.A. Kwaja(Chris); **Strategies for [Re]Building State Capacity to Manage Ethnic and Religious Conflict in Nigeria** Op;Cit p 105 .

[27] - Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria: Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s** Op;Cit p 10 .

العرقي هو أساس الطلب ، إلا أنه في بعض الحالات الأخرى يكون الوعي الديني هو الأقوى ، في كلا الحالتين لعب الدين دورا هاما في ذلك البناء. فالعلاقات المتبادلة تم تعريفها أكثر بالانتماء الديني والالتزام به ، و الذي بدوره ترجم الفرص الاقتصادية والسياسية لأتباعه و جميع هذه النتائج المترتبة كانت لمزيد من الاشارة الى ان النيجيريين و نيجيريا مبنية على مجموعات متنوعة و مختلفة ثقافيا ودينيا.

- يعتبر كل من John N. Paden, Clarence J. Robinson أساتذة الدراسات الدولية في جامعة جورج ماسون أن نيجيريا تعد حقا حالة اختبار لــ' الصدام بين الحضارات ، " هناك ارتفاعا في أعمال العنف بين المسيحيين والمسلمين ، لذلك فالتعاون بين الأديان هو حجر الزاوية في الدولة النيجيرية الحديثة التي تأسست على تسوية سياسية بين الشمال والجنوب واتفاق تقاسم السلطة و ترتيب تحولات منصب الرئيس بين الشماليين والجنوبيين ففي انتخابات أبريل 2007، تم استبدال اولوسيجون اوباسانجو Christian southerner وهو مسيحي من الجنوب ، من قبل عمر يارادوا Umaru Yar'Adua من الشماليين المسلمين. [28]
- العلاقات بين المجموعات في نيجيريا تظهر مدى سلبية الثقة بين المجموعات التي تتشارك الهويات غير محددة بالدين ، في حين أن العكس من ذلك ، تظهر مدى إيجابية الثقة داخل المجموعات التي كان يحددها الدين ، لذلك يميل المواطنين النيجيريين أن يعبروا عن انفسهم عن طريق العرق والمنطقة ، وفي الآونة الأخيرة ، عن طريق الدين رغم أنه الدين ليس سوى واحدة من العديد من الهويات النيجيرية، فكثير من هذه الهويات فقدت قدرتها التأثيرية و هو ما تم التطرق له في ملاحظة Paden ، " يتم استهلاك طبيعة الهوية الدينية لغياب تأثير الهويات الأخرى" [29] والعنف داخل الدولة النيجيرية استجاب للتروح الداخلي للقيم الواقية والمؤسسات الاجتماعية نظرا للتداخل الصلات القائمة بين الثقافة والدين والهويات العرقية ، وتعزيز طبيعتها ، فالهوية الاثنية أصبحت صارمة يحددها الدين، المجموعات العرقية الأخرى أضحت أكثر ارتباطا مع المجموعات التي ينظر إليها على أن لها هويات دينية مشتركة ، وذلك عن طريق تضامنها ، ولائها ، والأهم من ذلك الاستعداد للتعبئة وخوض الحروب لمثل هذه الجماعات الدينية تزايد.

في ضوء ذلك ، الولاء والانقسامات العرقية أو الدينية يجري حاليا وضعها ،فوق الدولة ، في ضوء حقيقة أن الناس يفضلون أن ينظر إليهم أو يوصفون على أساس انتمائهم الى جماعات عرقية أو دينية بدلا من وضعهم كمواطنين من نيجيريا. و هو ما أشار إليه F.Jenkins الاستاذ في جامعة بنسلفانيا الحكومية في مقالة مجلة الايكونمست (الاقتصادي) قال فيها: ان النزعة العالمية نحو العلمانية قد توقفت وربما حصل اندفاع بالاتجاه المعاكس. وقال أيضا ان دراسة لدور الدين في القرن الماضي سيظهر جلياً انه لعب دورا بناء وهداما في الشؤون الانسانية، كما انه كان عاملا

---

[28] - Summary: **A Symposium on Religious Conflict in Nigeria** Op ;Cit p 1

[29] - Ibid p 3.

هاما في تحقيق الحرية والالتزامات السياسية علاوة على دوره في تحديد مفاهيم الدولة والحرب والسلام. ثم يقدم الكاتب إحصائيات لدراسة آجراها في نيجيريا تبين ان النيجيريين يؤمنون ان الدين أكثر أهمية لهويتهم من الوطنية أي أنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين او مسيحيين اولا ثم نيجيريين . [30]

و نخلص أنه في ظل الظروف السياسية غير المستقرة والأوضاع الاقتصادية والأمنية المتردية احتل الدين وبشكل غير مسبوق مكانًا بارزًا على مسرح الأحداث النيجيرية، ولقد بينا أنه و بعد استقلال برزت العرقية والإقليمية في الصراع داخل نيجيريا، إلا أن ذلك لم يعنِ غياب العامل الديني في الصراع كلية ، بل برز هذا العامل في:

- محاولات كل جماعة إسلامية أو مسيحية أو وثنية للتخلص من هيمنة الجماعة الأخرى، إذ انتشرت بعض الحركات والتنظيمات الدينية على الجانبين الإسلامي والمسيحي. كان من أظهر الجماعات والتنظيمات الإسلامية الموجودة التي حاولت تعزيز نفوذ ومصالح أتباعها [31] منها "جماعة نصر الإسلام" كانت تهدف إلى نشر الإسلام وتوحيد الجمعيات الإسلامية تحت مظلة واحدة، ونشر التعليم الإسلامي بين المسلمين، و قد أعيد تنظيم الجماعة وتفعيل أنشطتها ليتم إنشاء "المجلس النيجيري الأعلى للشئون الإسلامية"و هناك "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" "وجمعية الطلبة المسلمين".

في الجانب المقابل قامت بعض الكنائس المنضوية تحت "المجلس المسيحي النيجيري" بإنشاء "اتحاد الكنائس النيجيرية" ، وهو الأمر الذي اعتبره البعض رد فعل على إنشاء "جماعة نصر الإسلام" بعد عامين من إنشاء "المجلس النيجيري الأعلى للشئون الإسلامية"- تمكنت الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية في نيجيريا من إنشاء "الرابطة المسيحية النيجيرية" لتكون أساسًا لوحدة الكنيسة، وإطارًا للعمل المشترك ونشر العقيدة المسيحية ، أيضًا ظهرت العديد من الحركات والتنظيمات ومن بينها: "جمعية مملكة الرب" وحركة "إخوان النجمة والصليب"، وحركة "المولود من جديد"، وحركة "الأحد الأفضل" وكلها حركات وتنظيمات تتخذ مواقف متشددة من الطرف الاسلامي و ظلت العلاقة بين الطرفين تخضع لإستراتيجية الفعل و رد الفعل .

- من مظاهر التعصب الديني و اللغوي المنتج للصراع المزمن بين القبائل -في هذا البلد العملاق العضو في المؤتمر الاسلامي و ذي الاكثرية الاسلامية- هو ما يعرف على هذا البلد من عدم استقرار منذ نصف قرن تقريبا و الذي ازدادت حدته في السنوات الأخيرة بسبب المنظمات المسيحية و الحركات التبشيرية ذات الاتصالات الخارجية لإستفزاز مشاعر المسلمين و ذلك بالطعن في مصداقية الرسول محمد و تحريف آيات القرآن

---

[30] - M.A. Kwaja(Chris); **Strategies for [Re]Building State Capacity to Manage Ethnic and Religious Conflict in Nigeria** Op;Cit p 108-109 .

[31]-توجد في نيجيريا جماعات عديدة مهتمة بالعمل الإسلامي، على رأسها: جمعية تعاون المسلمين، وجمعية تضامن المسلمين، والمجلس الإسلامي، وجماعة التجديد الإسلامي، وجماعة الأمة، ، وجماعة الوحدة الإسلامية، ، والمجلس الأعلى لتطبيق الشريعة الإسلامية، وجمعية نصر الإسلام، ومجلس أهل السنة والجماعة، وجمعية الأخوة الإسلامية الشيعية.

الكريم[32]. و في هذا الإطار قام المسلمون تحت قيادة جماعة نصر الاسلام بالرد على الهجوم الاستفزازي الذي قامت به هذه الجماعات المسيحية و ذلك بشرح القضية على حقيقتها لرفع اللبس الناتج عن المغالطات التبشيرية.

- من المواقف التي زادت من الاختلاف و التوتر بين المسلمين و المسيحيين كانت تطبيق الشريعة الاسلامية في بعص الولايات الشمالية و قد كانت لهذه القضية في الواقع أصداء للصراع القديم ، إلا أنها لم تشعل فتيل الصراع إلا بعد أن اعتمد حاكم ولاية زمفرا (Zamfara) إحدى الولايات النيجيرية الـــ 36عن تطبيق الشريعة الإسلامية في **قانون العقوبات** ، في العام 2000. وهي الخطوة التي تبعها إعلان أحد عشر ولاية أخرى في الشمال عن تطبيق الشريعة. مما دفع ذلك إلى ظهور خطاب جديد أطلق عليه علي مزروعي اسم "Shariacracy"، لوصف حالة تطبيق الشريعة في ظل نظام رئاسي رغم أن القائمين على تطبيق الشريعة طرحوا إطاراً تفسيرياً عاماً للدوافع الحقيقية وراء خطوة تطبيق الشريعة الإسلامية إذ ترى بعض التوجهات الفكرية في عملية تطبيق الشريعة محاولة انتهازية من جانب النخب الفاسدة في الشمال، والتي أرادت من خلال التوظيف السياسي للإسلام أن تستعيد مكانتها السياسية في أعقاب انتخاب رئيس مسيحي من الجنوب عام 1999 كما أنها اوضحت مرارا وتكرارا أن مثل هذه القواعد تخضع المسلمين دون غيرهم. إلا أن الجانب المسيحي لم يستسغ هذا القانون و اعترض عليه[33].

يمكن القول: إن محاولات تطبيق الشريعة من جانب المسلمين في نيجيريا اثارت مخاوف المسيحيين، لأنها قد ينظر إليها على أنها تشكل تهديدا المسيحيين المشكلين لأقلية دينية في شمال نيجيريا و لم يمنعهم من رفض تطبيق الشريعة الاسلامية في اثني عشر مقاطعة ، إذ كانت هناك حالة رعب بين المسيحيين من الوضع الإسلامي في شمال نيجيريا، سواء من حيث درجة انتشار الإسلام أو نمو المطالب بالعودة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، فالمخاوف من توسيع دائرة الشريعة إلى ولايات أخرى في منطقة الجنوب الغربي أو الحزام الأوسط مثلا كانت من أقوى دوافع الحملات الهجومية على الوجود الإسلامي في المنطقة كما أذكت من مخاوف الأقلية المسيحية والعرقية والقبلية التي تتشبث بالأصالة والوطنية والأقدمية في بعض المدن والولايات الشمالية مثل كادونا وولاية نيجر وولاية كوغي وغيرها، بل يصرون من جانبهم على ضرورة المحافظة على علمانية الدولة وفقا لنشرة تشرين الاول من ان لجنة مراجعة الدستور الرئاسية نيجيريا قد نصح الحكومة الاتحادية لوقف اعتماد الشريعة الاسلامية في ولايات الشمال. في الباب 10 لعام الدستور 1999 "**التي تمنع حكومة الاتحاد أو أيًا من الولايات من تبني أحد الأديان كدين للدولة وعدم تحيزها إلى أي ديانة**" وأشارت اللجنة إلى أن اعتماد الشريعة أدى النيجيريين إلى التساؤل عما إذا كانت أبواب الدستور قد انتهكت، وشجعت لجنة الحكومة الفيدرالية لإثبات "**أن حرية الدين هي المكفولة دستوريا والحق يجب أن يكون**

32- بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** المرجع السابق ذكره ص 191 .

33- منتدى طريق الايمان للدعوة الى الله ، إعداد-الدعاة-لمواجهة-التنصير - **المسلمون في مواجهة التبشير في نيجيريا**

http://www.imanway.com/vb/forumdisplay.php?59

هناك فصل بين الدين والدولة ".[34] لذلك فمعظم المسيحيين يتهمون الرؤساء السابقين من أبناء شمال البلاد بالتدبير والمحاولة لأسلمة نيجيريا وإعلانها دولة إسلامية خالصة.

كما تعد مسألة عضوية نيجيريا في منظمة المؤتمر الإسلامي ومجموعة الدول الإسلامية الثماني من القضايا الطائفية التي أحدثت اضطرابا دمويا ساخنا في السنوات الماضية. كل هذه الأحداث فتحت الباب واسعًا أمام التحيزات و التوترات الدينية ، و مع رفض المسيحيين لتطبيق الشريعة الاسلامية في الشمال دخل المسلمين و المسيحيين في صراع دموي خلف أكثر من ألفي قتيل ابتداء من سنة 2000 الى غاية أواخر 2002 وتزامنت تلك الاحداث مع وصول أوليسيجان أوباسنجو المسيحي الى سدة الحكم .[35]

فالصراعات الدينية المتعددة في المدن الشمالية من ولاية Kaduna Kano و Jos و Zamfara كانت ناتجة عن استحداث محاكم الشريعة الاسلامية.و استمرار الصراع هو إشارة إلى أن نيجيريا تحت طائلة الصراعات الدينية . ففي فبراير من العام 2000، تحولت مظاهرة نظمها مسيحيون في جميع أنحاء ولاية كادونا شمال البلاد، للاحتجاج على الاقتراح الرامي إلى إدخال الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي ويرى محليين العاملين في مجال حقوق الانسان ان بين 2000 و3000 شخص قتلوا خلال الاشتباكات وانتقلت عدوى الصراعات إلى العديد من الولايات وتسببت في مقتل المئات في الأشهر التي تلتها.[36]

مع تفاقم الوضع بعد فرض الشريعة الاسلامية في ولاية كانو الشمالية وغيرها من الولايات ، وقعت أعمال شغب كبيرة بين المسلمين والمسيحيين كلها كانت خلفيتها دينية، فالاحتجاجات العنيفة تمت بعد غزو الولايات المتحدة أفغانستان في شباط / فبراير 2004 ، تم ذبح 67 من المسيحيين في كنيسة يلواYelwa ، وهي مدينة تقع في ولاية بلاتو ، جنوبي ولاية كانو. تلتها عملية انتقامية ضخمة من قبل ميليشيا مسيحية تسببت في مقتل عدة مئات من المسلمين في بلاتو ، باعتبارها مركزا لجماعات مسيحية في الشمال ذات الاغلبية من المسلمة ، وقد سبق و أن شهدت انخفاض مستوى التوترات الدينية ومع ذلك ، في هذه الحالة ، العنف سرعان ما امتد الى ولاية كانو ، حيث أدى إلى أعمال شغب انتقامية و نزوح أكثر من 50،000 شخص و قتل عدد غير معروف من الناس للمرة الأولى منذ بداية تطبيق القانون و هو ما تطلب من الرئيس وضع حالة الطوارئ عندما تيقن أنه غير قادر على السيطرة على العنف [37]، الحكومة النيجيرية أصدرت تقارير بأن ما يصل الى خمسين ألف حالة وفاة كانت بسبب العنف الديني منذ منتصف 1990s و في تقرير آخر قدرت الحكومة النيجيرية أن ما يقرب من 53،000 من سبتمبر 2001 وحتى

[34] - **Christian-Muslim Mix Is Boiling Over in Africa ;** Ripples from Sept. 11 Attacks Reaching Farther 2001-10-20 Op;Cit ;p 1.

[35]- ياكوب (جوزيف)، ترجمة عمر (حسين)، **ما بعد الأقليات** ،المرجع السابق الذكر، ص 151.

[36] - A. JOHN(IME); Z . MOHAMMED (AMINU); D . P INTO (ANDREW); A . NKANTA (CELE S T INE): **Gun Violence in Nigeria: A Focus on Ethno-Religious Conflict in Kano** Op;Cit p 423

[37] - Ibid p 425 .

مايو 2004 قتل في "وقوع اشتباكات طائفية" [38]

حول هذا الصراع الديني جاء على لسان إحدى الشخصيات الاجتماعية المرموقة في نيجيريا (و هو الحاج محمد عطا) انه إن لم تتخذ الإجراءات الأمنية اللازمة للحيلولة دون تفاقم الوضع الناتج عن التعصب في هذا البلد فإن الوضع أصبح مخيفا و منذرا الى الانفجار الى درجة أن الجيش النيجيري لن يستطيع أن يوقفه مما يهدد وحدة البلاد بالتمزق و الانقسام المحتوم و ذلك لأن الصراعات الاثنية و الدينية ما انفكت ان تطل برأسها بفعل عوامل داخلية متمثلة في اللاتجانس الاثني و الديني و عوامل خارجية تتمثل في إذكاء نار الفتنة و التعصب بين القبائل المتناحرة للأسباب الأخلاقية ذاتها . و كان قبل هذا التصريح بأيام قد ظهر الاتحاد المسيحي النيجيري" فرع شمال نيجيريا عضلاته علنا وذلك بإقامة صلوات سياسية مفتوحة في ساحة المهرجانات الشعبية في مدينة كادونا عاصمة الشمال المسلم .لقد استفز ذلك الاجتماع المسلمين الذين شعروا بالإهانة و التحدي من قبل من لم يكن لهم دور معروف في الماضي و إنما شكلوا شوكة في حلق الشمال المسلم . و جاء في أحد التصريحات لمجلة **كوالتي** بأن لدى المسيحيين في نيجيريا خيارين هو الخضوع لحكومة اسلامية أو تقسيم البلاد الى دولتين إحداهما للمسلمين و الأخرى للمسيحيين [39]. وفي السنوات التالية، تواصلت أعمال العنف الديني في شمال نيجيريا، مخلفة مئات القتلى كل عام ومن آخر هذه الصراعات الدامية نذكر تلك التي دارت في نوفمبر 2008 في "جوس" وسط البلاد إضافة الى التغطية الإعلامية التي لقيها الشمال النيجيري فقد أصبح محط اهتمام وسائل الاعلام لكل صغيرة كبيرة ،فكثرت البلبلة الاعلامية و توالت القضايا التي تشير بأصابع الاتهام للدين الاسلامي مها قضية أحد الشباب الذي تلقى 100 جلدة لممارسة الجنس قبل الزواج " الزنا" ، وتقارير عن منع النساء من فرق كرة القدم إنشاء لسيارات الاجرة للنساء فقط. [40] في قضية ملكة جمال العالم نيجيريا تأكد على العامل الدين و اعتباره سببا مهما في اثارة التوترات و تأتي حيثيات هذه الحادثة و التي تسببت في اندلاع المواجهات الدامية بين المسلمين و المسيحيين في ولاية [كادونا] الواقعة شمال [نيجيريا] ذات الأغلبية المسلمة متسببة في ازهاق أرواح أكثر من 250 شخص وإصابة أكثر من 1200 شخص وتشريد نحو 12 ألف شخص بعد فوز النيجيرية و أول امرأة إفريقية بلقب ملكة جمال العالم عام 2001م، مما أعطى [نيجيريا] حق استضافة مسابقة ، وقد أثار وجود أكثر من ثمانين ملكة جمال من جميع أنحاء العالم خلال شهر رمضان استياء في الاوساط الاسلامية ، وجاء هذا تزامنا مع محاولات جماعات إسلامية متعددة ـــ خاصة مع وعي مسلمي [نيجيريا] تطبيق الشريعة الإسلامية في عدة ولايات ـــ قبل أشهر في احتجاجات على إقامة المسابقة [41] ، ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير، عندما نشرت صحيفة [هذا اليوم] النيجيرية في مدينة [كادونا] مقالاً تحت عنوان [العالم تحت

---

[38] -Ibid p 424

[39] – بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** مرجع سابق الذكر ص 192- 193

[40] – Mason (Barry) and Talbot (Chris);**Religious conflicts in Nigeria**; 28 February 2000
http://www.wsws.org/articles/2000/feb2000/nige-f28.shtml

[41] -**Christian-Muslim Mix Is Boiling Over in Africa ;** Ripples from Sept. 11 Attacks Reaching Farther 2001-10-20 Op ;Cit p 2 .

أقدامهن]، وتضمن المقال إساءة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وجاء فيها [إن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان حيًّا اليوم لاختيار إحدى المتسابقات زوجة له]، هذا المقال ، أشعل الاشتباكات وتطور إلى معارك دامية، تم خلالها إحراق مكتب الصحيفة رغم تقديمها اعتذارًا أكثر من ثلاث مرات و الذي على إثره اندلعت المواجهات بين المسلمين و المسيحيين، الأمر الذي أدى بمنظمي المسابقة الإعلان عن نقلها إلى لندن بدلاً من [أبوجا].

أما مؤخرا فقد قتل 26 شخصا على الأقل وأصيب 300آخرون بجروح في صدامات وقعت نهاية الأسبوع لشهر جانفي 2010 بين مسيحيين ومسلمين في مدينة جوس وسط نيجيريا، امام اكبر مساجد المدينة. وبحسب مصادر أمنية فان المواجهات نجمت عن بناء مسجد في حي نصراوا غووم الذي تقطنه غالبية مسيحية و هو ما دعى سكرتير عام الامم المتحدة **بان كي مون** اليوم القادة الدينيين والسياسيين في نيجيريا بالتوصل لحل سلمي ونهائي للفتنة الطائفية التي تعاني منها البلاد حاليا كما اصدر المكتب الصحافي لسكرتير عام الامم المتحدة بيانا جاء فيه **"ان السكرتير العام يناشد جميع الأطراف المعنية بممارسة أقصى درجات ضبط النفس والسعي لايجاد حلول سلمية للخلافات الدينية وغيرها من الخلافات في البلاد."** [42]

الاستنتاجات :

هكذا نستخلص أن مصدر الاضطرابات و التعصب يكمن في التطاحن القائم أساسا بين المسلمين و المسيحيين و المتمثل في التسابق بين الطرفين المتصارعين نحو من تكون له الكلمة الأولى و اليد الطولى أو العليا في البلاد .عموما إن الاعتراف بأهمية دور الدين في هته الفترة لا يلغي غياب الدوافع السياسية في هذه المسألة و هو ما تم التنويه عنه من تسييس الدين و ربطه بالمجال السياسي في الفصول الماضية إذ يقول فرانسيس فوكوياما "الأصولية الدينية أدت إلى ظهور الهوية سياسية حازمة القادرة على تعبئة دعم الجمهور لقضيته... فضلا عن القدرة على اثارة الصراعات العنيفة" كما شهدنا في نيجيريا منذ تأسيس الجمهورية الرابعة من أيار / مايو 1999 إلى أبريل 2007 . و كما أشار Jinadu، أن استمرار الصراعات الإثنية والدينية التي شهدها البلاد في السنوات العشر الأخيرة ، يثير تساؤلات خطيرة حول فعالية وكفاءة الدولة ومؤسساتها في إدارة التعددية الاثنية و الدينية، عندما ينظر إلى الدولة على أنها تخدم المصالح خاصة ، لمجموعة واحدة ، فإنها تبدأ بفقدان شرعيتها ، ومع تراجع قدرة الدولة ، والخوف من الآخر يتم اللجوء إلى مستويات أخرى من التضامن الديني والعرقي والإقليمي في البحث عن الأمن.و هو ما حدث في حالة نيجيريا أين أصبحت المجموعات الدينية المرجعيات البديلة لشرعية الدولة المفقودة و يمكن القول أن السلطة في نيجيريا تحاول وضع ضوابط لتسيير التعددية الدينية الاثنية من خلال الطرق التالية :

- ✓ تصميم وتقرير تعداد السكان ، المتعلق بمسائل الهوية الدينية أو الاثنية قد قل .

---

[42]- وكالة الأنباء الكويتية: الشؤون السياسية – **بان كي مون يناشد القادة في نيجيريا حل التراع الطائفي** 20/01/2010 11:27:00
http://www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSite/ArticleDetails.aspx?id=2055929&Language=ar

- ✓ تعزيز التعاون بين الاديان من خلال انشاء لجنة مشتركة للمجلس النيجيري لما بين الديانات (NIREC) Nigeria Inter-Religious Council، الذي يتألف من القادة رجال الدين المسيحيين والمسلمين
- ✓ إنشاء لجنة الطابع الاتحادي (لجنة الاتصالات الفدرالية) في الدستور نيجيريا ، وذلك لضمان الشمولية للجميع للدولة من دول الاتحاد في التعيينات ،القبول والترقية وغيرها والتي تشمل كلا من المسيحيين و المسلمين .
- ✓ تطبيق مبدأ ترتيب اقتسام السلطة بين الشمال والجنوب ، مثلا ، اذا كان رئيس الجمهورية يأتي من الشمال ، فإن نائب الرئيس لا شك فيه يأتي من الجنوب ، والعكس بالعكس .
- ✓ التأكيد -كما قلنا في الفصلين الماضيين على أن الهويات العرقية والدينية في حد ذاتها لا تخلق الصراعات ، بل تسييس هذه الهويات. فالهويات تصبح مشكلة عند حصولها على الفرص في النظام السياسي من حيث السلطة و موارد الطاقة وتعتمد على الانتماء إلى مجموعة إثنية أو دينية معينة ، وكذلك عندما تكون الدولة ضعيفة نسبيا من حيث قدرتها على حماية مواطنيها و توفير احتياجاتهم الأساسية. التجربة النيجيرية بقدر ما تتصل بالصراعات العرقية والدينية أصبحت ظاهرة كبيرة كسياسة يتم تعريفها على طول خطوط الصدع العرقي والديني.

-التوصل الى نتيجة دور الدولة ومؤسساتها في إدارة العرقية والتنوع الديني في نيجيريا ، وأنه من الواضح أن المصالح والأهداف جميع المجموعات متابعة متجذرة في السعي من أجل الوصول إلى السلطة والفرص عن طريق المحسوبية ، التي لا يمكن إلا أن تكون حصلت من خلال استخدام هذه الأجهزة في الدولة وفي عملية خصخصة العنف ، فضلا عن التلاعب وتعبئة المشاعر العرقية والدينية التي غالبا ما تستخدم من قبل النخب السياسية.

-قد لا يعتبر الدين المفسر الرئيسي وكونه السبب الرئيسي للصراع في نيجيريا إلا أنه يضاف الى جملة الأسباب و التفسيرات المتحكمة في وقوع الصراعات الاثنو-دينية في نيجيريا بعد أن كان مستبعدا على الساحة الدولية و على هذا النحو فأسباب مثل التفاوت الاقتصادي ، والطموح السياسي ، ومشاعر الإهمال والاستبعاد ، وكذلك العرقية ، الثقافة السائدة أو الحسد اجتماعي التي تغذي الصراعات أصبحت تتم هذه في إطار ديني و الدين يستخدم كأداة في الصراع وبهذه الطريقة ،جاء الدين لتوسيع الصراعات لا سيما في نيجيريا .

-الصراعات الاثنو- دينية لا يمكن تجنبها ولكن يمكن الوقاية منها. وهذا يتطلب ضرورة لتحديد ، المصادر المحتملة للصراعات التي تهدد التماسك الوطني و يجب تحليلها بغية حلها في وقت مبكر .

-تعتبر نيجيريا مصدر لإلهام للكثير من العلماء و محللي الصراعات في العالم و هو ما ظهر في الندوة الأخيرة التي استضافها مجلس العلاقات الخارجية ،و التي درست "الصراعات الدينية في نيجيريا ،" و اعتبر خبراء نيجيريا و علماء الدين أن تقديم التنازلات السياسية قد يحافظ على الاستقرار النسبي في أكبر دولة أفريقية من حيث عدد السكان. " و

في هذا الموضوع قالTimothy S. Shah [مساعد باحث بارز في الدين والسياسة الخارجية في مجلس العلاقات الخارجية] لكي نفهم عمق المشاكل في نيجيريا ، نحن بحاجة إلى فهم ديناميات الدينية في نيجيريا"[43]
رغم ما حدث في حالة نيجيريا من حالات صراعية و محاولات انفصالية يصح مقولة Kukah الذي اعتبر ان "الوحدة الوطنية في نيجيريا يشبه الزواج الكاثوليكي قد لا تكون سعيدة لكنها لا تفريق" فرغم كل تلك التوترات و الصراعات التاريخية بين المسلمين و المسيحيين لن تستطيع فصل الشمال عن الجنوب و ستبق وحدة رغم كل شيء " هذا لا يمنع القول أن الصراع في نيجيريا صراع ذو بعد ثقافي يقوم على المكون الديني دون اقصاء البعد الهوياتي و اللغوي و القبلي وحتى الاقتصادي، فالواقع يشير الى ان الدين قد تداخل مع عوامل ظرفية كثيرة منها سياسية واقتصادية واجتماعية مسؤولة عن نشوب الخلافات واذكائها. يجب ان ينظر الى الخلافات الدينية اثناء محاولة ايجاد الحلول للاسباب الاجتماعية والسياسة والاقتصادية من اجل الوصول الى مصالحة دائمة.

المبحث الثاني : صراع دين معين ضد أتباع دين آخر المرفوق بصراع مذهبي –دراسة حالة مصغرة للصراع في لبنان

إن الأزمة اللبنانية التي عرضت طوائفه لصراع ديني حضاري لم يمس فقط أصحاب الديانات المختلفة كالمسيحية و الاسلام و إنما تعداها الى الصراع بين المذاهب المختلفة للديانتين ، من هنا تأتي أهمية الصراع في لبنان لأنه يعتبر ببساطة فسيفساء نادرة عن حالة صراع ديني متعدد الاطراف و إذا ما حاولنا الولوج الى قلب الصراع اللبناني فأول ما يخطر على أي متتبع للأحداث الجارية في لبنان سواء المعاصرة أو التاريخية منها طرح التساؤل التالي :ما طبيعة الصراع في لبنان المتسم بتعدد الطوائف.؟؟؟؟؟
لا أحد بالطبع يملك إجابة واضحة لهذا السؤال، فسواء كان باحثاً أم صحفياً أم سياسياً ذلك أن ماهية الصراع الأهلي في لبنان هي مسألة خلافية بين أطراف الصراع، فالذين يعتبرونه خلافا طائفيا-دينيا بالأساس ، تراه الأطراف الأخرى أنه يدور حول اقتسام السلطة و فيما يراها البعض داخلية الجذور فالآخر يعتبرها خارجية التأثر، ويكاد تاريخ لبنان يلقي بثقله الرهيب خلف كل حادثة، وخلف كل تفسير. و من خلال هذا المبحث سيتم طرح رؤى المؤيدة و المعارضة لاعتبار الدين و الطائفية كمفسر لكل تلك التوترات و الحروب التي مرت بها لبنان من خلال المطالب الثلاثة المكونة لهذا المبحث :

---

[43] - Summary: **A Symposium on Religious Conflict in Nigeria** ; Op ;Cit p 1

-هذه الندوة المعقودة من طرف مجلس العلاقات الخارجية كانت بالاشتراك مع Walter Russell Meadو Timothy S. Shahإضافة الى الزميل البارز للسياسة الخارجية الأميركية Henry A. Kissinger ، وهذا الحدث هو الأول من نوعه في سلسلة الندوات الدين والسياسة الخارجية وهذه سلسلة تهدف إلى إدماج دراسة الدين والسياسة الخارجية ، ويدعمه بمساهمة سخية من مؤسسة هنري لوس.

المطلب الأول : الخلفية التاريخية للتنوع الطائفي في لبنان

1- مدخل عن التنوع الطائفي في الشرق الأوسط و لبنان :

لقد نشأت الديانات السماوية الثلاث اليهودية و المسيحية و الاسلام جميعها في الشرق الأوسط و تتفرع عن هذه الديانات طوائف عدة تأثرت بفلسفات مختلفة ،و نتج عن هذا مركب من المعتقدات ، هيمنت كل موجة على الالهام الديني بيد أنها لم تستطع محو أو إزالة ما قبلها [44].و يوجد في كل بلد في الشرق الأوسط فيما عدا إسرائيل أغلبية مسلمة و في حين أن السنة يشكلون غالبية في منطقة الشرق الأوسط فإن إيران تشكل قلب و جوهر الشيعة أما الطوائف الإسلامية الأخرى و الطوائف غير الإسلامية فهي تعتبر أقليات فحسب و مازالت الإحصائيات المتعلقة بالتشكيل الطائفي لدول المنطقة موضع خلاف خاصة إذا ما تعلق الأمر بلبنان و النسب المذكورة يجب أن تعامل على أنها تقديرات فحسب [45].

هكذا فالعديد من الأقليات المسيحية تتواجد في الشرق الأوسط إذ كانوا ينتمون لطوائف عديدة عاشت في ظل الدول الاسلامية المتعاقبة في حين أن الارثذوكس يشكلون طوائف مهمة في كل من سوريا و الأردن و فلسطين بينما الموارنة و الارثذوكس ينتشرون في كل من لبنان و اسرائيل على التوالي أما النشاط السياسي للمسيحيين في المنطقة فهو مقصور على بعض الأحزاب الطائفية في لبنان [46] .

ويمكن القول أن الحياة الدينية في الشرق الأوسط و لبنان تحديدا قد أحدثت غناء و اتحاد بيد أنها أحدثت صراعا و اضطهادا على مر العصور السابقة و لغاية الوقت الحاضر فالخط الفاصل بين الدين و السياسة في المنطقة ضيق جدا كما أن العديد من الزعماء المحليين لا يترددون عن استخدام الدين كإيديولوجية سياسة شعبية و باستثناء لبنان الذي اختبر و مارس نظاما سياسيا متعدد العقائد فان كافة أنظمة الحكم في المنطقة تعتبر سنية المذهب و التنافسات ما بين الأنظمة السنية كانت ضمنية إضافة إلى أن تعالي الطائفية الدينية على الحدود السياسية كانت سببا في تضارب الولاءات و للتدخل السياسي باسم حماية المذهب الديني[47] ، فالتنافس بين المسيحيين والمسلمين كان أكثر منه من التنافس بين الشيعة و السنة من جهة و الأرثوذكس و الموارنة من جهة أخرى .

2- الخلفية التاريخية لمشكلة الطوائف الدينية في لبنان :

---

[44]- ابي عاد (ناجي) ـــ جرينون(ميشيل) ترجمة نجار (محمد) :**النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط-الناس ،النفط ، التهديدات الامنية** (الأهلية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1999) ص 97 .

[45]- نفس المرجع ص 103 .

[46] -THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** ;(paris : éditions du marketing 1995) P 89 .

[47]- ابي عاد (ناجي) ـــ جرينون(ميشيل) ترجمة نجار (محمد) :**النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط-الناس ،النفط ، التهديدات الامنية** المرجع سابق الذكر ص 113 - 115.

من بين مميزات لبنان أنه لظروف تاريخية و حضارية استقرت عليه أقليات عديدة وصلت الى أكثر من 17 طائفة مما ادى به في كثير من الاحيان الى احتضان الصراعات الداخلية.كما وأن الخلفية التاريخية الموجزة عن تاريخ لبنان الطائفي توضح بشكل كبير سبب ما آلت اليه لبنان من وضع فوضوي و صراع ديني و الذي مازالت آثاره الى اليوم إذ استخدم اسم (لبنان) لأول مرة ابتداءا من ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي ، كانت لبنان جزءا من الشام حتى عام 1943 و كان الموارنة و الدروز[48] يعيشون في جبل لبنان و كانوا يتمتعون بقدر من الاستقلالية و الحرية من الدولة العثمانية و بحلول القرن التاسع عشر بلغت استقلاليتهم لدرجة المطالبة بالاستقلال و دخلوا في حرب أهلية عام 1860 و هو ما سمح بتدخل القوى الأجنبية خاصة الفرنسيين.[49] ومع تفاقم الدور الأوروبي (خاصة الفرنسي) في منطقة الشام، الخاضعة وقتذاك للدولة العثمانية،أخذ هذا الدور منحى خطيرا مع إعلان القائد الفرنسي الجنرال غورو قيام (دولة لبنان الكبير) في عام 1920م، بعد قيام فرنسا باحتلال الجزء الأعظم من الشام في أعقاب الحرب العالمية الأولى و الهزيمة المأساوية التي لحقت بالامبراطورية العثمانية ، تم اصدار قرار في سنة 1924 من قبل المستعمر الفرنسي[50] قسّم بمقتضاه بلاد الشام حيث كوّن وبصورة رسمية كيانا مصطنعا تحت اسم (لبنان)، ويخضع للحكم الفرنسي. و هكذا فإن فرض الانتداب الفرنسي على لبنان أدى إلى تكريسه للفوارق الموجودة و دعمها في نظام سياسي لا يخدم أطلاقا المصلحة الوطنية اللبنانية و اللبنانيين[51].

المطلب الثاني : النظام الطائفي و مشكلة المحاصصة السياسية

حصل لبنان على استقلاله عام 1943م ولكن بعد أن ضمنت فرنسا بقاء النفوذ الفرنسي عن طريق تكريس حالة طائفية شاذة، تجعل منصب الرئاسة وكثير من المناصب الحساسة الأخرى حكرا على المسيحيين، خصوصا الطائفة المارونية، التي تنظر إلى فرنسا بوصفها الحليف إذ ظل بعد استقلاله محافظا على طابعة الطائفي فقد كان زعماء

---

[48] -THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** Op ;Cit p 90 .

المصالح الخارجية في لبنان حولت هذه النضالات الاجتماعية والسياسية اساسا الى صراعات دينية مريرة ، وبلغت ذروتها في 1860 الى مذبحة قام بها الدروز حوالي 10،000من الموارنة ، فضلا عن الروم الكاثوليك و الروم الأرثوذكس. هذه الأحداث عرضت فرنسا الفرصة للتدخل ، و في محاولة لمنع التدخل الفرنسي ، تدخلت الحكومة العثمانية لاستعادة النظام.و لتفاصيل أكثر في هذا الموضوع يرجى تصفح المقال التالي:

- **Lebanon Religious Conflicts** ; Source: The Library of Congress Country Studies
http://workmall.com/wfb2001/lebanon/lebanon_history_religious_conflicts.html

[49] – صادق صبور(محمد) : **الصراع في الشرق الأوسط و العالم العربي** ، (لبنان ،دار أمين للنشر و التوزيع الطبعة الأولى 2006) ص 105 .

[50] - FAKHOURY (TAMIRACE), "**LE LIBAN D'APRES GUERRE – UNE RECONCILIATION PRECAIRE QUI OSCILLE ENTRE UNE COEXISTENCE FRAGILE ET LA TUTELLE SYRIENNE**"International Conference "**FROM DEALING WITH THE PAST TO FUTURE COOPERATION. REGIONAL AND GLOBAL CHALLENGES OF RECONCILIATON**" January 31 – February 2, 2005 in Berlin p 2 .

[51] – قادري (حسين)،**لبنان الحرب الاهلية و التدخلات الخارجية**،(درا قانة للنشر و التوزيع ، باتنة الجزائر، الطبعة الأولى، 2008) ص3.

الطوائف ينظرون إلى دولة لبنان الكبير بعيون طائفية متجاهلين الأسس النظرية والعملية لمؤسسة الدولة من حيث هي شعب حر، وسلطات عصرية، وحدود جغرافية معترف بها دوليا وقد إنطلقت تلك النظرة من موقع الريبة لدى زعماء الطوائف الإسلامية التي كانت تخشى من أن تحتل مرتبة أدنى من زعماء الطوائف المسيحية في الدولة الجديدة[52].مما أبعده عن تبني تحولات سياسية و اجتماعية و اقتصادية جذرية.

1- تقاسم السلطة القائم على الأسس الطائفية :

بعد ان خلقت فرنسا كيان دولة لبنان بها أقلية كبيرة من المسيحيين لم تعترف السوريون أبدا باستقلال لبنان و طالبوا بأن يكون جزءا من سوريا كبرى ووافقهم في ذلك اللبنانيون المسلمون و المسيحيون غير الموارنة و اعترضوا على ضمهم الى كيان به سيادة مارونية [53]في هذه الأثناء اضطرت فرنسا على التخلي عن سوريا و لبنان بضغط من بريطانيا و هنا بدأت المرحلة جديدة للبنان .

2- المحاصصة السياسية و النظام الطائفي :

في المرحلة اللاحقة للاستقلال اتفق قادة مسيحيي و مسلمي لبنان على العمل سويا و وقعوا معا اتفاقا يعرف ب" المثياق القومي " 1943 و بموجبه تم توزيع السلطة بين الطوائف[54] و هذا التقسيم في لبنان اثبت أنه خطأ فادح، إذ انعكس الطابع الطائفي السلبي على توزيع السلطة و علاقتها بالطائفية بالشكل التالي :

- رئاسة الجمهورية:مسيحي ماروني .
- رئاسة الحكومة: مسلم سني.
- رئاسة البرلمان : مسلم شيعي .
- السلطة الداخلية للبرلمان 6(نظام 5-6) مقاعد من بين 11 للمسيحيين مقابل 5 مقاعد لمسلمين .
- نائب رئيس البرلمان : مسيحي أرثوذكسي.
- وزارة الشؤون الخارجية : مسيحي أرثوذكسي.

و ينتخب الرئيس لمدة 6 سنوات غير مجددة و لا يخضع الرئيس لمراقبة البرلمان [55] .

وكان من مخلفات هذا الميثاق و هو عدم إمكانية ظهور شعور قومي بلبنان و اعتبر الناس أنفسهم إما موارنة أو دروز أو سنيون أو شيعة و لكن لم يعتبروا أنفسهم أبدا لبنانيين في حين تحولت باقي دول الشرق الأوسط التي قامت على أنقاض الإمبراطورية العثمانية إلى دول ذات قوميات محددة إلا لبنان.إذ عكست نسبة عدد الوزراء و أعضاء المجالس

[52] - THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** Op ;Cit p 90 .

[53] - Ibid p90 .

[54]- صادق صبور(محمد) : **الصراع في الشرق الأوسط و العالم العربي** ،مرجع سابق الذكر ص 105 .

[55]- محمودي (عبد القادر) ،**النزاعات العربية – العربية و تطور النظام الاقليمي العربي (مع التركيز على النزاعات حول القضية الفلسطينية)1945-1985**، (نشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر و الاشهار الجزائر، الطبعة الأولى 2002) ص 493 .

النيابية النسبة العددية التي كانت في لبنان في ذلك الوقت و لكن بمرور الوقت و السنوات تغيرت الأوزان لعدد السكان تغيرا جذريا فقد كثر الشيعة المسلمون و ازداد عددهم عن كل من الموارنة و السنيين و لكنهم ظلوا الفئة المغلوبة على أمرها و صار المسلمون أغلبية واضحة خصوصا بعد تعزيز الوجود الفلسطيني و لم يكن من المنتظر أن يقبلوا إلى الأبد سيطرة الموارنة على رئاسة الدولة [56] – هذه الأخيرة (الموارنة)التي أصبح ينظر إليها على أنها أقلية – فقد أدى تصادم طريقة توزيع السلطة مع التطور الديموغرافي للمجموعة المسلمة التي أصبحت تشكل الأغلبية و في نفس الوقت تهديدا للطائفة المسيحية ، الى جعل بعض الفئات من الطائفة المسيحية تركز على خصوصياتها الثقافية و الاجتماعية التي تتمثل حسب هذه الفئات في أصلهم الفينيقي و البحث عن الحماية الأجنبية أمام الخطر الإسلامي ،تلك الحماية التي ميزت تاريخهم حسب J.FLAUVEL الذي يشير إلى مكانة فرنسا المميزة لدى المارونيين . و هو ما خلق في النهاية الأزمة التي ولدت الانفجار بعد تراكم التناقضات ،إذ رأوا فيه ميثاقا طائفيا و ليس ميثاقا وطنيا و قد عززه السلوك الطائفي على كافة المستويات[57] .

3- التركيبة السكانية الطائفية :

بعد تطرقنا إلى طبيعة توزيع السلطة القائمة الى حد كبير على أسس طائفية ينبغي التطرق إلى التركيبة الطائفية في لبنان لفهم أكثر للمعضلة اللبنانية و دور الدين في الانقسام و التشرذم الذي تعانيه من قبل استقلالها و إلى حد الآن :
تأتي أهمية دراسة سكان لبنان ليس لمعرفة عددهم فحسب و لمعرفة مدى تماسكهم و تجانسهم و مدى مساهمة القوة البشرية و التركيبة السكانية اللبنانية في الحرب الداخلية .
تجمع المصادر على أن آخر إحصاء رسمي للسكان اللبنانيين أجري في عهد الانتداب الفرنسي سنة 1932 و بعدها لم تقدم السلطات اللبنانية بأي إحصاء دقيق للسكان لأسباب سياسية، فالإحصاء على أساس طائفي من شانه ان يزيل الستار عن التناقض الموجود في توزيع المناصب السياسية و الإدارية ،في مقابل الصورة الديموغرافية الحقيقية للبلد كما أنه في ظل انعدام الثقة بين الطوائف فإن كل واحدة ستسعى للظهور بمظهر الأغلبية العددية مما يفتح المجال للتزوير ما دامت كثرة العدد تؤدي إلى مزايا سياسية و إدارية و من ثمة اقتصادية و اجتماعية ، إن قول ذلك لا يعني انتقاء المحاولات في هذا المجال و ما قام به الخبير الاقتصادي "جيب" هو خير مثال من خلال توزيع الإعانة و الضرائب ورغم ذلك يبقى الإحصاء في لبنان يحتوى على الكثير من الريبة و الشك و في ظل غياب إحصاء رسمي دقيق بقيت

[56]- صادق صبور(محمد) : **الصراع في الشرق الأوسط و العالم العربي** ،مرجع سابق الذكر ص 105- 106 .

[57]- محمودي (عبد القادر) ،**النزاعات العربية – العربية و تطور النظام الاقليمي العربي (مع التركيز على النزاعات حول القضية الفلسطينية)1945–1985**، مرجع سابق الذكر ص 494 -496.

يبرز العامل الجغرافي التباين الاقتصادي بين الطوائف و ذلك بتمركز المسيحيين في الشمال و بيروت و المارونيين في جبل لبنان (و هي مناطق غنية) في حين تعيش الشيعة في الجنوب الفقير و هو نفس ما كانت تعاني منه نيجيريا بين مسلم يعيش في شمال معدم و آخر مسيحي يعيش في جنوب منعم.

المجالات مفتوحة أما كل التقديرات و الاجتهادات الفردية.[58]

يمكن القول أن المتحكم في توزيعهم على التراب اللبناني مجموعة عوامل منها الطبيعية و التاريخية و كذا الحضارية و الثقافية و في بحثنا هذا سيتم التطرق الى التوزيع الجغرافي على أساس طائفي لأهمية التركيبة الطائفية في المجتمع اللبناني الذي تم في 1932 في عهد الانتداب الفرنسي و الذي جرى على أساس طائفي حيث قدر فيه عدد السكان ب782415 يتوزعون على الطوائف الأساسية في لبنان[59] منها الطوائف المسيحية –و التي كانت في مقدمتها الموارنة ثم الروم الأرثوذكس ثم الروم الكاثوليك ومسيحيون آخرون- التي بانت بمظهر الأغلبية مقارنة مع المسلمين – السنة ثم الشيعة ثم الدروز- إلا ان ذلك لم يتم لولا إضافة المهاجرين المسيحيين بالإضافة الى الأرمن الذي سكنوا لبنان ابان الحرب العالمية الأولى فبدون ذلك فالمسلمين يشكلون أغلبية و هو ما فعهم الى إجراء إحصاء طائفي جديد يتماشى مع وضع الأغلبية و هو ما يسمح لهم بالحصول عل مناصب سياسية و إدارية عليا تتناسب و عددهم.

ومن المعلوم أن الكيان اللبناني قائم على تركيبة عجيبة وفريدة لا تماثلها في هذه التركيبة أي دولة أخرى في العالم فلبنان هي دولة (الطائفية الرسمية)، ويبلغ عدد هذه الطوائف الرسمية سبعة عشر طائفة !! منها 11 طائفة مسيحية و 5 طوائف اسلامية و واحدة يهودية صغيرة الحجم وكل مواطن لبناني يحدد له انتماؤه الطائفي ضمن المعلومات التي يحملها في بطاقة هويته. و طوائف لبنان الرسمية:

- ✓ أولا: الطوائف الإسلامية
  - 1-السّنة -2الشيعة الجعفرية -3 الدروز -4الإسماعيلية -5العلويون (النصيرية)
- ✓ ثانيا: الطوائف المسيحية :
  - 1-الماروني -2الروم الأرثوذكس -3الروم الكاثوليك -4الأرمن الأرثوذكس -5الأرمن الكاثوليك -6 الطائفة النسطورية -7السريان الأرثوذكس -8السريان الكاثوليك -9الطائفة الكلدانية -10 اللاتين -11الطائفة الإنجيلية
- ✓ بالإضافة إلى الطائفة الإسرائيلية (اليهود)

كما قلنا أن التركيبة الطائفية الحالية تجعل منصب رئاسة الجمهورية بيد الماروني، ورئاسة الوزراء بيد السنّة، ورئاسة البرلمان بيد الشيعة، وهي الطوائف الثلاث الكبرى في لبنان[60].

فاذا كان استقلال لبنان قد ارتبط منذ الوهلة الأولى بالتوازن الطائفي فان المتمسكين بهذا التوازن ظلوا يربطون بقاء لبنان باستمرار بالصيغة الطائفية فلاستقلال الكامل حسب هذا الاعتقاد ما كان ليتم لولا الاعتراف بالطائفية كنظام

---

[58]- قادري (حسين) ، **لبنان الحرب الاهلية و التدخلات الخارجية** ، مرجع سابق الذكر ص 11- 12 .

[59]- نفس المرجع السابق ص 17 .

[60] - **Lebanon Religious Conflicts** ; Source: The Library of Congress Country Studies
http://workmall.com/wfb2001/lebanon/lebanon_history_religious_conflicts.html

سياسي و اجتماعي إلى درجة ان إلغائها سيؤدي حتما إلى زوال لبنان و بذلك أصبحت طائفية[61] في لبنان في عهد الاستقلال إيديولوجية الدولة و أساسا عاما للاستقرار و التوازن مرفوضة لكنها مستعملة و هي تتدعم عبر الأزمات الداخلية و الخارجية [62].

المطلب الثالث : دور المكون الديني كمفسر لحالة لبنان الطائفية

1- دور الدين و تأثيره على الهوية اللبنانية و وجودها .[الرؤية المؤيدة لأهمية الدين في اثارة الصراعات]

إن الملايين من المسلمين و المسيحيين في العصر الحديث يتعايشون بسلام مع سائر الأديان في شتى بلدان العالم في الهند و الصين و في الأمريكيتين و في أوروبا و أفريقيا لماذا يكون التعايش بناء في شتى المعمورة و لا يكون مثله في لبنان؟ مثل هذا السؤال يبين مسبقا دور الدين في الصراع اللبناني.

يمكن الافتراض كبداية أن مشكلة لبنان الأولى هي الطائفية، أو هناك قوة الطوائف إزاء الدولة وضعف الدولة حيال الطوائف. وجذر المشكلة ان نظام الدولة تكوَّن أصلاً باتفاق طوائفي ، فضعف الدولة يضمن تفكك الوحدة الأهلية في أي وقت وهو احتمال قائم دوماً، وبقدر ما أن اتفاق الطوائف الدينية في لبنان هو حل مشكلة الحرب الأهلية و الصراعات القائمة، بقدر ما إن الحرب الأهلية هي تعبير عن انقسام الطوائف الدينية و اتساع ولاءاتها الطائفية. لذلك تنطلق فرضية هذا المبحث او الفصل عموما الى اعتبار أن الدين أو الطائفية الدينية مفسر للتوترات و الحروب في الدولة اللبنانية .

لقد اتخذ الصراع الطائفي أشكالا مختلفة كالحروب وأعمال العنف وما يواكبها من فتاوى واجتهادات فأصبحت سمة تطبع الأحزاب والحركات والأنظمة أيضاً [63] إلا أن المسألة الطائفية في لبنان تغذت أكثر مع التدخل الأجنبي وفق سياسة فرّق تسد والذي شن حرباً استباقية «لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يكوّن الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا» وهذا ما يؤكده المبشر **لورانس براون:** « يجب ان يبقى المسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير» وقد

---

[61]- الطوائف هي جماعات دينية تتبدى في المجتمع من خلال ممارستها وشعائرها ومنافعها وعصبيتها بعيدا من المقدسات واللاهوت وعلم الكلام. والطائفية بهذا المعنى هي كل مجموعة ذات خلفية دينية لها دور أو فعل داخل المجتمع وهدفها امتلاك نفوذ وممارسة سلطة وهي تطابق وتشمل المذاهب والملل والفرق والمدارس التي تستغل الدين من أجل أداء دور سياسي في المجتمع والدولة.أما الطائفية بالشكل الأقرب الى الوضع اللبناني فهي نظام سياسي و اجتماعي مختلف يرتكز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية لتشكل مع غيرها من الطوائف الجسم السياسي للدولة أو الكيان السياسي .من مرجع - قادري (حسين) ، **لبنان الحرب الاهلية و التدخلات الخارجية** ، مرجع سابق الذكر ص ص 3.

[62]- قادري (حسين) ، **لبنان الحرب الاهلية و التدخلات الخارجية** ، مرجع سابق الذكر ص 21-22 .

[63] – Voll O.(John) , **Muslim–Christian Relations in Lebanon: From Conflict to Dangerous Alliances** Source: ***The Prince Alwaleed bin Talal Center for Muslim–Christian Understanding*** **– Feb 20, 2007**
http://cmcu.georgetown.edu/68783.html

عزز هذه المخاوف نظرية صراع الحضارات ما استوجب وضع خطة من أجل تأجيج الصراع الطائفي والصراعات الفئوية على أنواعها من أجل تعميق الانقسامات والتجزئة في العالم الإسلامي فتحولت الطائفية إلى نظام تقسيم وفتنة ضد القومية وكل اتجاه وحدوي .فالطوائف اللبنانية باستنادها للدين وللمذهب الديني كمرجعية للدولة والسياسة يفضي بالضرورة إلي إضعاف وتراجع أولوية روابط المواطنة والجماعة الوطنية و الأمة الجامعة لأبناء الديانات والمذاهب الدينية المختلفة، وإلي توترات طائفية بين أتباع الدين الإسلامي وأصحاب الديانات الأخرى بل وأيضا بين مذاهب وفرق الدين الإسلامي ذاته خاصة الشيعة و السنة مؤخرا . هذا مما يجعل الفتن الطائفية متقدة وكامنة في أفضل الظروف لتتحرك وتشتعل تحت ظروف صعبة ومعقدة أو بفعل قوى خارجية[64]. و تكون نتيجها أن يستبدل بالولاء والانتماء للطائفة أو المذهب الديني من الولاء والانتماء للجماعة الوطنية أو الطبقة الاجتماعية ، شأنه في ذلك شأن التفكيك الإثني الذي يستبدل بالولاء والانتماء للعرق أو الإثنية المعينة من الولاء للشعب الواحد أو الأمة الواحدة يكون السبب الرئيسي في تفكيك الدول و جعلها دول هشة أو دول فاشلة. و هنا تؤدي الطائفية وثقافة الطوائف المبنية على الانطلاق من مصلحة الطائفة ودورها وموقعها حيال الطوائف الأخرى وحقوقها في ظل البنية الطائفية للنظام، الى الالتباس والضياع بين مفهوم الوطن والانتماء اليه، وبين مفهوم الطائفة والانتماء اليها[65]. وينجم عن تعميم ثقافة الطائفة بديلاً من ثقافة الوطن المبنية على وحدة المواطنة، إضعاف الرابط والشعور الوطني كجامع أساسي مشترك لكل الشعب، لصالح أولوية الطائفة والمذهب الذي يصبح العصب المشترك الأول بين المنتمين اليه. ويؤدي النظر الى الوطن ومصلحته من منطلق مصلحة الطائفة وزعاماتها و جعل الولاء للطائفة ورموزها قبل وفوق الولاء للوطن و هو ما جعل الطوائف اللبنانية التي تكاد تختلف على كل شيء تتفق على ضرورة إضعاف الدولة المركزية. هذا الاستضعاف للدولة المركزية جعل من لبنان في معظم تاريخه دولة هشة منتقصة السيادة .

لهذا قام مركز الديمقراطية وسيادة القانون ("CDRL") بتكليف الدولية للمعلومات ، و استشاريين البحوث في بيروت ، لبنان ، لإجراء دراسة استقصائية للمواقف العامة في منطقة بيروت الكبرى خلال الفترة من 29 يوليو – 1 أغسطس 2005، من أجل تسليط الضوء على توعية المواطنين اللبنانيين حول هويتهم ، و ما إذا كان يحددونها مع لبنان أولا ، أو كل مع طائفته الدينية ، أو كلاهما معا على قدم المساواة ، وتكونت عينة الدراسة من 600 لبناني من البالغين الذين تم الاتصال بهم وجها لوجه، و الطوائف الدينية ، موزعة حسب النتائج في الجدول أدناه الذي تبين اختيارات الهوية وفقا للطوائف .[66]

---

[64] - Ibid

[65]- أبو زيد (سركيس)، **القومية و الطائفية**،(مجلة تحولات العدد 34 الثلاثاء 38 جوان 2008)
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2049

[66] - INFORMATION INTERNATIONAL SAL, and CENTER FOR DEMOCRACY AND THE RULE OF LAW **Identifying with Lebanon vs. Identifying with Religious Communities;** New CDRL Public

	Maronite	Orthodox	Melkite	Armenian Orthodox	Sunni	Shiite	Druze
Lebanon First	49.3%	51.1%	54.4%	13.6%	31%	18.8%	31.3%
Community First	19.4%	25.5%	15.2%	22.7%	50.6%	43%	62.9%
Lebanon & Community Equally	26.1%	21.3%	24.2%	54.5%	17.1%	23.8%	2.9%
No Response	5.2%	2.1%	6.1%	9.2%	1.3%	14.4%	2.9%

و عموما فإن الدراسة تمت على شكل أسئلة و السؤال الأول كان : **هل تعتقد أنك لبناني أولا أو أن الانتماء الى الطائفة الدينية يأتي قبل هويتك اللبنانية ؟** و النتائج يمكن تلخيصها على النحو التالي :
37.3 ٪ بالمئة من الفئة التي شملها الاستطلاع ترى أنها تنتمي و تحدد نسبتها الى طائفتها الدينية بينما وجد 34 بالمئة من اللبنانيين أنهم ينتمون او يحددون على اعتبارهم لبنانيين أولا لتأتي نسبة 22.3 و التي تعتبر أنهم يتحددون مع لبنان و طائفتهم الدينية على قدم المساواه.أما نسبة 6.4 و هي النسبة الاقل، لم تستطع تحديد ما إذا كانت منتمية الى فكرة كونها فئة لبنانية أم تعرف نفسها على اساس انها مرتبطة بطائفة دينية . و هو ما يترجمه (الشكل1)[67]

Attitude Survey Examines the Lebanese Choices of Identity **Executive Summary** (For release on October 10, 2005) pdf p 1 .

[67]– ملحوظة كل الأشكال الموضحة ابتداءا من الشكل الأول الى الأخير صفحاتها كما يلي :
- الشكل 1 ص 7 - الشكل 2 ص 8 - الشكل 3 ص 9 - الشكل 4 ص 10
- الشكل 5 ص 11 - الشكل 6 ص 12 - الشكل 7 ص 13 - الشكل 8 ص 14

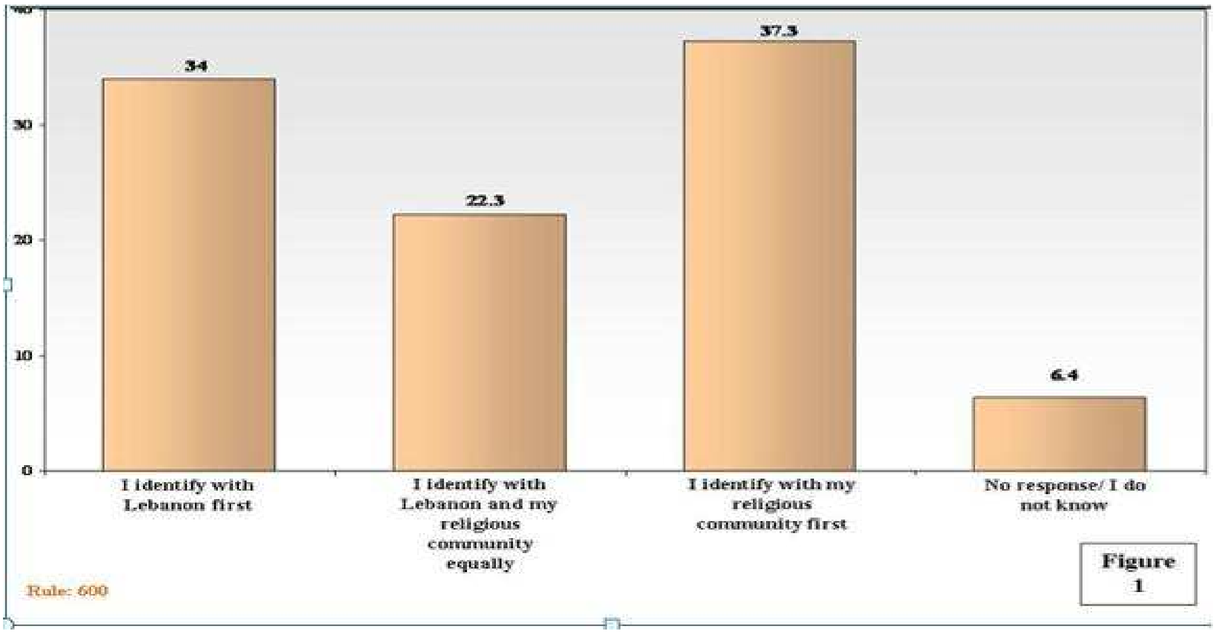

السؤال الثاني : **في حالة صراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية هل يغير خياركم التالي ؟** السؤال كان مطروحا على النسبة التي اختارت الانتماء الى لبنان أولا .

الاجابة بالنسبة للدائرة كانت أن من يؤكدون أن الخيار لن يتغير بلغت 62.8 بالمئة في حين تراوحت النسبة التي ترى بأن الخيار سوف يتغير 33.8 بينما بلغت نسبة الذين لا يعرفون الاجابة الى 3.4 بالمئة ، و قد أخذت النسبة التي تقر بحصول التغيير و سإلت عن الكيفية التي سيكون عليها التغيير وجد أنه 76.8 بالمئة ستنتمي و تحدد مع مجتمعها الديني أولا في حين وجد 23.2 أن انتماءهم سيكون بالتساوي مع لبنان و مجتمعهم الديني و هو نتيجة واضحة تترجم مدي اهمية العامل الدينى و الجماعات الدينية في حياة اللبنانيين. (الشكل 2)

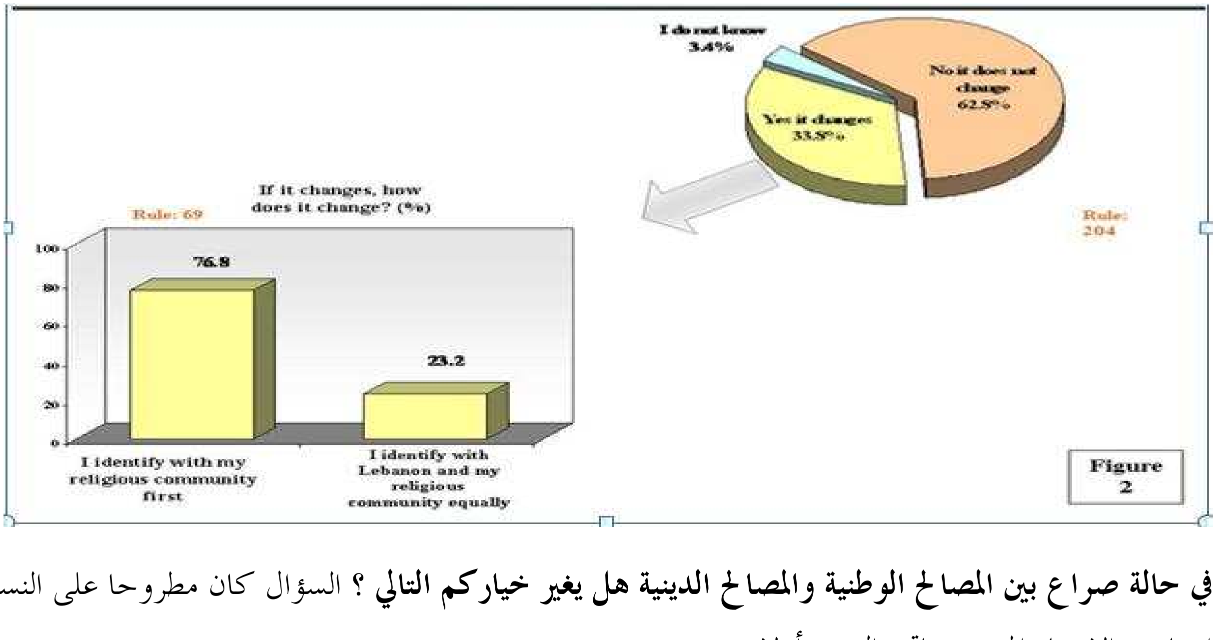

في حالة صراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية هل يغير خياركم التالي ؟ السؤال كان مطروحا على النسبة التي اختارت الانتماء الى مجتمعاهم الدينية أولا.

الاجابة بالنسبة للدائرة كانت أن ما نسبته 82.6 بالمئة من الذي اختاروا الانتماء الى مجتمعاقم الدينية أولا يؤكدون أن الخيار لن يتغير في حين تراوحت النسبة التي ترى بأن الخيار سوف يتغير 16.1 بالمئة بينما بلغت نسبة الذين لا يعرفون الاجابة الى 13بالمئة . و قد أخذت النسبة التي تقر بحصول التغيير و سئلت عن الكيفية التي سيكون عليها التغيير وجد تساوي في النسب 50 /50بالمئة بين من ستنتمي مع مجتمعه الدين أولا و بين الذين يرون أن انتماءهم سيكون بالتساوي مع لبنان و مجتمعهم الديني . (الشكل3)

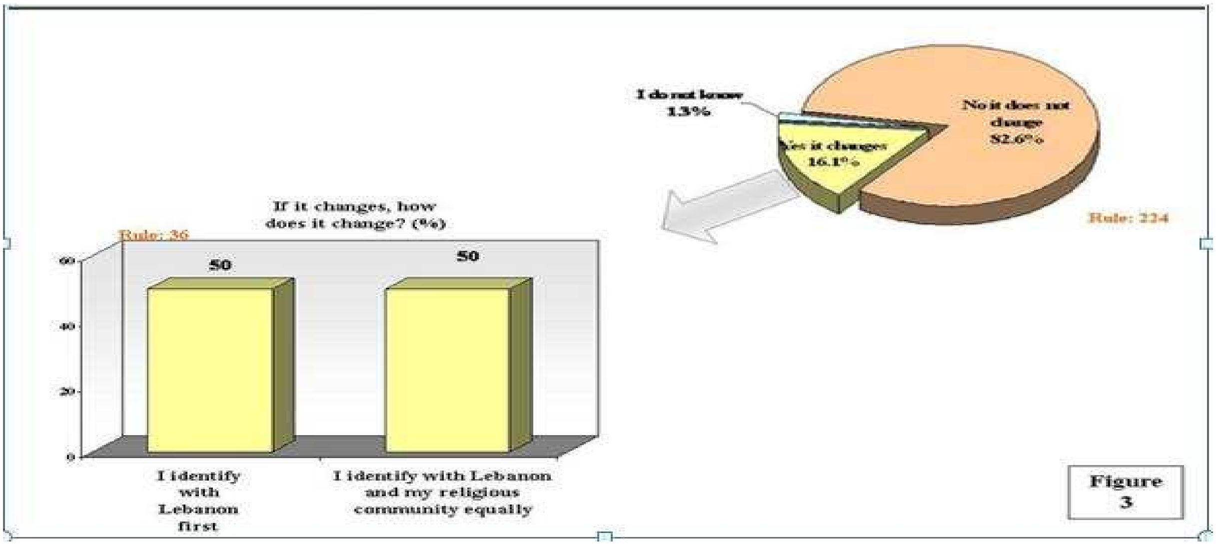

Figure 3

في حالة صراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية هل يغير خياركم التالي ؟ السؤال كان مطروحا على النسبة التي اختارت أن الانتماء الى لبنان و مجتمعاقم الدينية يكون بالتساوي.
الاجابة بالنسبة للدائرة كانت أن ما نسبته 42.9 بالمئة من الذي اختاروا الانتماء بالتساوي الى لبنان مجتمعاقم الدينية يؤكدون أن الخيار لن يتغير في حين تراوحت النسبة التي ترى بأن الخيار سوف يتغير 46.6بالمئة بينما بلغت نسبة الذين لا يعرفون الاجابة الى 10.5 بالمئة .

و قد أخذت النسبة التي تقر بحصول التغيير و سئلت عن الكيفية التي ستتغير بها فوجد اغلبية ساحقة أي بنسبة 83.9بالمئة ستنتمون الى مجتمعهم الديني أولا بينما لم تتعدى النسبة التي ترى أن انتماءها سيكون مع لبنان أولا 16.1 بالمئة (الشكل 4)

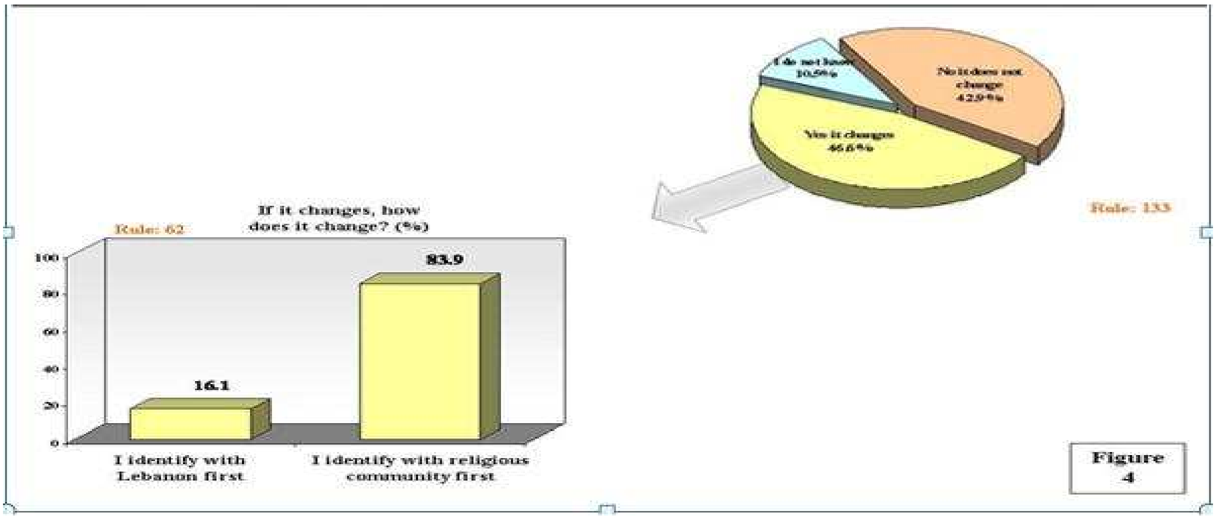

السؤال الثالث : **في حال إعلاء سيادة القانون إذا كنت تعتقد بأنك تتمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز فهل خيار ك التالي يتغير ؟** والسؤال طرح على النسبة التي تنتمي أو تحدد مع لبنان اولا

وجد في الدائرة أن ما نسبته 93.1 بالمئة منهم ينفون حصول تغيير بينما 5.9 بالمئة تقر بالتغيير في حين توحد نسبة ضئيلة جدا التي لا تعرف الاجابة و التي غالبا ما تكون غير مهتمة .و سئلت النسبة التي تؤكد التغير عن كيف سيكون التغير وجد ان 83.3 بالمئة أن التغيير سيكون بالتساوي بين لبنان و المجتمع الديني في حين 16.7 تعتبر أن التغيير سيكون مع المجتمع الديني. (الشكل 5)

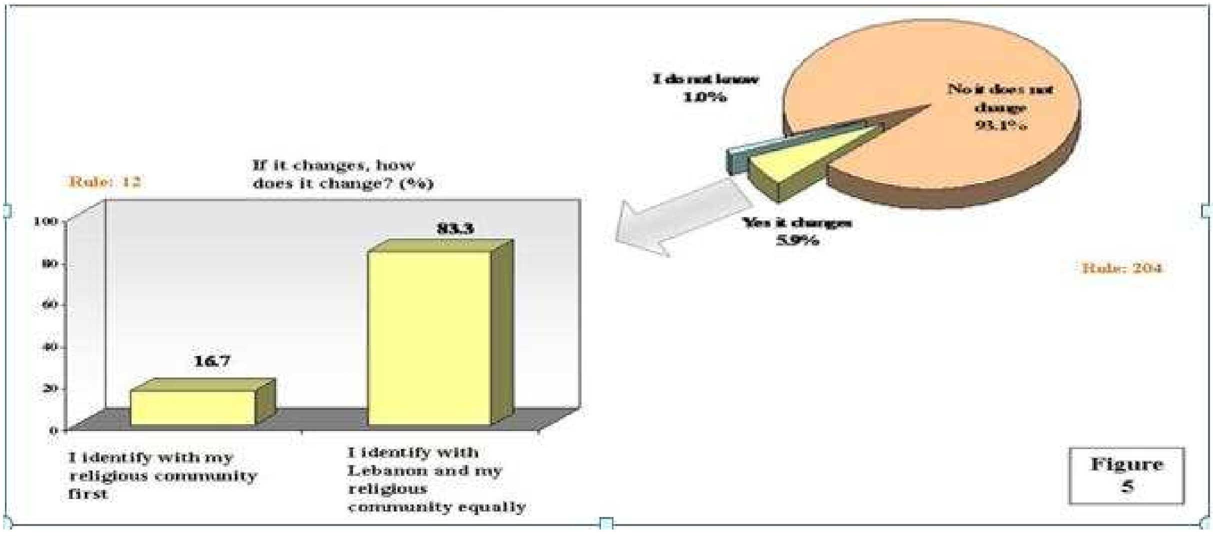

في حال إعلاء سيادة القانون أي إذا كنت تعتقد بأنك تتمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز فهل خيار كم التالي يتغير ؟ السؤال طرح على النسبة التي تنتمي أو تحدد مع المجتمع الديني اولا

الفصل الثالث

وجد في الدائرة أن ما نسبته 75.4بالمئة منهم ينفون حصول تغيير بينما 23.7 بالمئة تقر بالتغيير في حين توحد نسبة ضئيلة جدا التي لا تعرف الاجابة و التي تشكل 0.9 بالمئة و سئلت النسبة التي تؤكد التغير عن كيف سيكون التغير وجد ان 64.2بالمئة أن التغيير سيكون بالتساوي بين لبنان و المجتمع الديني في حين 35.8 بالمئة تعتبر أن التغيير سيكون مع المجتمع الديني (الشكل 6)

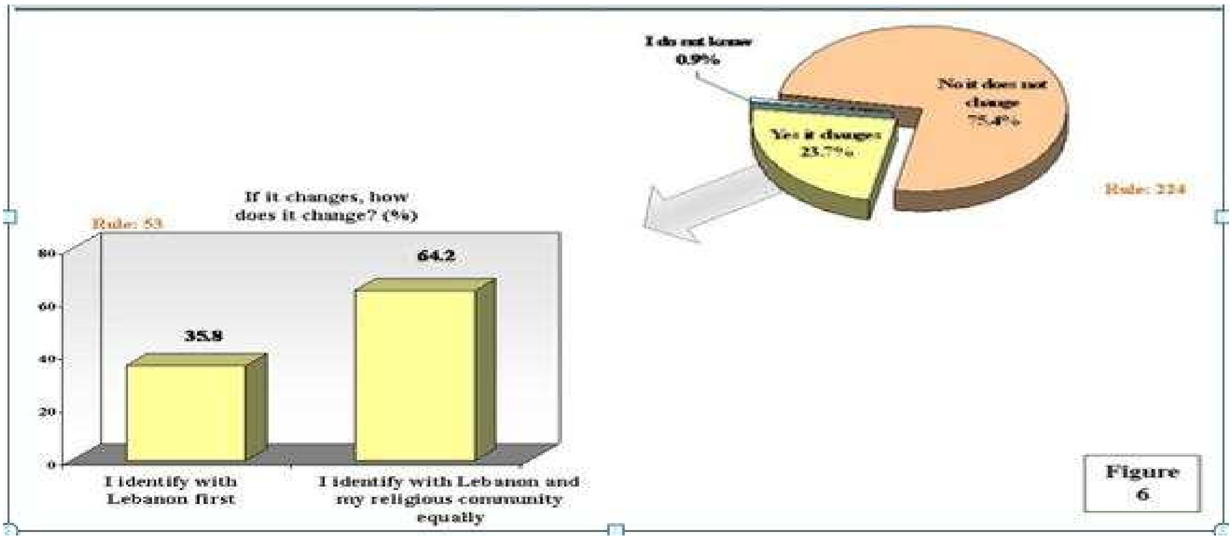

في حال إعلاء سيادة القانون أي إذا كنت تعتقد بأنك تتمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز فهل خيار كم التالي يتغير ؟ السؤال طرح على النسبة التي تنتمي أو تحدد بالتساوي مع لبنان و المجتمع الديني

وجد في الدائرة أن ما نسبته 75.9بالمئة منهم ينفون حصول تغيير بينما 19.5بالمئة تقر بالتغيير في حين توحد نسبة لا تعرف الاجابة و التي تشكل 4.6بالمئة و سئلت النسبة التي تؤكد التغير عن كيف سيكون التغير وجد ان 80.8 بالمئة أن التغيير سيكون مع لبنان أولا في حين 7.7بالمئة تعتبر أن التغيير سيكون مع المجتمع الديني أما نسبة 11.5 لم تعرف الاجابة (الشكل 7)

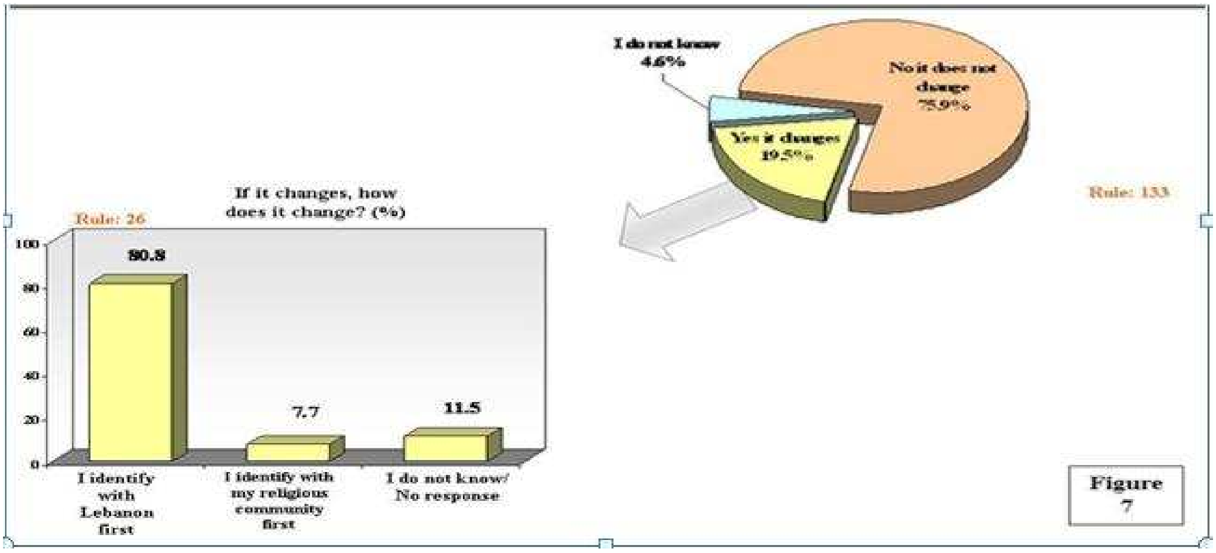

أما الشكل 8 هو موجزا لهذه النتائج من الأسئلة الثلاثة المذكورة أعلاه و في المخطط البياني الأخير يوضح كيفية اختيار تغييرات هوية في الحالات التالية:

الثلاثية الأولى الانتماء الى لبنان أولا : هناك 34 بالمئة مع الوضع الراهن بينما هناك 27.2 بالمئة في حالة الصراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية و في حال إعلاء سيادة القانون و التمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز وجدت نسبة 38.6 بالمئة .

الثلاثية الثانية الانتماء بالتساوي مع لبنان و طائفتهم الدينية: نجد النسب التالية 22.3 و17.6 و25.4 بالمئة على التوالي مع الوضع الراهن و مع حالة الصراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية و في حال إعلاء سيادة القانون و التمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز.

الثلاثية الثالثة الانتماء الى طائفتي الدينية أولا : نجد نسبة الوضع الراهن محددة بـــ 37.3 بالمئة أما النسبة التي تعالج حالة الصراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية وصلت الى48.8 بالمئة و في حال إعلاء سيادة القانون و التمتع بحماية القانون المطبق بالتساوي على جميع اللبنانيين من دون تمييز في وجود محاكم العدل حيث أن إقامة العدالة على الجميع بقدم المساواة دون تمييز قدرت النسبة ب 29.6 بالمئة .[68]

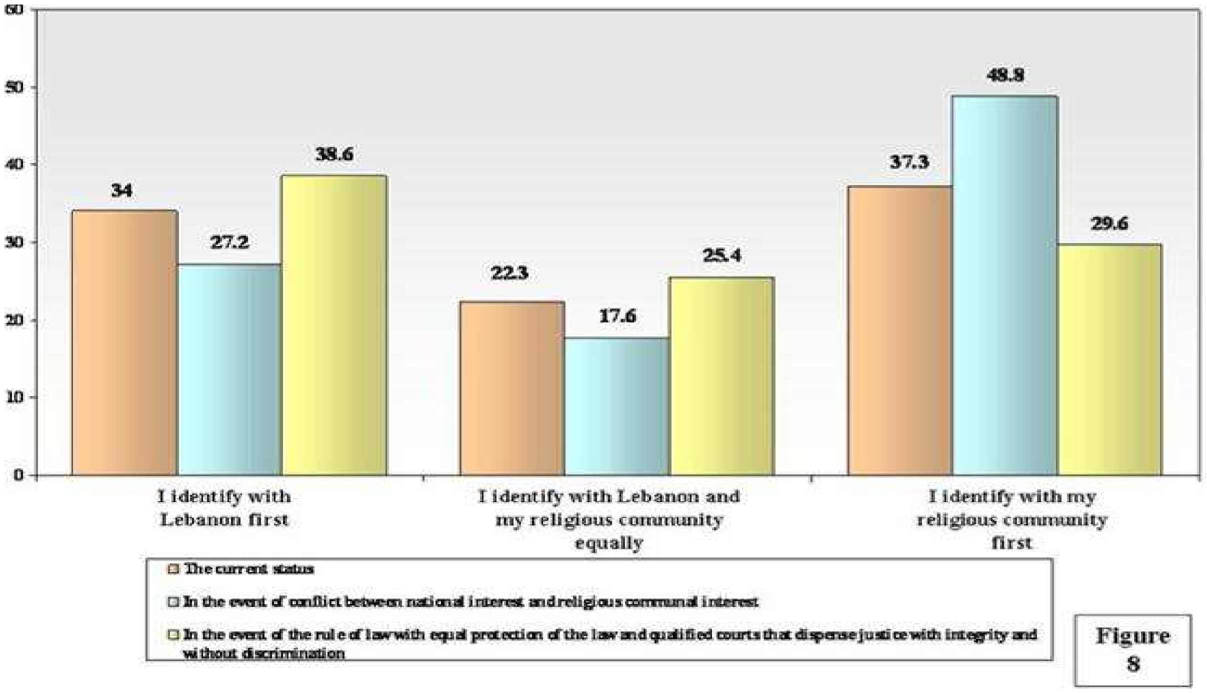

Figure 8

[68] -Ibid pp 14 .

استنتاجات

1- في أول وهلة ، جاءت نتائج المسح بمثابة خيبة أمل لكثير من اللبنانيين فاحصائيات المسح وجدت دليلا قويا على وجود أزمة عميقة للهوية بين شعب لبنان.

2- في أسوأ سيناريو، حالة الصراع بين المصالح الوطنية والمصالح الدينية الطائفية ، نسبة اللبنانيين الذين استمروا في تأكيد اختيارهم للهوية على اعتبار لبنان أولا لا تقل عن 27.2 ٪ هي أكبر من أي طائفة دينية في البلاد.

3- في المقابل من ذلك في حالة ظهور سيادة القانون ، و وجود محاكم التي تعمل على المساواة بين المواطنين بدون تمييز ، تجعل من النسبة المئوية للبنانيين الذين يختارون الهوية كلبنان أولا ترتفع إلى 38.6 ٪علاوة على ذلك ، يصعد هذه النسبة إلى 44.7 ٪ بين الأشخاص الحضريين في بيروت.

4- متوسط النسبة المئوية للمسيحيين الذين اختاروا لبنان اولا هو 46.5 ٪ الذي هو في تناقض مع متوسط 25.7 ٪ من المسلمين. هذا يسير بالتوازي مع متوسط النسبة المئوية للمسيحيين الذين يتخذون من الطائفة الدينية الخيار الأول ، وهو 20.7 ٪ ، مقابل 48.6 ٪ للمتوسط المسلمين. و هنا يظهر تمسك اللبنانين المسلمين بانتمائهم الى طوائفهم الدينية أكثر من اللبنانيين المسيحيين .

5-أفضل سيناريو بالنسبة لأولئك الذين اختاروا هويتهم اللبنانية أولا مع طائفتهم الدينية يضع تحت نسبتهم 50 ٪حتى أنهم لم يشكلوا الأغلبية ، وبالتأكيد ليسوا كتلة موحدة. و بالمقارنة ، فإن لبنانيين الذين اختاروا لبنان أولا يشكلون كتلة أكثر تماسكا ، على الرغم من أنها كتلة ممثلة تمثيلا ناقصا بشكل كبير، وتتراوح النسبة من 27.2 ٪ [69] لذلك فهذه الدراسة تحاول إظهار أهمية المكانة التي تتخذها الطوائف الدينية سواء في المجال الديني أو السياسي لكلا الديانتين المسيحية و الإسلامية .

يمكن القول أن لبنان المكوّن من مجموعة اقليات (طوائف ومذاهب) يؤدي النظام الطائفي فيه الى جعل كل اقلية منهم تشدد على التمايز والتباين الديني و الثقافي عن الأخرى ويدفعها لتغذية عصبية معينة لجمع المنتمين اليها لتعزيز موقعها ـــ وينجم عن ذلك بقاء الحساسية والحذر واحياناً التنافر بين هذه الأقليات الدينية، والخوف من هيمنة واحدة على غيرها او على الآخرين . لذلك أمكن القول الطائفية التي ابقت لبنان الوطن والدولة مشروعاً وبناء غير مكتملاً ومعرضاً للاهتزاز، أصبحت أكثر خطراً على لبنان شعباً ووطناً ودولة[70] . فالكثير من الزعماء المسيحيين مثلا، تعلّقوا

---

[69] -Ibid p 4 .

[70] – لقد أنتجت الطائفية الكثير من السلبيات فهناك، **أوّلاً**، نظرة اللبنانيّ الى نفسه بوصفه منتمياً الى جماعة لا الى مجتمع سويّ. ذاك أن الفرد، هنا، لا يتقدّم بوصفه مواطناً مساوياً لأيّ مواطن آخر في الحقوق والواجبات، بل يحضر بوصفه ابن دين أو طائفة أو اثنيّة أو منطقة. فإن تلك الولاءات تحوّلت، في العصر الحديث، الى وسائط للحصول على فرص العمل وقنوات لتوزيع الثروة، فضلاً عن تطوير كلّ جماعة ثقافةً فرعيّة تختصّ بها وتميّزها عن سائر الجماعات الأخرى في الوطن نفسه.**وثانياً**، هناك خوف الجماعات الأصغر من الجماعات الأكبر في عالم مؤسّس على ضعف الاندماج الوطنيّ وأحياناً انعدامه. ولّما كانت الطائفيّة ضامناً، أو بالأحرى ضامناً وهميّاً، لحياة هذه الجماعات ولمصالحها، بات تبديد الخوف شرطاً شارطاً لتخطّيها. وهناك، **ثالثاً**، تغذّي الطائفيّة على الصراعات الاقليميّة والقضايا الايديولوجيّة التي تتوسّلها القوى المؤثّرة أو تتذرّع بها. فإذا كانت المخاوف الطائفيّة هي التي حملت، في السابق، معظم الطائفة السنّيّة على مبايعة مصر الناصريّة، كما تحمل اليوم معظم الطائفة الشيعيّة على مبايعة ايران الخمينيّة، فإن هذه المبايعات وغيرها لا تلبث أن تؤجج التزاع الطائفيّ وتزيده احتداماً. وغالباً ما تُستخدم القضيّة الفلسطينيّة، وتوابعها من صراع مع اسرائيل ومع الغرب بوصفها الحجّة المركزيّة في المساجلات الطائفيّة، وصولاً الى طرح "هويّة" لبنان على المحكّ مرّة بعد مرّة.

أكثر بالجذور الطائفية أو المذهبية لفكرة لبنان،[71] وبمسألة أمن المسيحيين في وجه أكثرية مسلمة سائدة في المشرق العربي، في حين مشت أكثرية النخبة الحكومية المسيحية مع الطرح الشيحاوي[72]. وقد تبين أن المخاوف حول المصير المسيحي والأمن المسيحي كانت أقرب إلى كونها تعبيراً عن مشاعر المسيحي العادي. فالأحزاب التي ركزت على مخاوف المسيحيين لاقت تجاوباً ومشاركة شعبية أكبر من التجاوب والمشاركة اللذين لاقتهما أحزاب وزعامات أكثر اعتدالاً. أي باعتبار الطائفية مبرر وجود لبنان كذلك اتفاقهم على كون الطوائف مجتمعة هي الوعاء الذي يحوي وينتج ويعيد إنتاج الولاية السياسية للدولة والمؤسسات والمجتمع الأهلي.[73]

فإذا ما أردنا تلخيص ما سبق نصل الى نتيجة يؤمن بها الكثير من اللبنانيين سواء المسيحيين منهم أو المسلمين و هي أن سبب هذا الصراع الأساسي يعود إلى الاختلاف بين المعتقد الديني الإسلامي و المعتقد المسيحي إذ تعود أسباب الأزمة الراهنة الى مميزات عميقة في تكوين بنية الإنسان اللبناني أي البنيات التي يتكون منها المجتمع اللبناني : المسيحي و الإسلامي و لا شك ان طابع لاقتتال الديني يبقى ابرز ما طبعت به الحرب و الاقتتال بين المسلمين و المسيحيين ليس بجديد. إذ يحاول أن يظهر المسيحيين أنهم مهددون بخطرين إما الأسلمة و الانصهار في الأمة الإسلامية وإما البقاء كأهل ذمة من هنا كانت الحرب التي شنها الإسلام على لبنان تستهدف القضاء على لبنان في كيانه و جوهره أي في مسيحية و يتأكد بذلك الطابع الديني –الطائفي إذ أن الصراع في جزأ منه يدور حول إسلامية لبنان و مسيحيته[74] و هو ما تؤكده مذكرة " **الجبهة اللبنانية الى العالم**" في كلامها عما تسميه "ثوابت التاريخ اللبناني" حين تقول[لبنان هو وطن المسيحيين العائشين في العالم الإسلامي المحيط]و لا تناقض بين هذا و بين ما تقوله "**مذكرة الرابطة المارونية** "من ان [لبنان هو فدرالية الطوائف] ومن هذه الضرورة في نفي كل تداخل عضوي بين فئات الشعب اللبناني الواحد و في نفي مبدأ الوحدة الوطنية نفسها و لبنان مجتمع تعاقدي و انه ليس دولة قومية بل هو دولة متعددة القوميات .بمعنى انه مجموعة جماعات دينية هي بذاتها قوميات منغلقة بعضها على بعض و لها غالبا تاريخا الخاص . فكثيرا ما يتردد أنه "**في لبنان لا وجود الا للطوائف بينها علاقات لا يمكن أن تكون الا علاقات طائفية**".[75]

يمكن أن تكون هذه الأفكار القاعدة التي ينطلق منها الكثير في تفسيراتهم المتعلقة بالتوترات و الأزمات و الحروب الأهلية التي مرت بها لبنان و القائمة على المرجعية الدينية –الطائفية كما يمكن أن تكون هذه الأفكار أيضا الأساس و المدخل لنقض الفكر الطائفي الذي يعلي من أهمية الدين و الطائفية كعامل مفسر لكل الأحداث الحاصلة و يلغي مثلا

---

[71] - THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** Op ;Cit p92 .

[72]- ميشال شيحا هو)1891 - 1954 (واضع دستور استقلال لبنان عام 1926 بالتعاون مع بترو طراد وعمر الداعوق .لا تزال أفكاره السياسية والفلسفية تؤثر على مسيرة لبنان الاقتصادية والسياسية. كتب ميشال شيحا في ثلاث قضايا: لبنان، فلسطين، وحالة العالم في زمنه.

[73]- عامل (مهدي)،**القضية الفلسطينية في ايديولوجية البرجوازية اللبنانية :مدخل الى نقض الفكر الطائفي** (مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت الطبعة الأولى 1980) ص 194 .

[74]- نفس المرجع السابق ص 195- 198 .

[75]- نفس المرجع السابق ص 201-203 .

بقية العوامل منها تسييس الدين و طريقة اقتسام السلطة من قيامها هي الأخرى بأدوار لا تقل أهمية و تأثير عن العامل الديني منفردا و هو ما يعبر عنه بالاتجاه المعارض لهيمنة الطائفية الدينية تحديدا كمرجع تفسيري يتحتم الرجوع اليه في كل حاثة أو أزمة في لبنان.

2- تسييس دور المكون الديني[الرؤية المؤيدة لتسييس الدين]:

تطرقنا سابقا الى أهمية العامل الديني أو الطائفي في الأزمة اللبنانية باعتباره متغير محوري لكثير من الأحداث التي بدأت منذ القرن 19 و استمرت تأثيراتها الى غاية اليوم و هذه الرؤية تعبر عن بعض الاتجاهات المؤيدة لإدخال الدين كعنصر تفسيري رئيسي لفهم الواقع اللبناني إلا أن هذه الرؤية لا تعبر عن الكل إذ ظهرت رؤى أخرى تستبعد دور أهمية الدين بعيدا عن السياسة فرغم أن مشكلة الدولة اللبنانية بدت خيوطها مرتبطة بالانقسامات الدينية و الطائفية إلا أن ذلك لم يمنع البعض من تسييس الاتجاهات الدينية و إدخالها في غمار المعارك السياسية فحسبهم ليس من دين يدعو إلى حالة من العداء بين قوم وآخرين، لكن المشكلة في لبنان هي تسييس الدين، يعني أنهم يحاولون من أجل أن يعززوا مواقعهم السياسية والزعامة التي يريدونها لأنفسهم يستقون حينئذ بالعصب الديني أو العصب الطائفي فيوظفونه من أجل تعزيز مكانتهم السياسية، مما أدى إلى زيادة افتعال المشاكل بين مسلمين ومسيحيين في لبنان، بل و حتى بين شيعة أو سنة أو أي طائفة أو أخرى. لم تعد الطوائف في لبنان تتعلق بمفهوم ديني أو برجال دين فحسب بل بزعامات سياسية، فقد تحولت الطوائف بفعل التاريخ المرير إلى أحزاب لبنان السياسية و هو ما يقودهم الى طرح ملاحظتين:
الملاحظة الأولى: ان الطوائف في لبنان ليست مجرد تفريعات عقائدية لكل من الديانتين الاسلامية والمسيحية، وإنما هي وحدات سياسية اجتماعية وثقافية، شكّلت مجتمعة أساس ظهور الكيان اللبناني في الربع الأول من القرن العشرين المنصرم.[76]
الملاحظة الثانية: ان مختلف الطوائف اللبنانية تخوض غمار اللعبة السياسية و تقاسم السلطة وفقاً لميزان التمثيل بين المسلمين والمسيحيين. في حين لا يتعدى تدخل الدين والشريعة في السلطة حدود السماح للمؤسسة الدينية بالوعظ وممارسة الطقوس والشعائر. وبهذا المعنى لا يمكن قراءة نص الدستور اللبناني سواء ذاك الذي ورد في اتفاق الطائف أو النصوص الدستورية التي سبقته، إلا بصفة أنه دستور أقرب الى الوضعية العلمانية منه الى الدستور الديني. وهذا يعني في التحليل الأخير أن الدولة بالنسبة الى الطوائف التي اجتمعت لتؤسس لبنان التاريخي، ليست سوى إطار ناظم للميثاق السياسي فيما بينها[77].
لإثبات حجج المؤيدين لهذه الرؤيا ،اعتبروا أنه من الخطأ او من سوء التقدير النظر الى الأحداث التي تحدث في لبنان و كأنها ذات بعد رئيسي واحد هو بعد الاقتتال الطائفي.... و لا شك في ان بين مسيحي لبنان و مسلميه خلافا عميقا

[76]- حسن الربيعي (علي) ، **"تحديات بناء الدولة العراقية : صراع الهويات و مأزق المحاصصة الطائفية"** (مجلة المستقبل العربي ، مارس ، العدد337) ص 92.

[77]- نفس المرجع السابق ص 95.

حول هوية لبنان و حول الولاء له ...الا ان هذا الاختلاف لم يكن ليؤدي الى مثل هذه الحرب المدمرة لو لم ينفجر في لبنان تناقضات أخرى اشد قسوة من التناقض الإسلامي –المسيحي و أهم و أخطر تلك التناقضات التي انفجرت التناقض اللبناني –الفلسطيني فالقضية الفلسطينية في علاقتها بحركة التحرير العربية تحتل موقع المحور في الصراع السياسي[78] الذي انفجر في لبنان في الحرب الاهلية باحتلالها هذا الموقع يفقد ذلك التناقض طابعه الجوهري ليكتسب طابعا تاريخيا محددا و يفقد بالتالي طابعه الديني أو الطائفي ليكتسب طابعه السياسي الوطني الفعلي.

و عليه فقد يبدو الانقسام السياسي والاجتماعي الذي يمر به لبنان اعمق حاليا مما كان كان عليه خلال الحرب الأهلية السابقة فرغم ان الانقسام خلال الحرب الأهلية كان ما بين المسلمين والمسيحيين لكنه كان أيضا ذا طابع سياسي واضح ما بين قوى سياسية يسارية وقومية عربية لبنانية ذات توجهات علمانية قاعدته من المسلمين الى جانب قوى سياسية عابرة للطوائف مثل الحزب الشيوعي من جهة وقوى مسيحية تمثلت بالكتائب والقوات اللبنانية ذات توجهات يمينية غربية من جهة أخرى إلا أن الانقسام الأعمق حاليا يبدو بين سنة لبنان وشيعته الذين برزوا كأكبر قوة سياسية وعسكرية في لبنان مع انتهاء الحرب اللبنانية وتعززت قوتهم مع انسحاب إسرائيل من جنوبي لبنان عام 2001. اما الوجه الأخر للانقسام اللبناني الحالي فيتمثل بالانقسام في الشارع المسيحي حيث انقسم المسيحيون الى محورين رئيسيين موزعين على طرفي الانقسام الإسلامي في لبنان بين السنة والشيعة. ويبدو ان توزع الشارع المسيحي، الذي يمثل الموارنة مركز ثقلهم العددي والسياسي والروحي، بين المعارضة والموالاة في لبنان، رغم ان موقف المرجعية الروحية للموارنة المتمثلة ببكركي يبدو اقرب الى الموالاة، يعكس تراجع الدور المسيحي في لبنان في المعادلة السياسية للبنان بسبب تراجع موقعهم الاقتصادي والعددي. و كل هذه المعطيات تترجم على أنها سياسية /دينية و كما قلنا سابقا أن الخيط الذي بين الدين و السياسة هو خيط رفيع لا يكاد يرى و نعطي مثالا حيا عن ذوبان الفواصل بين الاثنين الذي يظهر من التأكيد مثلا على ضرورة هيمنة المارونية كضمانة للمسيحيين ضد الطغيان الاسلامي و الذي يمكن أن يفسر على أنه تخوف من طغيان معين ...طغيان سياسي .... طغيان حضارة على حضارة.... طغيان فكر على فكر أو حتى طغيان عددي و لئن اتخذت هذه الهيمنة طابعا سياسيا فهذه السياسة لها طابع طائفي بحت فالصراع في لبنان طائفي و هو الآن كما كان من قبل و منذ بدأ التاريخ صراع بين المساواة الطائفية و الصراع يدور حول الهيمنة على الدولة لا لأنه سياسي بل لأن الدولة هي الأداة السياسية التي تكون بها المساواة الطائفية أو أداة السيطرة الطائفية أي طغيان طائفة على الأخرى[79]

بغض النظر عن أن الحرب الأهلية التي كانت دائرة في هذا البلد هي حرب متعددة الجوانب يأخذ الجانب الديني كما تأخذ العوامل الأخرى حضها إلا أن القاسم المشترك الأعظم الذي لا يختلف في وجوده و دوره اثنان هو العامل الديني و التعصب و الدليل على التعصب الديني و الطائفي باعتباره سيد الموقف في الوضع في لبنان هو انشطار

[78]- نفس المرجع السابق ص 221

[79]- نفس المرجع السابق ص 204 -208

عاصمة دولته (حتى وقت قريب) الى شطرين على أساس الأغلبية السكانية من الطائفتين المسيحية و الإسلامية و ما يدعم ذلك أيضا تصلب الطرف المسيحي في بيروت بمباركة و تشجيع و حماية من فرنسا و الفاتيكان و هما الطرف المسيحي ضد الاتقاف الحاصل في الطائف المسلم و الذي تم برعاية دول مسلمة[80] و حتى نكون أكثر عدلا و تحديدا في طرحنا يمكن لنا طرح التساؤل التالي : لو لم يكن في لبنان إلا طائفة دينية واحدة و مذهب فقهي واحد فهل سيكون هذا البلد الصغير على نفس الحالة و في نفس الوضعية المعقدة و المستعصية التي هو عليها الآن ؟ الجواب لا طبعا لأن الطوائف الدينية في لبنان هي التي قادته الى الصراع و الحروب المتتالية ، رغم أن هذا الطرح قد لا يمثل وجهة النظر الوحيدة و هو ما يجعل من طرح رؤية توفيقية أمرا ملحا.

3- الرؤية التوافقية لحالة لبنان الصراعية :

يقول ميشال شيحا في تعريفه للبنان «**إنه بلد لا يشبه إلا ذاته. هذا ما يجب أن ندركه مرة واحدة وإلى الأبد، إنه بلد متفرِّد، وحيد نوعه وجنسه**». يمكن اسقاط هذا التعريف على الصراع الاستثنائي أو الفريد أو المتعدد الأوجه (سمه ما شئت) الذي يعيشه لبنان و قد يكون الرد عن التساؤل المطروح سابقا حول طبيعة الصراع في لبنان مع إدوارد آزار – المفكر الأمريكي/ اللبناني وهو واحد من أبرز خبراء "الصراع الدولي" في بحثه المهم "لبنان: الصراع الشاذ؟" في خريف 1986(فصلية العالم الثالث)[81]. الذي يعتبر أن الطائفية ليست إلا وجهاً من أوجه النزاع و بحسب ما يشير إليه آزار فإن صورة الصراع الأهلي في لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر قد ارتدت أثواباً كثيرة، فقبل قرن كان صراع المسيحيين و الدروز هو صراع طبقي أكثر مما هو ديني بين الفلاحين وملاك الأراضي إبان الحكم العثماني، ثم تحول الصراع حول هوية لبنان بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير، وبين انتمائه للثقافة العربية العريضة أو إصراره على متوسطيته خلال الانتداب الفرنسي، ثم تحولت الأزمة إلى الخلاف على الدستور ونظام البلد بعد الاستقلال، ثم خلاف على عروبة لبنان وتنوع كثيف للاتجاهات والمدارس الفكرية اليسارية واليمينية خلال الخمسينيات، ثم الوقوع

[80]– بن نعمان (محمد) ،**التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** !(شركة دار الأمة للطباعة والترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر الطبعة الثانية 1997) ص 41 .

[81]– إدوارد آزار – بروفسور السياسة الدولية – ، وأحد أهم خبراء النزاع في الشرق الأوسط. إدوارد آزار المفكر الأمريكي – اللبناني الأصل – ولد في لبنان في عام 1938. و توفي عن عمر يناهز 53 في عام 1991. رغم ذلك اهتم طيلة حياته بالنزاع الأهلي في لبنان، وكان أبرز مستشاري الإدارات الأمريكية المتعاقبة في الملف اللبناني. و قد أجرى مقارنة بين أزمة لبنان وأزمات دولية مشابهة في ذلك الوقت، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن لبنان لا يختلف أبداً عن أزمات مماثلة في أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، بل يمكن القول إن لبنان مؤهل أكثر من غيره لحل هذا الصراع. ومما يميز أطروحة آزار عن بقية ما قرأت في الشأن اللبناني، هو قدرته على تشخيص الوضع اللبناني منتصف الثمانينيات، وإعطاء تصور عن نوعية الأزمات الممكنة في المستقبل، وقد أثبتت أطروحات آزار تماسكها رغم مرور العقدين، بل وفي أحيانا كثيرة قدرة عالية على التنبؤ الصحيح. لأكثر إطلاع أنظر :

Edward E(Azar). et al., **The Emergence of a New Lebanon: Fantasy or Reality? Toronto, Holt,Rinehart and Winston of Canada Ltd 1984, 302 p**.Études internationales, vol. 18, n° 4, 1987, p. 899-902. http://www.erudit.org/revue/ei/1987/v18/n4/702281ar.pdf

في تجاذبات الحرب الباردة والمد الناصري خلال الستينيات، ثم التدخل السوري والمواجهة مع الفلسطينيين خلال السبعينيات، ثم الاقتتال بين الطوائف والقوى السياسية الوليدة حول حصة الحكم خلال الثمانينيات. تاريخ من الصراع المتداخل، والأسباب المتزاوجة والمتناقضة في آن واحد، منها الطائفي والطبقي والمادي والثقافي، [82]وكذلك أزمة في الهوية الفردية والوطنية، وتحولات يمينية ويسارية وقومية.

لقد أدى تراكم الخلافات عقداً بعد عقد باللبنانيين إلى حالة من عدم وضوح الرؤية، فهم يدركون أن الطائفية الدينية جزء من الأزمة، وأن الصراع حول الاستئثار بالسلطة السياسية مسبب كبير للخلاف، وأن التدخلات الإقليمية والدولية قد غذت الصراعات دون ارتواء، ولكن ما يخشى اللبنانيون الإقرار به، هو أنهم منذ الاستقلال وهم في صراع حول هوية البلد، وفيما ينبغي أن تكون عليه، أي ماذا يعني أن تكون لبنانياً؟ [83] وفي واحد من أهم كتبه "**انبعاث لبنان الجديد: حقيقة أم خيال**"يضيف آزار أن الديموغرافيا لها أيضاً دور مؤثر، فالطوائف والعرقيات في لبنان تنمو بشكل متباين فيما تقلص الهجرة الخارجية والداخلية بعد كل حرب التعداد السكاني والتوزيع الجغرافي لتواجد الطوائف، ولهذا فإن الصراع الأهلي في لبنان في جزء منه هو صراع هوياتي حول التاريخ والجذور، أي دفاع بعض الأطراف عن ما كان لهم في الماضي، وكيف سلبهم الآخرون إياه.[84]

كما أن الملاحظ لمراحل الحرب الأهلية اللبنانية يرى أنها- ناتجة من مشاعر العداوة و الكره النابع من الاختلاف الدين المصدر الأول لاقتتال المسلمين و المسيحيين إذ بدأت بمذبحة من الكتائب لـــ 25 فلسطينيا في حافلة تخترق بلدة مسيحية- زعرتا- بالقرب من طرابلس شمال لبنان و كان الكتائبيون يقيمون كنيسة جديدة ،مما جعل منظمة التحرير الفلسطينية ترد بقتل100 من مسيحيين مسالمين و بدأت مذبحة الثأر و الثأر المقابل و اتسع النطاق تدريجيا و بدأ يجتذب باقي الطوائف المتنازعة في لبنان مما جعل خط المواجهة بين المسلمين و الموارنة [85] و في المرة الأخرى قتل المسلمون المئات من المسيحيين في بلدة داموراً جنوب بيروت و كانوا هدفهم إجلاء المسيحيين عنه و قد تحقق لهم هذا و في نفس الشهر قتل المسيحيون الفلسطينيين في معسكرات اللاجئين في كرانتيا شمالي بيروت في منطقة كانوا يريدون السيطرة عليها و طرد المسلمين منها . و كانت هذه المجازر تعبر عن أهداف يحاول كل طرف تحقيقها كانت نابعة من إقصاء الآخر وفقا لخلفية دينية و كان هذا التوتر الذي حدث بين المسلمين و الموارنة و بين الموارنة بعضهم

---

[82] - Edward E(Azar). et al., **The Emergence of a New Lebanon**: **Fantasy or Reality? Toronto**, **Holt**,**Rinehart and Winston of Canada Ltd**., **1984**, **302 p**.Études internationales, vol. 18, n° 4, 1987, p. 899-902. http://www.erudit.org/revue/ei/1987/v18/n4/702281ar.pdf

[83] - Ibid. p 901.

[84] - ibid.p 900 .

-حذرAzar Edwar من أن اختلال التوازن الديموغرافي - بسبب النمو السكاني الشيعي المرتفع - في لبنان خلال العقود المقبلة قد يعطل فرصة البلد في الاستقرار، وأننا شئنا أم أبينا فإن المحاصصة السياسية ستتغير مع كل مولود يولد من الطائفة الشيعية، وكل مهاجر يغادر البلد من الطوائف الأخرى. يقول إدوارد: (بالرغم مما قد يحمله المستقبل لهذا البلد المعتّل، فإن تعدديته - ولاشك - لن تكون حائلاً من أن يلعب الشيعة الدور الرئيسي في تقرير مصيره .. إن خيراً، وإن شراً).

[85]- صادق صبور(محمد) : **الصراع في الشرق الأوسط و العالم العربي** ،مرجع سابق الذكر ص 108-110

البعض في حدوث الحرب الأهلية اللبنانية ثم في استمرارها [86] هذا لا ينفي تداخل العامل السياسي المترجم في اقتسام السلطة القائمة على النظام الطائفي و الذي يكاد العامل المشترك الرئيسي مع عامل الاختلاف الديني و إن كنا نستطيع استشفاف عوامل أخرى تستند في مجملها الى روح التضامن الديني أولا و الهوياتي –التاريخ المشترك رغم كل شئ –من خلال توحيد القوات السنية و الدروز مع الفلسطينيين و الشيعة .
من خلال كل ما تقدم نخلص الى الآتي :

1- لقد تم صياغة العملية السياسية في البلاد ليس وفقا لتعامل الأطر السياسية مع الأفراد أي ليس بصفتهم مواطنين و لكن بوصفهم مجموعات طائفية حيث يضخ الخطاب الطائفي لإقناع الفرد بأن انتمائه الطائفي الأولوية على انتمائه للدولة و أن مصالحه لا تتحقق إلا عبر هذا الانتماء مما يؤدي الى الانقسامات الطائفية و يمنع قيام ديمقراطية الأكثرية و هو أمر صعب في منطقة مثل الشرق الأوسط حيث عدم الاستقرار و تغلب مظاهر العنف و السيطرة و العلاقات بين الجماعات الأهلية المرشحة فيها دائما للانقسامات و تحمل مخاطر تفجر الصراعات الأهلية .

2- الصراع في لبنان لم يكن فقط صراعا لإعادة تقسيم السلطة بين الطوائف الدينية المختلفة ،أو للتوسع الإقليمي لاعترافاته ، انه أيضا تصرف بالنيابة عن الخوف من أن الطرف الآخر الذي يختلف عنه يعمل على استبعاده ، ويقلل من وجوده أو يحس أن هناك خطر الانقراض [87] فهذه الأزمة اللبنانية ليست فقط في صراع بين الديانات و ليس فقط صراعا عنيدا بين المذاهب أين كل طرف يريد تعييب الآخر ليس فقط هذا،و لكن تمتد الى الرفض و محاولة النفي الصريح و هنا يكون المناخ النفسي الجماعي مواتيا لحرب اهلية .

3-أي لبنان نريد؟ أي هوية نريد لوطننا لبنان؟ لقد حسم اتفاق الطائف [88] هذا الجدل على وجهين: من جهة قضي الاتفاق بأن لبنان الوطن نهائي لجميع طوائفه و من جهة ثانية قضي الاتفاق بأن لبنان عربي الانتماء و الهوية. [89]

---

[86]- نفس المرجع السابق ص 117-118 .

[87] - THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** Op ;Cit p94.

[88] - FAKHOURY (TAMIRACE), "**LE LIBAN D'APRES GUERRE – UNE RECONCILIATION PRECAIRE QUI OSCILLE ENTRE UNE COEXISTENCE FRAGILE ET LA TUTELLE SYRIENNE** Op ;Cit p 2 .

- اتفاق الطائف : في30 سبتمبر 1989 أين قررت جامعة الدول العربية بقيادة المملكة العربية السعودية و البرلمان اللبناني السنيين الذين تم انتخابهم قبل قيام الحرب الاهلية على الاجتماع بمدينة الطائف بالمملكة السعودية لمحاولة تعديل الدستور و إحلال السلام في البلاد و اتفقوا على ضيغة تزيد من قوة المسلمين في الدولة و اتفقو على الاجتماع مرة ثانية لإنتخاب رئيس جمهورية البلاد و وافق السوريون على مغادرة بيروت بعد عامين و تحديد جدول زمني للإنسحاب الكامل من البلاد. كما جاء اتفاق الطائف لينص على إلغاء الطائفية السياسية من خلال هيئة وطنية عليا برئاسة رئيس الجمهورية على طريق بناء دولة حديثة. لكن أهم بنود الطائف ظل حبرا على ورق وظل الاختلاف قائما حول الدستور اللبناني وآلية تطبيقه.

4-أن صراع لبنان يطرح أفضل من زاوية دينية أو مرجعية دينية فالأقليات الدينية هي مثال فريد ليس فقط للعنف الذي خلقته و إنما أيضا من حيث هيكلها أو بنيتها و من خلال طبيعتها التي تشكل مواجهة بين سكان يتكلمون نفس اللغة و لهم نفس الأصل العرقي[فهم كلهم عرب]و نخلص ان التركيز على الطائفية الدينية أفضت الى الكثير من الصراعات المعقدة لأن كل مجموعة دينية تبحث عن انشقاقات في الطرف الآخر التي تعتبر مصدر للصراعات العنيفة. كما و أن انقسام الطوائف كان سببا إضافيا لتأزم تلك الصراعات فكما ان الطائفة المسيحية مقسمة فالطائفة الاسلامية مجزأة هي الأخرى بين الدروز من جهة و الشيعة من جهة أخرى و هناك ايضا انقسامات داخل الطائفة الشيعية الموالين لسوريا و الموالين لإيران[90].إن هذا الانقسام الديني بين مختلف الطوائف تعزز مع وجود مجال للصراعات الخطيرة و المحدثة للأزمات منها الصراع الفلسطيني/الاسرائيلي الذي أبرز و بشكل واضح تلك الانقسامات .

مع صعوبة الفصل بين ما هو سياسي و طائفي في لبنان يمكن القول بعد دراسة و بحث عميقين أن كل الأحداث الأخيرة ارجعت الى اعتبارها دينية طائفية في الأساس ففي ظل الازمة الحالية التي يواجهها لبنان على اكثر من صعيد يبقى الانقسام الطائفي في لبنان هو الأخطر لان الصراع لم يعد حول مشاريع سياسية بل اتخذ طابعا طائفيا وهذا سيكون له عواقب على المجتمع اللبناني مستقبلا.و يمكن القول أيضا أن لبنان كبلد اقليات استطاع ان يكون مثالاً سلبياً يكشف استحالة العيش المشترك بين اقليات دينية وطوائفية متعددة، مع شعب متعدد الانتماء الديني والطائفي والمذهبي و رغم السلام المدفوع لمدة 17 سنة من الحرب الأهلية استمرت فقط في وضعية التوازن و لا توازن بين الطوائف الدينية إذا انهم متشبعين بمرجعيات دينية ، و ما ذلك إلا مثال حي للصراع الحضاري بين الاديان والثقافات و تصادمها.

المبحث الثالث: صراع أتباع مذهب معين ضد أتباع مذهب آخر داخل الدين الواحد – دراسة حالة مصغرة للصراع في ايرلندا – الكاثوليك /البروتستنت.

لإعطاء صورة على هذا النوع من العصب الديني الذي يحدث بين طوائف و مذاهب مختلفة داخل الدين الواحد قد تصل خطورته او حدتها درجة لا تقل عن خطورة التعصب الناتج عن الصراع أتباع دينين مختلفين جوهرا كما هو الحال في النموذج السابق سرده، سيتم تشخيص بعض مظاهر هذا النوع من الصراع المذهبي (الداخلي)،بأخذ الصراع في ايرلندا الشمالية كنموذج، هذا لا يعني أن مثل تلك الصراعات المذهبية داخل الدين الواحد موجودة فقط في حال ايرلندا الشمالية فهناك أمثلة متنوعة عن الصراعات منها الصراع السيخي الهندوسي القائم في الهند و السني الشيعي القائم في العراق ....

---

[89]- الحص (سليم) ، (رئيس وزراء لبنان الأسبق) ، **ماذا يريد المسلمون من لبنان**،(المستقبل العربي،سبتمبر2007 العدد 343 السنة 30) ص 101 .

[90]- لأكثر معلومات حول هذ ا الموضوع يرجى الرجوع الى :THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** Op ;Cit p94- 95

فلأكثر من ثلاثة عقود تعرضت أيرلندا الشمالية لواحدة من أعنف الصراعات المستعصية التي تهدد ديمقراطية الدولة في أي جزء من العالم، تلك سنوات طويلة جلبت التركيز الشديد على القضايا الأساسية فيها والتي كانت مكبوتة لما يقرب من ثمانية قرون من الوجود البريطاني في ايرلندا ، فالتوترات بين الوحدويين البروتستانت والقوميين الكاثوليك ، في ظل البحث عن وضعية دستورية و تطبيق المساواة بين جميع فروع المجتمع ، بينت أن الطريق الأوحد هو استخدام العنف الإرهابي لتحقيق أهدافها و هذا المبحث يبحث في العوامل الرئيسية التي جعلت من البعض يرى في الصراع في ايرلندا الشمالية يأخذ منحى ديني أو طائفي فيما ينفي البعض الآخر كونه صراعا دينيا . و هو ما يطرح إشكالية حول أي المسائل النظرية يمكن طرحه و عن أي وضع إطار تفسيري يمكن أن نقصده تبعا لذلك . طائفة واسعة من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية و التخصصات ، بما في ذلك الاقتصاد والتاريخ والعلوم السياسية ، علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية كل منها يعمل على تبيان طائفة واسعة من التوضيحات بشأن الصراع في ايرلندا الشمالية واستعراض أعمال أمثال Lijphard ، MartinWhyte قد تكون إلى حد كبير شائعة رغم أنها مختلفة جدا عن الأفكار الشعبية السائدة حول أن الصراع هو 'الديني' ، ونظرا لتقسيم المعروف بين 'البروتستانتية' و 'الكاثوليك' (لأنها تستخدم على نطاق واسع داخل وخارج ايرلندا الشمالية و لكن ليس بمعنى ديني بحت) ، فالفكرة القائلة بأن الصراع هو ديني، فكرة تستحق دراسة متأنية إذ يؤخذ إلى حد كبير رأي علماء الاجتماع ، بل و المشاركين ، على أن الانقسامات الدينية هو سبب الصراع و ينبوع مخاوف البروتستانتية. التفسيرات الآخرى و التي سنعمل على توضيحها دُرست باعتبارها تشير إلى أن الانقسامات التي تأسست على التوالي ، من التاريخ الاستعماري الاستيطاني والفروقات الاثنية ناتجة من الانقسام الطائفي ايرلندا الشمالية .[91]

يقول **جونستون ماكماستر** باحث في خلفيات الصراع في ايرلندا : ***ثقافيا أنا الايرلندي رسميا أنا مواطن بريطاني . مثل العديد من الآخرين الذين يعيشون في ايرلندا الشمالية احمل جواز سفر بريطاني ، ولكن أنا الايرلندي لقد ولدت في جزيرة أيرلندا و أنا أتضامن مع الثقافة الايرلندية والتقاليد العظيمة للايرلنديين و يكون من ولدوا في أيرلندا قد يعني أنهم ولدوا في التقاليد الدينية -- في حالته تقليد بروتستانتي*** . نفس الشيء ينطبق على الأفراد الارلنديين الذين ولدوا في تقاليد كاثوليكية.[92] و قد تم تقديم هذه الملاحظات التي تبدوا بسيطة لتسليط الضوء على التعقيد و غموض الهوياتي الشخصي والاجتماعي الموجود في ايرلاندا الشمالية . و هو تجسيد للصراع الداخلي والخارجي، وما يعنيه العيش تاريخيا وسياسيا ضمن الجزيرة الأوروبية المقسمة حيث الدين هو الشارة الكبرى للصراع

---

[91] - Clayton, P. **Religion, ethnicity and colonialism as explanations of the Northern Ireland conflict**. In Miller, D. (Eds) **Rethinking Northern Ireland: culture, ideology and colonialism**, Chap 2, pages p. 40-54. First published in London by Longman: Longman (1998) p 1

[92] - McMaster(Johnston), **Religion & Conflict: Contributory Causes & Resources for Peacebuilding** , **pdf p 1**.

هوياتي.أيرلندا، بالطبع ليس منطقة الصراع الوحيد في العالم ، وليست المثال الوحيد للصراع حيث الدين هو العامل الظاهر إلا أن امتلاكها لبعض الميزات و الخصوصيات يجعل من الصراع في ايرلندا الشمالية فريدا من نوعه .

ومع ذلك فإن الصراع الرئيسي في ايرلندا الشمالية ، الذي يغلب إلى حد معين على كل الصراعات الأخرى ، هو صراع بين الطوائف الكاثوليكية والبروتستانتية. إذ هناك الكثير من الانقسامات الداخلية داخل الطائفتين[93]، هذا ما سيدرسه هذا المبحث من خلال عرض هذه المشكلة تاريخيا ، و البحث في أهم تطوراتها فيما بعد الحرب الباردة و هل حقا يشكل العامل الديني حجر الأساس في صراع ايرلندا الشمالية ام هناك من العوامل التي تسبقه .

المطلب الأول : فهم السياق التاريخي للصراع في ايرلندا الشمالية

لتاريخ أيرلندا سمات عدة، أولها أنه تأثر بموقعها الجغرافي بالنسبة للقارة الأوروبية، وثانيها صلتها بإنجلترا التي حاولت السيطرة عليها ومقاومة أهلها لذلك، وثالثها الحروب المدمرة التي شهدتها أيرلندا، ورابعها الاضطهاد الديني والسياسي فيها، وآخرها الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها وجعلت كثيرًا من أهلها يهاجرون إلى بلدان أخرى. لذلك فأوضاع إيرلندا الشمالية متعددة الابعاد وليست قابلة للاستيعاب دون النظر في أبعادها وخلفياتها التاريخية الطويلة المدى[94]، والتي تكشف عن نموذج الصراعات الطائفية في أوروبا، والتي لا يعرف مثيلها في مناطق أخرى من العالم ، والنظر في الأبعاد والخلفيات التاريخية للصراع في إيرلندا الشمالية، كنموذج على صراع ديني طائفي متطاول ، قد يكشف عن خطورة الأغراض السياسية التي تستغل العناوين الطائفية، وقضية إيرلندا الشمالية التي كانت تنفجر أحداثها كل حين ، تعطي بدورها مثالا صارخا على أنّ العداء الأصولي القديم بين الطوائف النصرانية، ما زال حيّا أيضا، لذلك يعد الصراع في ايرلندا الشمالية من أقدم الصراعات القائمة في المشهد السياسي اليوم إذ يعود عمر المشكلة كقضية طائفية بين البروتستانت والكاثوليك في الجزيرة الإيرلندية إلى قرون خلت و بالضبط الى عام 1068 مع التحولات الدينية في اوروبا، ، حين سيطر التاج البريطاني — تذرعه منذ البداية بالدفاع عن البروتستانت – على الجزيرة بشقيها ، الجنوبي ذي الأكثرية الكاثوليكية(94 في المائة)، والشمالي ذي الاكثرية البروتستانتية (62 في المائة)، ثم تلاه الغزو العسكري الاستعماري انجلترا في ايرلندا في 1169 إذ بدأ هنري الثاني ملك إنكلترا في 1171/ 1172 المواجهة الأولى التي وضعت لجذور الصراع الذي لا يزال حيا اليوم. إذ كان ملوك إنجلترا يحاولون طيلة تلك المدة بسط نفوذهم على أيرلندا، ففي مرحلة لاحقة في 1536 قاد هنري الثامن محاولة لفرض الاصلاح على الايرلنديين لم تنجح بسبب المقاومة القوية للشعب الايرلندي. 1541 هنري أعلن نفسه ملكا على أيرلندا وأعطى الأراضي الأيرلندية كرسوم لتاج انجلترا. ولكن هذه السياسة لم تستمر إذ أن وريثته على العرش، ابنته الملكة ماري، التي رأت أن أفضل وسيلة لإقناع أيرلندا هي إقامة مستوطنات للإنجليز هناك. وواصلت أختها الملكة إليزابيث هذه السياسة ذاتها و قامت بدعم هجرة ضخمة من المستوطنين البروتستانت من اسكتلندا وانجلترا نحو ايرلندا، و أسفرت

[93] – Wechselberger(Norman) **The conflict in northern Ireland** : **Report about the political situation in Northern Ireland and its historical reasons** , **pdf p 1**

[94]– لمزيد من المعلومات حول تاريخ أيرلندا الرجاء تصفح www.irishhistoryonline.ie

عن اعتناق الانكليز مع معظم سكان أيرلندا الشمالية للمذهب البروتستانتي ،مع استمرار بقية سكان أيرلندا الجنوبية على المذهب الكاثوليكي أصبحت الكاثوليكية الأيرلندية الشعبية دينيا معاديا لبريطانيا بعد سيطرة الانكليز الذين وضعوا يدهم على الكنيسة الكاثوليكية و أموالها في كل أنحاء ايرلندا وزادت عليها تشددًا ضد الكاثوليك الأيرلنديين، الأمر الذي أوجد فيهم روحًا قومية معادية للإنجليز[95] .خاصة في عهد الرئيس الانكليزي كروميل عام 1641 ، حيث قاموا بحملات تصفية مروعة في حق سكان ايرلندا الكاثوليك ، لتظهر هناك مرحلة جديدة من قمع الكاثوليكية ، اضطهاد الأيرلنديين الكاثوليك بنزع ملكية البعض منهم و إجبارهم على الهجرة ،فتناقص سكان أيرلندا إلى النصف ، و سيطر الانكليز و حلفاءهم من كبار الملاك البروتستانت على الكثير من الأراضي في أيرلندا .[96] و هذا أدى إلى ثورات متلاحقة [97]من قبل الأيرلنديين ضد التعسف الانكليزي بحقهم في أعوام (1641 ، 1760 ،1791) كل تلك الاحداث اعتبرتها انكلترا بعد ذلك أنها تمرد ديني ضد الأقلية البروتستانتية في أيرلندا ، فساندت الايرلنديين البروتستانت نظمت العصيان ضد الكاثوليك الايرلنديين من خلال استمرار الحكومة في سياستها الرامية إلى إضعافهم بإصدار القوانين ضدهم مما حذا بالبروتستانت في شمال أيرلندا إلى الولاء للعرش البريطاني ، بينما استمر تذمر الايرلنديين الآخرين – الغير بروتستانت – ضد الحكم البريطاني.

حاولت الحكومة البريطانية بعد عدة محاولات لاقامة جمهورية ايرلندا و حل المسألة الأيرلندية بخلق وحدة بين أيرلندا وبريطانيا، وقد تم لها ذلك في عام 1801م، بعد أن وعدت بإعطاء الكاثوليك حقوقهم كاملة غير منقوصة. والواقع أن هذا الاتحاد لم يفد إلا إقليم ألستر البروتستانتي، إذ إن بقية أيرلندا ظلت تعاني من ضيق اقتصادي، كما ظلت حقوق الكاثوليك مهدرة، لذلك ظلوا على مطالبتهم بها، وظلت الحكومة تقمع حركاتهم التي اتسمت بالعنف أحيانًا و عبر العقود المتتالية حاول الايرلنديون الاستقلال و قد كانت انتفاضة عيد الفصح التي وقعت عام1916 محاولة فاشلة الهدف منها تأسيس جمهورية أيرلندية عن طريق القوة.

يمكن القول أن الاستعمار لم ينفصل أبدا عن الاختلافات الدينية ، فالفروق الدينية هي مفتاح الحدود الاجتماعية ورمزية في كثير من المجتمعات ، وبالتأكيد حتى في ايرلندا الشمالية. وتنميط التاريخي للمعارضة الدينية ، وعلى الأخص الطابع المحافظ من أشكال البروتستانتية والكاثوليكية في ايرلندا هو واضح . حوادث عنف متقطعة طوال

---

[95]– بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** مرجع سابق الذكر ص 135 .

[96] - Wechselberger(Norman) **The conflict in northern Ireland** : **Report about the political situation in Northern Ireland and its historical reasons** , Op;Cit p 1

[97]– ولكن سياسة إقامة المستوطنات الإنجليزية استمرت، وبدأت تثير حفيظة ومخاوف ملاك الأراضي الكاثوليك في أيرلندا الذين كانوا يخشون مصادرة أراضيهم لإقامة المستوطنات والمزارع الإنجليزية عليها. وكذلك كانوا يخشون الاضطهاد الديني، ولكل ذلك ثار الأيرلنديون في عام 1641م ثورة شملت كل البلاد، واستمرت لمدة عشر سنوات. وكان هدف الثورة هو الاستقلال بالرغم من التمويهات التي كان يطلقها زعماؤها من أنهم موالون للملك، وأنهم لا يريدون شيئًا غير الحرية الدينية. وقد استمرت هذه الثورة حتى عهد أوليفر كرومول، فأخمدها بقسوة شديدة، وتفرق قادتها بين مقتول ومنفي وهارب إلى فرنسا وأسبانيا.

الفترات التاريخية الماضية . بينت أن الدين يلعب دورا في جعل الصراع أكثر وضوحا واكثر كثافة ، وأكثر عمومية [98] فالصراع الديني جري بالفعل . **وقد كان التاريخ البريطاني يلعب دوره في إذكاء الفتن الدينية بين البروتستانت والكاثوليك في الجزيرة الأيرلندية** إذ أن الإستعمار لم يحدث فقط تمييزا عرقيا (الانكليزية والاسكتلندي) ولكن أيضا المستوطنين البروتستانت ، و علاقات القوى لاحقة كانت مرتبطة حول التمييز الديني ، كانت متعددة الحدود رمزية ، [من الدين و الأعراف المبادئ السياسية الأخلاقية و القيم الحضارية ، والروايات التاريخية ، الهويات الاثنية قومية المتداخلة] إذا لم تكن متطابقة الى حد بعيد مع هذا التكوين البروتيستانتي فولد المصالح متعارضة بين البروتستانت والكاثوليك ، و أدت التغييرات المؤسسية والدستورية منذ القرن 18 و19 و 20 التي قامت بها الدولة البريطانية الى انتاج الخطوط العريضة للفوارق الدينية و الاجتماعية والرمزية ، إلى الصراع المزمن بين المجموعات الكاثوليكية و البروتستانتية.[99]

المطلب الثاني : بذور الصراع الطائفي الحديثة و إعادة اشعال الصراع

ما جرى في التاريخ الحديث بين البروتستانت والكاثوليك في إيرلندا الشمالية، حصيلة حتمية لما جرى عبر حقب تاريخية سابقة. ومن السطحية بمكان الاكتفاء في رؤية الأزمة وكأنها مجرد صدامات إرهابية تصنعها المنظمات المسلّحة من الطرفين، أو مجرد صراعات سياسية بين الأحزاب المقرّبة من تلك المنظمات. ومنها طائفة أورانج، ولئن انتهى عهد الملك البروتستانتي ويلهلم الثالث بموته عام 1702م، فقد كان يوجد في العقود القليلة الماضية آخرون، من الغالبية البروتستانتية،ممن يشعل فتيل الصراع الطائفي من جديد.

1- <u>ازمة تقسيم ايرلندا الشمالية</u>

يمكن القول أن جزيرة ايرلندا تقع في المحيط الاطلسي على بعد 50 ميلا غرب بريطانيا يحدها المحيط الاطلسي من جميع الجهات ما عدا الشمال حيث تقع ايرلاند الشمالية[100] ،هذه الأخيرة تقع داخل جزيرة أيرلندا وتحديدًا في الجزء الشمالي من الجزيرة جزيرة منعزلة شمالي غرب أوروبا وإلى الشرق من أيرلندا، تقع أقرب جاراتها، بريطانيا العظمى(إنجلترا،واسكتلندا، وويلز)والتي تفصلها عن أيرلندا البحر الأيرلندي وتغطي أيرلندا الشمالية(التي تعد جزءاً من المملكة المتحدة)سدس الجزيرة ، بينما تغطي جمهورية أيرلندا خمسة أسداس الجزيرة ويقدر عدد سكان أيرلندا الشمالية ب(1741619 بحسب تقديرات 2006 الوكالة الايرلندية الشمالية للبحث والإحصاء

---

[98] - IBRAHIM (MOHAMMED), **Understanding Peace Building Process in Plural Societies**, **And Lessons Learnt from Post Conflict Northern Ireland** ,pdf, Centre for Democracy and Development CDD Lagos-Nigeria ,Visiting Commonwealth Professional Fellow Commonwealth Policy Studies Unit (CPSU) **Institute of Commonwealth Studies University of London March 2005**,p 4

[99] - Todd (Jennifer) , **Religion and the patterns of conflict in Northern Ireland** Op ;Cit p 1-2

[100]- الكيلاني (عبد الوهاب)،**الموسوعة السياسية** ، **الجزء الأول[أ- ث]** ،(المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت لبنان، الطبعة الاولى 1979) **ص 436** .

الفصل الثالث

NISRA لعام 2006 وتعد مدينة بلفاست المدينة الرئيسية في أيرلندا الشمالية.[101] والجنيه الإسترليني هو العملة الرسمية لأيرلندا الشمالية واللغة الرسمية في أيرلندا الشمالية هي الإنجليزية و هو ما تبينه الخريطة أدناه .

خريطة ايرلندا السياسية

أما مشكلة إيرلندا الشمالية كإقليم ذي أقلية كاثوليكية تابعة للمملكة المتحدة البروتستانتية بدأت كمرحلة أولى عام 1921 عندما حاولت لندن مهادنة البروتستانت الإيرلنديين فقسمت الجزيرة إلى شطرين إلى ايرلندا الشمالية وايرلندا الحرة، الأولى ضمت إلى المملكة المتحدة أو بريطانيا العظمى والأخرى بقيت دولة مستقلة، والأولى (أي ايرلندا الشمالية) مقسومة بين الطائفتين المسيحيتين الكاثوليك والبروتستانت، وباعتبار أن الكاثوليك اقلية ترغب بالتوحد مع الاغلبية في أيرلندا الحرة وصاحب ذلك أعمال العنف ففي إيرلندا الشمالية على وجه الخصوص إذ كان هناك صراع ولاء بين الأقلية الجمهورية(اغلبية كاثوليك) لفك الارتباط مع بريطانيا التي تدين لفكرة دولة إيرلندية خالصة و

[101] - لمزيد من المعلومات حول سكان أيرلندا الشمالية NISRA الوكالة الايرلندية الشمالية للبحث والإحصاء www.nisra.gov.uk

سعت للاندماج في جمهورية الجنوب والأغلبية من الوحدويين و اغلبهم (بروتيستانت) التي تدين للمملكة المتحدة والارتباط ببريطانيا[102].

إذن فتقسيم الجزيرة الأيرلندية كان طبقا لقانون حكومة أيرلندا الصادر عام 1920 إلى قسمين : جمهورية أيرلندا المستقلة في الجنوب 26 مقاطعة ،أما شمال أيرلندا أو "أولستر" Ulster ، فقد كانت تتكون من 9 مقاطعات حتى عام 1920 بعد هذا العام تم استقطاع ثلاث مقاطعات – كان أغلبها من الكاثوليك – من شمال أيرلندا، و ضمها إلى أيرلندا الجنوب التي قطعت صلتها بالمملكة البريطانية المتحدة، وصارت جمهورية أيرلندا المستقلة في عام 1949. إلا أن شمال أيرلندا أبقت على انتمائها للمملكة البريطانية المتحدة بذلك فقد كانت المقاطعات ال 26 في الأساس كاثوليكية، بينما كانت المقاطعات الستة بروتستانتية في المقام الأول[103]. وظلت –حتى الآن– المقاطعات الستة المتبقية في أيرلندا الشمالية جزءا أصيلا من المملكة البريطانية.ومن ثم فإن السبب الرئيسي للصراع في الجزيرة الأيرلندية يرجع إلى انقسام كاثوليك أيرلندا الشمالية أو Ulster عن كاثوليك أيرلندا الجنوب، منذ عام 1920، وتفضيل الطائفة البروتستانتية الانتماء إلى المملكة البريطانية المتحدة على البقاء أو الانضمام الى ايرلندا الجنوبية و هو مطلب الطائفة الكاثوليكية و هو ما افرز انقسام الأحزاب في أيرلندا الشمالية إلى طائفتين (كاثوليكي و بروتستانتي). لذلك أكثر من 50% ينتمون إلى التوجه البروتستانتي، يأملون في البقاء على انتمائهم للمملكة البريطانية المتحدة، بينما تشكل البقية (أقل من 50%) الكاثوليك الرومانيين الذين يأملون بدورهم في الالتحاق بالأغلبية الكاثوليكية (3.5 ملايين الموجودة في جمهورية أيرلندا بالجنوب[104]وكل هذه الخرائط و غيرها تعبر عن الانقسام الطائفي و عن نسب الكاثوليك و البروتيستانت في ايرلندا الشمالية.

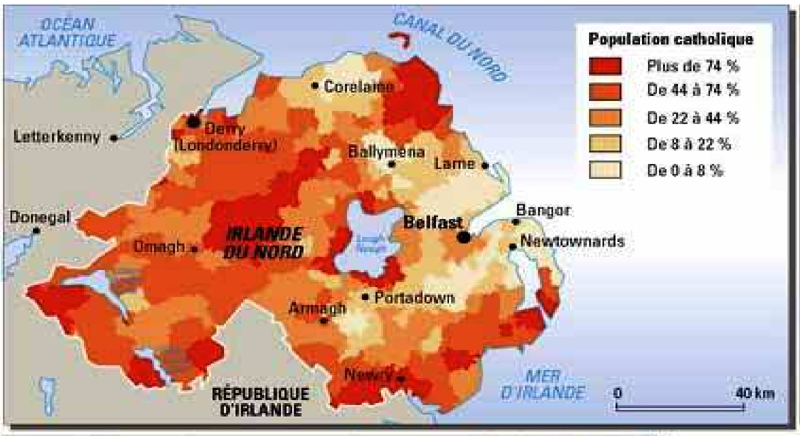

102 - Forker (Martin),"**The Role of Motherhood Symbolization in the Conflict Imagery of Northern Ireland** " Visual Culture & Gender, Vol. 2, 2007 an annual peer-reviewed international multimedia journal p73

103- الكيلاني (عبد الوهاب)،**الموسوعة السياسية ، الجزء الأول[أ– ث]** ،(**المرجع السابق الذكر** ص 436 .

104- Forker (Martin),"**The Role of Motherhood Symbolization in the Conflict Imagery of Northern Ireland** " ***Op ;Cit*** p 73

الانقسام الطائفي في ايرلندا الشمالية

Religious Divisions in Northern Ireland

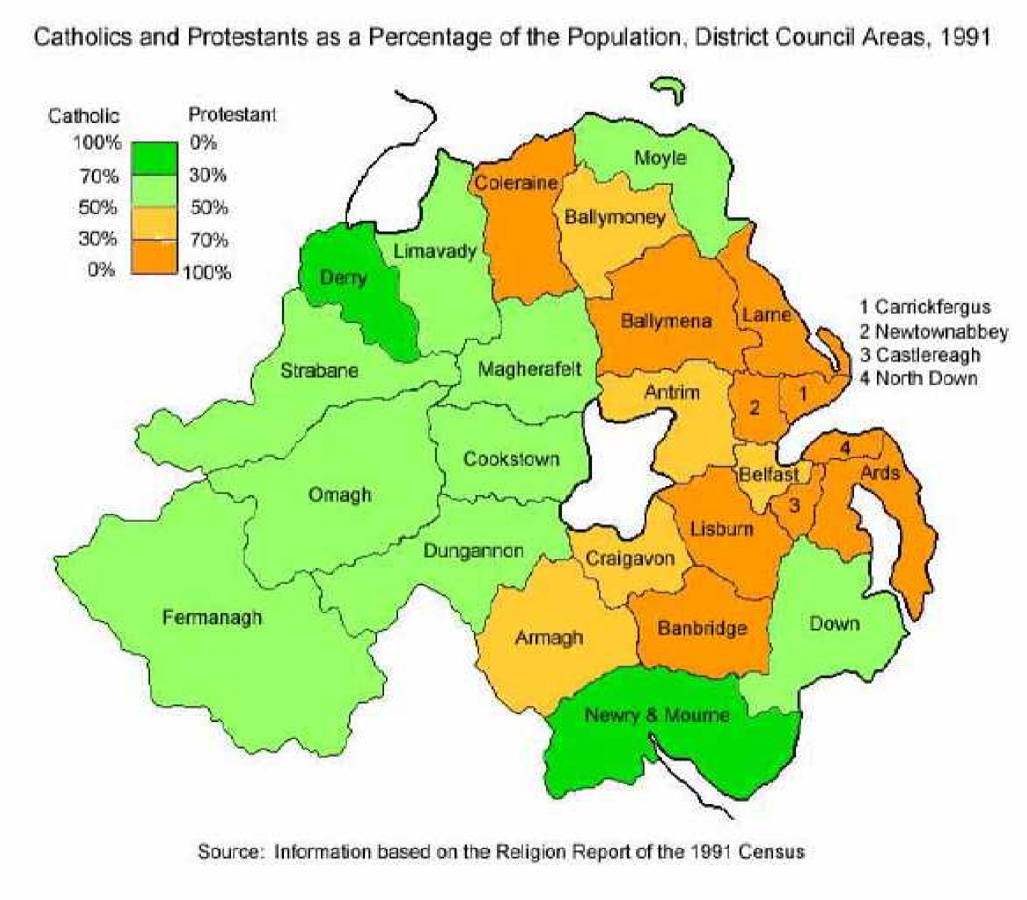

دون الاستغراق في المراحل المتتالية للصراع عبر أربعة قرون، يمكن للتاريخ أن يتجدد حديثا، أو يتأجج نتيجة قرارات سياسية، بيوم حاسم آخر هو يوم استقلال الجمهورية الإيرلندية بحدودها الحالية عام 1921م. الواقع أنّ بريطانيا أعطت من "الاستقلال" لأرض مجاورة استعمرتها، المقدارَ الذي اضُطرت إلى إعطائه اضطرارا تحت مفعول القوّة من خلال تحرك الجيش الإيرلندي السري ولكنّها احتفظت بست مقاطعات هي ما يسمّى منذ ذلك الحين "إيرلندا الشمالية"، أمّا الجمهورية الإيرلندية التي حصلت على الاستقلال، فقد أخذت المقدار الذي استطاعت القوّة المسلّحة انتزاعه، و لم تكن بعد استقلالها قادرة على "تحرير" الجزء الشمالي أيضا، كما أنّ "جيش التحرير الإيرلندي" نفسه تحوّل آنذاك إلى جيش نظامي للدولة الجديدة، التي أقدمت على الأقلّ على تثبيت "المطالبة" باستقلال شمال أيرلندا في دستورها، وهو البند الذي تضمّن "اتفاقُ السلام"فيما بعد عام 1998م تم إبطال مفعوله مقابل تحقيق أشكال معيّنة من الحكم المشترك في إيرلندا الشمالية.

- تأجج الصراع بعد 1969

كانت العودة لمجرى الحرب الطائفية الأصولية المتطاولة عبر القرون، في أواخر الستينات من القرن الميلادي العشرين، فكمـــا في عام 1966 ، اشتعلت الاضطرابات التي أدت إلى 30 عام من الصراع المسلح في أيرلندا الشمالية وقعت عام 1969م أيضا موجة صدامات عنيفة بين الكاثوليك والبروتستانت،- بسبب إصرار الأغلبية البروتستانتينية على إبعاد الأقلية الكاثوليكية، مما أدى إلى حدوث أعمال عنف بين جيش الجمهورية الأيرلندية IRA الذي كان يرغب في توحيد شمال أيرلندا بالجمهورية الأيرلندية، وبين الأيرلنديين الموالين للمملكة المتحدة وأسفرت هذه المرة عن مقتل 3200 شخص، وكان أشد الصدامات عنفوانا في مدينة "ديري" و هو ما جعل حكومة لندن توفد "القوات العسكرية النظامية" إلى أيرلندا الشمالية لإفشاء الأمن لاستعادة النظام فاقتحمتها يوم 1969/8/14م[105]، إذ كانت قبل ذلك الحين تكتفي باستخدام قوات الشرطة، وكان ذلك الإجراء هو السبب المباشر من وراء تشكيل منظمة "الجيش الإيرلندي السري" أو إعادة تشكيلها عام 1970م، و سرعان ما تصاعدت أعمال العنف مع الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت (جيش الجمهوري الايرلندي) و الجماعات الشبه العسكرية الموالية للحكومة و وردت حملة عنف ضد الطائفة الكاثوليكية[106]. وازداد الموقف سوءا ،حيث ظن الجيش الجمهوري أن حل هذا الصراع لا يكون سوى بالوحدة ، لكن ظلت بريطانيا ترفض ذلك على اعتبار أن الأكثرية البروتستانتية ترفض هذه الوحدة و على اعتبار أنها ستكون نوعا من التسلط الكاثوليكي على الأقلية البروتستانتية في أيرلندا كاملة.

فعلق برلمان ايرلندا الشمالية وفرض الحكم المباشر من لندن. و هو ما جعل الجماعات شبه العسكرية تشن حملات العنف لتحقيق أهدافهم. إذ نفذ الجيش الجمهوري الايرلندي هجمات بقنابل وبندقية في بريطانيا وأيرلندا الشمالية التي استهدفت الشرطة والجنود والسياسيين والمدنيين.أما القوات شبه العسكرية الموالية للحكومة فقد استهدفت الكاثوليك ويندرج هذا في اطار عمليات القتل متبادلة. آنذاك فقط تحوّلت القضية في الأدبيات السياسية الغربية إلى قضية "إرهاب" وقد بلغ سريعا مع "الإرهاب المضـــاد" ذروته الأولى وكان يوم "الأحد الدامي" في 1972/1/30م هو الأكثر عنفاً من حيث الصراعات المندلعة في أيرلندا الشمالية ، عندما أطلق الجنود النيران من الحكومة البريطانية على متظاهرين من الكاثوليك غير المسلّحين خطأها الفادح ، فقتلوا في مدينة "ديري" 14 شخصا، فانفجرت الأزمة وبلغ عدد القتلى في الصدامات التالية من العام نفسه 474 شخصا. و لم تتراجع بريطانيا عن سياسة "قمع العنف بالعنف" بقرارها حلّ المجلس النيابي المحلي في ستورمونت في إيرلندا الشمالية، وإعلان تبعيتها المباشرة لإدارة الحكومة المركزية في لندن[107]. وفي عام 1985 ، تم توقيع الاتفاقية الأنجلو أيرلندية بين المملكة المتحدة وأيرلندا والتي أقرت باستمرار أيرلندا الشمالية على استقلالها عن الجمهورية طالما أن هذه هي رغبة الغالبية العظمى في الشمال وفي عام

[105] - IBRAHIM (MOHAMMED), **Understanding Peace Building Process in Plural Societies**, **And Lessons Learnt from Post Conflict Northern Ireland** Op;Cit p4

[106] - Forker (Martin), **The Role of Motherhood Symbolization in the Conflict Imagery of Northern Ireland** Op;Cit p 73 .

[107] - IBRAHIM (MOHAMMED), **Understanding Peace Building Process in Plural Societies**, **And Lessons Learnt from Post Conflict Northern Ireland** Op;Cit p5

1998، وقع قادة بريطانيا العظمى وجمهورية أيرلندا اتفاقية الجمعة العظيمة [108] في عام 2005 طالب الجيش الجمهوري الأيرلندي على الملأ وضع حد لحملته المسلحة. وفي الثامن من ماي ، عادت السلطة إلى أيرلندا الشمالية و أصبحت لها حكومة بعد مفاوضات استمرت ست سنوات .

و لكن إذا أنهى السلام جولة اقتتال دام 25 عاما، فهل يمكن اعتماده لإنهاء صراع مستمر، كان قد مضى عليه 409 سنوات يوم عقد الاتفاق؟.. ألا ينبغي أن يقترن بجهود مكثفة في ميادين أخرى، كيلا ينفجر الوضع مرة أخرى نتيجة عمليات ما كالتي حدثت يومي 8 و2009/3/10م؟..

المطلب الثالث : تحليل دور الدين لحالة الصراع في ايرلندا الشمالية

لقد تتبعت الأعمال في الآونة الأخيرة العديد من الطرق التي يغذي بها الدين الجماعات في الصراع. وبناء على هذا المطلب ، سوف يتم الإشارة إلى بعض الميول العامة أو الآليات التي جعلت الدين عاملا مهما للصراع ، كما يهدف إلى الإسهام في تحليل طرق متعددة الحدود الرمزية التي يمكن بها أن تعزيز الحدود الاجتماعية والمعارضات السياسية المنفردة للمساعدة في توضيح الدور الذي يمكن للدين أن يلعبه في الصراع المتعدد الأشكال.

1- الرأي المؤيد لدور الدين في الصراع الايرلندي الشمالي:

كثيرا ما يستخدم مصطلح 'الطائفية' في ايرلندا الشمالية ، هذا السياق يستخدم ليعني الكراهية المتبادلة بين البروتستانت والكاثوليك. الطائفية هنا هي "اكثر من أيديولوجية أو مجموعة من الممارسات أو من مزيج من الإجراءات الفردية : الطائفية تسيطر على كل جانب من جوانب الحياة" في ايرلندا الشمالية.يقول كلايتون أنه"***ليس هناك موضع شك في أن العداء في المجال الديني كان موجودا و متبادلا والنظام على المدى البعيد كان و لا زال يعاني من عيب الدنو الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة بين أعضاء في طائفة واحدة ،كانت تلك الطائفة هي الكاثوليك***" . و ترديد الكثير من التسميات 'البروتستانتية' و 'الكاثوليكية' المستخدمة من قبل المطلعين أنفسهم يشير إلى أهمية الدين، الذي هو في الحقيقة واحدة من السمات المميزة عن بقية المملكة المتحدة. و يقول روز أن الجميع تقريبا اذا ضغطت عليهم يحددون أنفسهم مع هوية مجموعتهم دينية ومع ذلك فإنه ليس من المستغرب أن يتم تسليط الضوء على التقسيم الاثني في معظم الأحيان في الكتابات الأكاديمية ، وكذلك في وسائل الإعلام على حد سواء فهو حسب Aughey من بين العناصر الفاعلة في أدوار كالكاثوليك والبروتستانت و رغم ذلك كانت ملاحظته ان ايرلندا الشمالية هو مجتمع 'تخلله الصور الدينية والطائفية'،فمن الناحية العرقية يعتقد الايرلنديون أنهم ينحدرون من السلالات السلتية إلا أن أهم عامل أفرز الشعور بالأقلية في هذا البلد يكمن في الدين.

[108] – وقد رأى كثيرون أن اتفاق "سلام الجمعة الحزينة"كما يسميها البعض يوم 1998/4/10م، حقق أهدافه عبر الموافقة عليه يوم 1998/5/22م –في إيرلندا الشمالية بنسبة (71,12) في المائة وفي إيرلندا (المستقلة) بنسبة (94،39) في المائة.

أما عن إبراز دور الدين في تلك الانفصالات فقد بدأ منذ أن تدخلت الكنيسة الأنجليكانية المتعلقة بالملك و البرلمان الى ايرلندا في عهد إلزابيت من أسر تيودور و هو العهد الذي اعتنقت فيه انجلترا دين البروتستانتية و أخذت من هذا المذهب منطلقا تبشيريا في ايرلندا لكن هذه الديانة لم تجد لها نفوذا إلا في مقاطعة أولتير في شمال ايرلندا أما باقي البلاد فكانت تمارس السلطة الأكليريكية دون أتباع و هو ما أشعل نار التعصب و أباح استثمار ايرلندا و مصادر الكنائس الكاثوليكية .... و استرقاق الايرلنديين و اضطهادهم و ذلك بفرض الضرائب الخدمات التي كانت وراء ثراء الانجليكان خاصة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر و هو التاريخ الذي بلغ فيه التعصب أوجه حيث فصل فيه بين البروتستانتي"الممتاز" و بين الكاثوليكي "المستحقر و المستضعف " لأي درجة تحريم ارثه لواحد من عائلته اذا كان بروتستانتيا و هذا ما يفسر المقاومة المستمرة للكاثوليك ضد البروتستانت كما يفسر أيضا مواصلة ممارسة الكنيسة الكاثوليكية تعليم مؤمنيها و توجيههم و تغذيتهم بالمبادئ القومية الانفصالية ضد انجلترا .[109]

لذلك فالكثير من البحوث الأكاديمية تأخذ الانتماء الديني باعتباره خط الانقسام لدراسة الصراع في ايرلندا الشمالية على سبيل المثال ، Aunger، Boyle؛ Compton، Osborne و حتى سياسة الإسكان العامة كانت مرتبطة بالقيود التي تفرضها الفجوة الدينية واشهر اقتراح يفضي بأن الصراع في ايرلندا الشمالية هو ديني كان Steve Bruce ، وهو عالم اجتماع الدين في المناقشة التي عقدت في جامعة الملكة في بلفاست في أعقاب نشر عدد من الكتب حول ايرلندا الشمالية ، بما في ذلك كتاب **'حفظ الله الستر!"** 'God Save Ulster!' لسنة (1986) ، أعلن أن التقسيمات الدينية هي سبب الصراع[110]' : الكاثوليكية والبروتستانتية هي في طبيعة جوهرها متعارضة . و من المؤكد أن هناك أدلة على أهمية الدين بالنسبة للحياة اليومية للطرفين :

1.يقول وايت في هذا الصدد أن الكنائس أيضا لديها مجموعة واسعة من وظائف اجتماعية فرعية و نظام الأورانج مثلا، مفتوح للبروتستانت من جميع الطوائف و مغلق للكاثوليك ، إضافة الى تأثير ذلك النظام في السياسة الوحدويين ، لا سيما في الفترة الحكومة الوحدوية ، وكثيرا ما تصر منظمة أورانج على أنها في المقام الأول من المنظمات الدينية المحضة او الخالصة .[111]

2.التزاوج البيني عبر الانقسام البروتستانتي الكاثوليكي ، لا تزال منخفض للغاية فمن اليوم الأول يُفشل في جميع الكنائس ،إذ وجد روز وعددا من الدراسات التي قام بها باكلي و ماكفرلين و غراهام في وقت لاحق أن أربعة فقط من كل مائة تتزوج عبر خطوط دينية البروتستانتية –الكاثوليكية على الرغم من أن هذا المستوى المتدني من حالات

---

[109]- بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** مرجع سابق الذكر

[110] - Clayton, P. **Religion, ethnicity and colonialism as explanations of the Northern Ireland conflict**. In Miller, D. (Eds) Rethinking Northern Ireland: culture, ideology and colonialism (London by Longman: Longman 1998) p 44.

[111] - Ibid p45.

التزاوج المختلط يختلف من مكان الى آخر ، إلا أن هذه الدرجة من الزواج المختلط تنشأ جزئيا و بشكل خاص من موقف عدائي لكنيسة الروم الكاثوليك في الزواج مع غير الكاثوليك ، في ظل شعب 'متعارض' دينيا. حسب وايت لا يرجع ذلك جزئيا إلى العزل السكني -حيثما وجد الكاثوليك غاب البروتستانت - لكن أساسا في الفصل التربوي — مدارس خاصة لكل طائفة – فجميع المدارس هي إما للدولة الداعمة (مع رجال الدين البروتستانت في مجلس محافظة) أو الكاثوليك، وغالبية الناس .

على نحو غير عادي و رغم الاهمية التي أوليت للدين باعتباره عامل رئيسي في الصراع الايرلندي، إلا ان البعض يربطه بعوامل اخرى على الرغم من الدور البارز للدين في ايرلندا الشمالية ، واختلافات عقائدية الفعلية قليلا ما ينظر اليها باعتبارها السبب الأساسي للصراع منهم Brewer). و Bruce نفسه يضيف الى صراع ديني 'الاختلافات في اللغة والهوية الاثنية والظروف الاقتصادية' كانقسامات الأساسية و يؤكد أن 'صياغة المصالح السياسية من شأنه أن يعمق ويعزز الانقسامات الدينية'

3. فـــ Rose مثلا و جد ان الدين و الجنسية من أهم المؤشرات في المواقف السياسية ، و يطرح فرضية أن السبب الأساسي للصراع عويص للغاية لأنه حول الدين و الجنسية و التي هما خلافا للمنافع المادية غير قابلة للمساومة

4.من الواضح تماما أن الكتاب مثل Wallis ، Bruceيتبعون دوركايم في رؤيته للدين باعتباره علامة،أو رمزا لشئ آخر ، بالنسبة له الدين كان رمزا للمجتمع ، وطقوسه تعمل على الحفاظ على التضامن الاجتماعي ؛ والدين هو علامة على الهوية في حالة من الصراع بين الجماعات خاصة في ايرلندا الشمالية. بروس عمل على تأكيد ذلك على النحو التالي :

"... بالنسبة لبروتستانت ، الصراع في ايرلندا الشمالية هو صراع ديني... الأيديولوجية الوحيدة القوية التي يمكن أن توفر أساس للوحدويين هي الإنجيلية البروتستانتية. وهكذا ، على الأقل بالنسبة لجانب واحد من طرفي المعركة و بقدر أيديولوجية البروتستانت الانجيليين المعنية ،و الوحدويون العلمانية ،فالصراع في ايرلندا الشمالية هو ديني، إلى حد كبير فالمسيحية الليبرالية أو العلمانية أعدت للاعتراف ، بالصراع الديني ".[112]

5.الصراع في ايرلندا الشمالية هو "بين المجتمعات التاريخية ، وبأشكال متباينة من أبعاد متعددة بدلا من بعد واحد من الفروقات". في ايرلندا الشمالية ، الطائفة التي تنتمي اليها جزء لا يتجزأ من الهوية الخاصة بك. الكاثوليك و البروتيستانت و التعامل مع بعضهما البعض ليس فقط كأفراد و إنما كأعضاء ممثلين للطوائف ، وضعية تعارف الناس على دين آخرين ، غالبا ما تكون عن طريق استخدام الدلالات مثل الاسم أو المكان الذي يعيشون فيه. هذا الشيء".. يحدد معالم محادثة.." ولها تأثير كبير على الطريقة التي ينظر بها كل منهما الآخر. فالتفاعل بين أفراد من طوائف مختلفة غالبا ما أبقى على المستوى السطحي من المعايير الثقافية.

---

[112] - Ibid. p 5 .

Akenson.6 يبين كيف أن الشعور الديني لشعب الله المختار كان تاريخيا متشابك مع معنى أن تكون مستوطن في اشارة للطائفة البروتستانتية ، وكيف أن هذا يميل إلى جعل تلك الجوانب من الركود الديني يمكن أن تنتقد عدم المساواة بين الطائفتين .

7.كل من Mitchell و Ganiel عملا على اظهار كيف يمكن أن تتشابك المسارات الدينية و السياسية للأفراد. . أما ايستوب Easthope فقدم وجهة نظر مختلفة في فهم الصراع بأنه حرب دينية بمعنى أن " الكنائس في الصراع هي تعبير عن الموالين والجمهوريين ، لكل منهم لديه طقوسه الخاصة ، و رموزه وتقاليده'.

8.الدين و الاثنية بوصفهما تفسيرا لمشكلة ايرلندا الشمالية Brewer و Leichty و Clegg يظهرون صعوبة الفصل بينهما، اما رايت يعتبر ان ايرلندا الشمالية هي ' حدود اثنية ' بدلا من أن تكون مستعمرة ، على أساس أنها قريبة من بريطانيا لذلك هناك دائما خطأ ، يتمثل في استبعاد التفسير الاثني ، من تهميش وحرمان الذي يعاني منه فئات عاجزة نسبيا لصالح محاولة محكوم عليها في نهاية المطاف بالفشل.[113]
عليه فإن علة في ايرلندا الشمالية وجود الطائفية، إذ تتركز السياسة في ايرلندا الشمالية حول الانقسام الطائفي. في حين أن أنماط التصويت الى حد بعيد تعبير عنه ونتيجة عن هويات مختلفة ، و يمكن أيضا القول بأن بنية الحزب في ايرلندا الشمالية قد أضافت إلى الانقسام بسبب عدم وجود خيار آخر غير الأحزاب على أسس طائفية.[114]

2- الرأى المعارض لدور الدين في الصراع الايرلندي

هناك البعض من الباحثين من يرى في أن الدين ليس عاملا رئيسيا في تفسير السبب الذي يجعل بعض الأطراف تختار وسائل عنيفة كما أنه لا يفسر الاسباب عندما يؤخذ هكذا اختيار ، و لا يشرح ما فعلوا عندما اختاروا ذلك ، فأيا من الأطراف الفاعلة ليست دائما عرضة لأعمال العنف ذات المنطلقات الدينية في المقام الأول والجيش الجمهوري الايرلندي عرف بنفسه من قبل على انه إديولوجية سياسية في المقام الأول بدلا من أيديولوجية دينية ، وأهدافها المعلنة هي دستورية وليست دينية أو ثقافية [115] و عليه فـــ

1.جذور الخلافات العرقية والثقافية تكمن في حقيقة أن هاتين المجموعتين لم تكن أبدا متكاملة بشكل صحيح. من حيث الأصل العرقي ، فالكاثوليك بصفة عامة يرون أنفسهم من نسل الشعب الأصلي الى ايرلندا، في حين أن البروتيستانت هم أحفاد المستوطنين الاسكتلنديين في المنطقة خلال فترة الاستعمار، بينما يرى المستوطنون الأصليين طبقة الكاثوليك غير متحضرة ومتخلفة بسبب ثقافتهم ولغتهم غير مألوفة.

---

113 -- Ibid. p16

114 - Wechselberger(Norman) **The conflict in northern Ireland** : **Report about the political situation in Northern Ireland and its historical reasons** , Op;Cit p 1

115 - Todd (Jennifer) , **Religion and the patterns of conflict in Northern Ireland** Op;Cit p 2

2.جايلي يرى انه لا تزال هناك فجوة اقتصادية التي تسبب إستياء الكاثوليك. فلا شك أن هناك عناصر هامة من ثقافة مشتركة ، ولكن هذا أمر طبيعي في مجتمعات المستوطنين فجميع الاصلاحات التي حاولت أن تعطي الكاثوليك المساواة في المركز والمعاملة قوبلت بالرفض من الايرلنديين الأرستقراطيين و نظام الأورانج ، وبخاصة في أولستر .[116] فالنظام الاقتصادي والموارد من مزارعي أولستر جلبت الرخاء والتصنيع في وقت لاحق الى المنطقة ،و هو ما جعل قادة الكاثوليك تعرب عن استيائها من استيلاء البروتستانت على مواقعهم في المجتمع ،كما ان البروتستانت سعى إلى البقاء و السيطرة على القوانين الجنائية ، والتي كان لها آثار شديدة على الكاثوليك ، فتلك القوانين سطرت "للحفاظ على مجموعتين منفصلتين اثنيا وثقافيا وحالت دون الاندماج.[117] و غياب الاندماج ساعد على بروز مستوى عال جدا من التفرقة في المجتمع الايرلندي الشمالي وبطرق عديدة بين الطائفتين لتعمل بشكل مستقل، فعلى مدى عقود متتالية عانت الأقلية الكاثوليكية في الشمال التمييز على السكن وفرص العمل ، لدرجة أنهم كانوا يعدون في الستينات مواطنين من الدرجة الثانية، عدا عن أن هذه السياسة التمييزية كانت مدعومة من المركز لندن. فبالنسبة للجزأ الأكبر من البروتيستانت و الكاثوليك يعيشون في مناطق مختلفة و يتلقون تعليمهم في مدارس مختلفة، و يحضرون كنائس مختلفة و ينظمون الى نوادي و جمعيات مختلفة،كل هذه الاختلافات بعيدة كل البعد عن العوامل الدينية فهي قد تكون اجتماعية ــــ اقتصادية ، عرقية ، سياسية لكنها غير دينية .

3.كيرنان يعتبر أن مخاطر التدريب الكاثوليك الايرلنديين في تقنيات الجيش البريطاني انخفاض هذه النسبة في نهاية القرن التاسع عشر ، قد يفسر جزئيا بمنظور الكثرة لا بمنظور الاختلاف الديني فازدياد الوضع مقلق للبروتستانت الذي أصبح جرجا طبعا ،جعل البعض منهم يستمر في المعارضة الدينية و هذا لا يعني أن الخلافات الدينية كانت نتيجة لذلك بقدر ما كانت تنظر الى الكاثوليك على أنها أصبحت لها أغلبية انتخابية في أيرلندا فمن قبل لم يكن هناك أي خلافات دينية مثلا بين الأيرلنديين والانكليز الذين صودرت أراضيهم و وضعت تحت الحماية الانجليزية والمستوطنين ، هذا لا ينفي وجود بعض العلامات الثقافية الأخرى للتمييز بين المستعمر و المستعمر منها اللغة و التاريخ و نمط الحياة ، لذلك فالقضايا الحقيقية هي السلطة والنفوذ ، وليست عقيدة .

4.العديد من المستوطنين البروتستانت يرى الكاثوليك- و العكس صحيح - ، العدو الأبدي ، و التهديد الدائم فالبروتستانت ترى الكاثوليك في ايرلندا الشمالية كجزء من تهديد لامتيازاتها الخاصة وطريقة الحياة لأنها كانت موصولة مع الكاثوليك ايرلاندا الجنوبية ، إذ مثلت الأقلية الكاثوليكية في ايرلندا الشمالية نسبة كبيرة جدا.

---

[116] - Clayton, P. **Religion, ethnicity and colonialism as explanations of the Northern Ireland conflict**. op,cit p 13 .

[117]- Wechselberger(Norman) **The conflict in northern Ireland** : **Report about the political situation in Northern Ireland and its historical reasons** , Op;Cit p 3

البروتستانت استخداموا سلطتهم لحرمان الكاثوليك الحصول على السكن الاجتماعي ، والعمالة ، دورا في الحفاظ على الأمن والحياة العامة ، والنفوذ السياسي.[118]

5.الخلفية الاستعمارية و الاستيطانية المعارضة لدور الدين : المنظرون الامبرياليون البريطانيون قد أولوا اهتماما قليلا لأيرلندا ، رغم أنها كان تعتبر أطول و أقدم مستعمرة في بريطانيا ، والقلة الذين يفعلون ذلك تتجاهل إلى حد كبير دور المستوطنين في الشمال و تميل إلى التقليل من دور المستوطنين ، والآثار المترتبة على الاستعمار الايرلندي الكاثوليكي.أما في حسابات كل من الماركسيين والجمهوريون فقد ركزوا و لأسباب مختلفة ، على الامبريالية وقضية المستوطنين في ايرلندا الشمالية و بعض الكتاب أمثال لوستيك ماكدونالد مور المهتمين بايرلندا الشمالية قبلت فكرة أن المستوطن من أصول الاستعمارية في المقاطعات الست لا تزال تلعب دورا هاما في توضيح المأزق الذي مر به الصراع في ايرلندا الشمالية أكثر من فكرة الدين [119] . إذ تحتفظ ايرلندا الشمالية بالعناصر الرئيسية لمجتمع المستوطنين ، فالبروتستانت والكاثوليك لا تزال تعتبر مجموعات متميزة ومصالحهم السياسية متعارضة غير طائفية مع جذب الأحزاب السياسية الشاملة لأقلية صغيرة من الأصوات. هنا كثير من البروتستانت لا تزال ترى الغالبية الكاثوليك تهديدا في التصويت لصالح الأحزاب الطامحة إلى دولة ايرلندا. أجهزة الأمن ما زال ينظر إليها من طرف العديد من البروتستانت على انها أكثر أهمية من 'الحديث مع العدو'.

6. يعامل Namier Lichtheim الدين بوصفه أيديولوجية الشرعية لتوسع الامبراطورية في القرن السادس عشر ، فقد جاءت السياسة الخارجية الإنجليزية في صراع مع الدول الكاثوليكية في أوروبا على نحو متزايد ، وكان عتبة بابها الخلفي كاثوليك ايرلندا ،و كان ينظر اليها كمحاولة جديدة للسيطرة على ايرلندا و قد حدثت بالمعنى السياسي و هنا الدين كان عاملا في الصراع ، ولكنه كان عاملا سياسيا. [120] بمعنى استخدام الدين لأغراض سياسية لا غير ، وجعله صراعا دينيا بالمعنى الوارد في الصراع بسبب أنه يعّرف من قيم دينية بحتة و يمكن اعتبار أن الدين يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلطة ومن الواضح في قضية ايرلندا الشمالية ، أن الدين في الكتابات الأكاديمية كثيرا ما ينظر إليه بجوهره السياسي وليس الروحي.بالمثل بقول أندرسون أنه على الرغم من أن إيديولوجيو الوحدويين في الفترة من 1886 و ما تلاها كثيرا ما كانت يعبر عنها بعبارات دينية، رغم أنها في جوهرها علمانية ، لذلك فإن الأهمية السياسية للانقسام الديني قد ينظر اليها على انها ظرفية هنا ؛ بالمقارنة مع المجتمعات مقسمة على أسس دينية ، مثل هولندا وبلجيكا وسويسرا ، ويشير إلى أن الدين ليس المتغير المستقل ، وبأن العوامل المسببة للصراع على ايرلندا

---

[118] - Wechselberger(Norman) **The conflict in northern Ireland** : **Report about the political situation in Northern Ireland and its historical reasons** , Op;Cit p 6

[119] - Clayton, P. **Religion, ethnicity and colonialism as explanations of the Northern Ireland conflict**. Op;Cit p 10-11.

[120] - Ibid p8

الشمالية قد تكون كثيرة .[121]

عموما الانقسامات في ايرلندا الشمالية عميقة : هناك ارتباطات قوية نسبيا وتفضيلات بين الدين المنشأ ، و دعم الحزب السياسي، التفضيلات الدستورية و تحديد الهوية الوطنية ومجموعة من وجهات النظر السياسية حول الأمن والقانون والمساواة و هو ما يجعل من الفروق الدقيقة تضبط ضمن فئات واسعة من بروتستانتية / الكاثوليكية الوحدويين / القوميين ، والبريطانيين / الايرلندين فليس هناك وجود لارتباطات واضحة لنوع من الدين مع نوع من السياسة. في الإبلاغ عن المسح 1968 ،الذي قام به Rose لاحظ عموما أن هناك حفاظ على العقائد ، وعدم وجود ارتباط بين وجهات نظر دينية محددة وجهات نظر سياسية ، مع استثناء واحد هو : قدرا أكبر من رغبة اللجوء إلى العنف السياسي بين الاصوليين المتطرفين البروتستانت من بين متطرفي البروتستانت الليبراليين[122] و مما لا شك فيه أن العوامل السياسية والدينية مهمة في صراع ايرلندا الشمالية وفي العلاقة بين انكلترا وايرلندا ، و يمكن القول أن الدين كان عاملا مهما في جعل البروتستانت و الكاثوليك عالمين منفصلين و مهمين بالتساوي .

3–استنتاجات

تتلخص أهم جوانب الأزمة في ايرلندا الشمالية في

–وجود مجتمعين بينهما اختلافات دينية تتطابق مع اختلافات ثقافية وقومية، فهناك مجتمع البروتستانت ومجتمع الكاثوليك. والمجتمع الأول تشعر الغالبية العظمى منه بأنها ذات هوية وثقافة بريطانية، والثاني تشعر غالبيته بأنها ذات هوية وثقافة ايرلندية ، وانعكس ذلك على التعليم من خلال وجود نظامين تعليميين منفصلين أحدهما كاثوليكي والآخر بروتستانتي (واقعياً).

–لقد ظلت المشكلة الأساسية في ايرلاندا قائمة على أساس التعصب الممارس بين الطائفتين هما الكاثوليك و البروتستانت و هو ما فجر الحرب الأهلية منذ 1969 ضد الأكثرية البروتستانتية مما ابقي ايرلندا غارقة في صراع ديني متعصب تعود جذوره الى خمسة قرون وجعلها أيضا تمثل مصدر إزعاج دائم للتاج البريطاني منذ ذلك الحين و حتى الآن . لأن الأقلية الدينية او اللغوية أو العرقية اذا ما غذاها التعصب تظل تتحين الفرص الى ان تجد التربة الخصبة لها للظهور من جديد كالبركان الخامد و هو ما يحدث في ايرلندا الشمالية حيث شكلت الأقلية الدينية هناك حزبا و جيشا يسمى الجيش السري الايرلندي لضرب أبناء الوطن من غير الكاثوليك و بالأحرى ضرب الانجليز الأجانب و هو ما يفسر توقيع اتفاقية 15-11-1985 بين رئيسة وزراء بريطانيا – مارغريت تاتشر– و رئيس جمهورية ايرلندا و التي أعطت ايرلندا الجنوبية حق المشاركة في حل مشكلة الأقلية الكاثوليكية في ايرلندا الشمالية .[123]

[121] - McMaster(Johnston), **Religion & Conflict: Contributory Causes & Resources for Peacebuilding** , p 5

[122] - Ibid p **7**.

[123]– بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** مرجع سابق الذكر ص 136-137 .

الفصل الثالث

-لقد اخذ الصراع مع الزمن بين الطرفين المتنازعين، من البروتستانت عبر "حزب الوحدويين" (أي مع بريطانيا) والكاثوليك عبر حزب "شين فين" الذراع السياسي لما عُرف بالجيش الإيرلندي السري طابعا دينيا عرقيا، وتحول إلى مزيج متفجر من العقيدة والدين والتاريخ والارض والارهاب والحقوق المدنية، يغذيه في صورة يومية الحقد والغضب والكراهية، وادى إلى ازهاق نحو 36 الف شخص، وجرح قرابة 40 الفا، اكثر من نصفهم من المدنيين غير المحاربين.

-ايرلندا الشمالية ليست مثالا للصراع الديني فقط ، على الرغم من الاختلافات العقائدية أو المذهبية الراسخة التي تلعب دورا هاما في تحديد التطلعات السياسية الرئيسية المتعارضة. فمن المعقول تماما تحليل بأنها مجتمع تعددي ، مع جماعة عرقية واحدة مهيمنة و الاخرى تابعة. فمن غير كاف على الإطلاق أن يتم الاعتماد على عامل واحد في فهم سياقها التاريخي والعالمي. فمن جهة الصراع في ايرلندا الشمالية هو الديني والثقافي ولكن من ناحية أخرى أيضا اقتصادي وقومي-سياسي .

-بعد تاريخ طويل من الصراع الدموي والخلاف العقائدي بين الكاثوليك و البروتستانت ، و حتى بعد اتقاف الجمعة العظيمة ما زال كلّ منهم يحمّل الطرف الآخر مسؤولية الصدام التاريخي فالصراعات بين الطائفتين يمكن أن ينظر اليها على أنها صراع بين الثقافات في الصورة الدينية هذه الاستراتيجية،تستخدمها السلطة بقدر الرموز الثقافية المتاحة. و في النهاية يجب التعامل ، مع حالة الانقسام الطائفي في أيرلندا الشمالية على أنها تؤدي إلى انقسامات متعددة تؤدي بدورها الى العنف لذلك فالكثير من الباحثين يعتبرون صراع ايرلندا الشمالية متعدد الاشكال **والدين هو المعبر الرئيسي عن الاختلافات الاثنية في ايرلندا" وبذلك تساهم في الانقسام الحاصل في جميع المجالات العرقية والاجتماعية او الاقتصادية أو السياسية لأن :**

- التعصب الناتج عن الاختلاف المذهبي في هذا البلد ادى بأبناء الوطن الواحد الى الانقسام على اساس طائفي فنتج عنه تقسيم الارلنديين الى فئتين طبقة بروتستانتية حاكمة و مرفهة و طبق كاثوليكية مقهورة تمارس فيها و عليها كل أصناف التحقير و التدني حتى ان الكاثوليكي لم يتمتع بممارسة حق الوظيفة و الانتخاب و التمثيل البرلماني إلا منذ قرار البرلمان الانجليزي سنة 1829 و المعروف بقانون تحرير الكاثوليك و ذلك تحت ضغوط كثيرة و متعددة .

-إن هذا اللاتجانس الديني انعكس على الوضع الاجتماعي فأفرز انفصالا معنويا بين سكان المنطقة الواحدة (و هو ما أدى خلال القرن الماضي الى الحرب الأهلية) كما افرز كرها شديدا متبادلا بين البروتستانت و الكاثوليك من أبناء الأمة الايرلندية الواحدة و بعبارة أخرى فإن العداوة تمارس بين الانجليز و أتباعهم و ممثليهم(بما في ذلك الايرلنديين البروتستانت) و بين الايرلنديين المستضعفين.

-إن هذا اللاتجانس والانفصال ذاته هو الذي أدى الى احتجاجات سياسية ايرلاندية أخذت شكلا مشروعا في العصابات و الرابطات منذ 1850 كما أخذت شكلا ثوريا مشروعا في جمعية "الفنيان" التي بدات في المهجر (أمريكا) ثم تنقلت الى ايرلندا ذاتها و هي الجمعية التي تهدف إلى إنشاء جمهورية ايرلندا . و بذلك فالانقسام الديني هو من سبب بقية الانقسامات .

لذلك لن تجد القضية بجذورها التاريخية نهايتها بحلول وسطية سياسية تتناول الجوانب السطحية فقط، ولا يبدو أنّها ستجد نهايتها في إطار الجيل الحالي من البروتستانت والكاثوليك على السواء، في ظل استمرار توارثُ الأحقاد، وتجدّدُ أسباب الكراهية المتعلقة بالمسائل العقائدية و الثقافية و هو ما يجعل من الوصول إلي الوحدة بين المسيحيين أمرا بعيد المنال حيث لا يمكن أن يفترض سلفا وجود ثقة بين الطائفتين و هو ما يخلق حالة من المعضلة الامنية و يدخلهما دوامة الشك. إذ أن فرانك رايت خلص إلى أن التاريخ قد أثبت أن صراع أولستر سوف يستمر إلى أجل غير مسمى ، في شكل أو آخر لأن فهمهم للجوانب السياسية و الدينية ، و غيرهما من حياتهم تعتبر متميزة و هو ما يصعب ايجاد نقاط مشتركة بين الطائفتين و هو ما تطرق اليه Loftus.

النتائج العامة لدراسة الخصوصية الدينية للحالات الصراعية الثلاث .

إن فهم طبيعة الصراع يمهد الطريق لحله ، ومن ثم فإن دراسة الحالات- النيجيرية و اللبنانية والأيرلندية- من منظور مقارن، سيسهل إستنباط بعض الوقائع المسببة لمثل تلك الصراعات و بعض الاستنتاجات التي عملت على تسوية او تهدئة صراع دون آخر ،لكن يبقى التساؤل قائمًا حول دقة هذه المقارنات ، و ما الذي يفرق بين تلك الملفات رغم صعوبتهما ، وهل هناك دروس يمكن استخلاصها من الحالات . بالتأكيد هناك فوارق كبيرة بين الصراعات الثلاثة من ناحية خلفياتها التاريخية رغم وجود اوجه تشابه ،و رغم حالات التسوية للصراعات النموذجية التي ظهرت بانتظام في الأدبيات الأكاديمية لحقل العلاقات الدولية ،وصلت حالة ايرلندا الشمالية فقط إلى تسوية سلميه، بالرغم من أن ملف ايرلندا الشمالية كان يصنف على انه واحد بين المشاكل السياسية المستعصية و من اكثرها تعقيدا وصعوبة في العالم بسبب خلفياته التاريخية وتراكمات عقود من العنف بين طرفي الصراع الرئيسيين،فيما بقي الصراعين الآخرين بعيدين عن الحلول السياسية على الرغم من المحاولات المتكررة (اتفاق الطائف مثلا) و هو ما يوحي بأن خصوصية الاختلافات بين الحالات الثلاث قيد الدراسة تحول دون التسوية في الحالتين الاخريتين، و في لبنان على وجه الخصوص؟ لذلك اعتبر الملف الايرلندي النموذج الأنجع ليؤخذ كمصدر توجيه أو دليل لحل أو تسوية الصراعات و منها ما يتعلق بالحالتين اللبنانية و النيجيرية والنقاط التالية تشكل موجز حديث المناقشة التي تلت ذلك و فيها يتم التطرق في البداية الى نقاط تشابه أو تقاطع تلك الصراعات ذات الخصوصية الدينية و التي تمثل مجتمعة عوامل متكاملة لحالات صراعية متنوعة بينما يتعلق الباقي بابراز التناقضات او الاختلافات التي لمسناها بين مختلف النماذج الثلاثة و التي تبرز أكثر من سابقاتها أسباب تأخر و صعوبة تسوية تلك الملفات أو تسوية ملف دون آخر .

I-**التشابهات**: تتمثل على النحو التالي

1.جميع الجماعات الدينية أو الطوائف في نيجيريا أو لبنان أو حتى ايرلندا يحددون انتمائهم الى هوية مجموعتهم الدينية بدل انتمائهم الى الهوية الوطنية في نيجيريا إذا ما سألت نيجيري يقول أنا مسلم أو مسيحي دون أن يقول انا نيجيري

الفصل الثالث

أيضا نظرة اللبنانيّ الى نفسه بوصفه منتمياً لا الى دولة بل الى جماعة دينية .وهو أمر يبقى، حتى إشعار آخر، غريباً عن التقليد "السياسيّ" المعتمد، منذ قرون، في عموم العالمين العربي والاسلامي. ذاك أن الفرد، هنا، لا يتقدّم بوصفه مواطناً مساوياً لأيّ مواطن آخر في الحقوق والوجبات، بل يحضر بوصفه ابن دين أو طائفة أو اثنيّة أو منطقة

2.كل من نيجيريا و لبنان و ايرلندا الشمالية تمثل ظاهرة تنافس الطوائف الدينية على السلطة إضافة الى ذلك تمثل حالة شمال أيرلندا الخضوع لدولة دون الموافقة على مثل هذا الخضوع فشمال أيرلندا يدار من قبل المملكة البريطانية المتحدة، بالرغم من عدم وجود اتفاق بين الأيرلنديين على ذلك .

3.لقد عانت كل من الحالات الثلاث من سياسة استعمارية عمقت تلك الاختلافات الدينية و التي كانت تستخدمها كورقة رابحة لتحقيق مصالحها في المنطقة.

4.السياسة الاستعمارية البريطانية و بدرجة أقل الفرنسية ومحاولاتها المتكررة في احياء نار الفتنة الطائفية في النماذج الثلاثة فدور السياسة الاستعمارية البريطانية الفعال في نيجيريا أدى الى تقسيم البلاد الى مجتمعين أولهما اسلامي و الآخر مسيحي كما أدت تلك السياسة مفعولها من خلال زيادة حملات التنصير لدرجة تحويل المجتمع النيجيري ذي الأغلبية الإسلامية إلى مجتمع إسلامي مساو مع المجتمع المسيحي و هو ما تم فعلا في لبنان من خلال خطوات مثلت بذور الصراع و الحرص على إظهار الاختلافات و العداوة بين الطوائف التي طالما كانت متعايشة سلميا قبل تلك التدخلات و ليس أدل و أوضح على ذلك من دور السياسة الاستعمارية البريطانية الأكمل من حالة ايرلندا الشمالية إذ عملت على غرس بذور الكراهية و العداوة بين الطائفتين.

5.التشابه بين الأزمة السياسية في ايرلندا التي تتكون من الكاثوليك الراغبين الانضمام الى جمهورية ايرلندا والبروتستانت المؤيدين للوحدة مع المملكة المتحدة والأزمة اللبنانية التي لها ارث تاريخي مماثل للأزمة الايرالندية، فأوجه الشبه قاصرة في طول الزمن و الإرث التاريخي لكليهما.

6.عملية السياسية في الحالات الثلاث تخضع في نهاية الأمر إلى التقسيم الطائفي أو المذهبي .

7.شأن الأغلبية في الحالات الثلاث لم يُحسم بعد ، فالطوائف المسيحية أو الإسلامية في نيجيريا دائما ما تحاول أن تظهر بمظهر الأغلبية. وكذلك الوضع بالنسبة للبنان و ايرلندا الشمالية .

8.محنة الكاثوليك في ايرلندا الشمالية مماثلة لمحنة المسيحيين و الإسلاميين في نيجيريا أو مختلف الطوائف في لبنان -- من حيث الطبقية و عدم وجود حقوق متساوية بين طوائف فكل من الحالات الثلاث تعاني من تمييز ما ، ففي نيجيريا نجد التمييز بين الطائفة الإسلامية للمسيحيين في الشمال و الطائفة المسيحية للمسلمين في الجنوب بينما شمال أيرلندا،نجد تمييز الأكثرية البروتستانتية عن الأقلية الكاثوليكية و بينما يتم التمييز في شمال أيرلندا تجاه الأقلية، فالتمييز في لبنان يتم في أكثر من اتجاه ،أما الطبقية في نيجيريا فتظهر من حيازة المسيحيين على جميع الوظائف السامية و التعليم المتميز و المال و التكنولوجيا و المتمركز كله في الجنوب بينما الشمال الذي تقطنه الأغلبية المسلمة حظي على أقل فرص للتعليم و الوصول إلى الرتب العليا في ظل اعتماده على الزراعة و الرعي كمصدر أساسي للعيش مقابل اعتماد

المسيحيين على النفط و الصناعة و هو نفس السيناريو في لبنان حيث تميزت الطائفة المسيحية المارونية بامتيازات سواء في السياسة أو الاقتصاد و استثمارات لدرجة تقسيم لبنان إلى مجتمع طبقي ينافس صفته الطائفية و لم يقتصر هذا التقسيم الطبقي على الطائفة المارونية اتجاه الطائفة السنية بل تعداها إلى الشعور بالطبقية بين أفراد طوائف الديانة نفسها (المارونية و بعض الطوائف الروم الكاثوليك و الروم الأرثوذكس ... أو السنية و ارتقائها على حساب طائفة الدروز و الشيعة هذه الأخيرة التي كانت تعاني الكثير من المشاكل الاجتماعية أولها الفقر و التخلف مرورا إلى عدم تحقيقها لمكانة موازية و مع غيرها من الطوائف سواء اجتماعيا أو سياسيا و ما انطبق على نيجيريا و لبنان ينطبق على ايرلندا الشمالية.

9.دعم القضايا الصراعية حسب المصالح الإستراتيجية للأطراف فالمصلحة الإستراتيجية البريطانية في شمال أيرلندا تتمثل في مساعدة البروتستانت هناك، وإنقاذهم من الوقوع بالغصب في اتحاد مع الجمهورية الأيرلندية الكاثوليكية، و التي تعتبرها بريطانيا قضية محلية بينما المصلحة الإستراتيجية في لبنان تمتد إلى دول خارجية منها السعودية التي تدعم الطائفة السنية و إيران التي تدعم وجود الطائفة الشيعية و تخوف كل من الطرفين الداعمين لهاتين الطائفتين من تغلب إحداها على الأخرى .هذا الدعم الذي يفسره وجود مصالح للأطرف المتدخلة في النموذجين اللبناني و الايرلندي يغيب جزئيا عن حالة نيجيريا التي لم يكن للطائفة الإسلامية القدر الكافي من الدعم من طرف الدول الإسلامية مثلا رغم عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي في حين أن الطائفة المسيحية كانت أوفر حظا و ظهر ذلك جليا من خلال دعم المؤسسات الدينية و الكنائس في العالم الغربي و التي مثلت خاصة حملات التبشير المسيحية التي حولت طيلة نصف قرن عددا لا يستهان به — الملايين – من النيجيريين من الإسلام و الديانات الوثنية إلى المسيحية و التي قدرت بتحويل 1بالمئة إلى 40 بالمائة من النيجيريين إلى التعاليم المسيحية خلال نصف قرن.

II– **المتناقضات** تتمثل على الوجه التالي:

1.يمكن تصنيف الصراع في نيجيريا على أنه صراع بين ديانتين مختلفتين إحداهما مسيحية و الأخرى إسلامية بينما يصنف الصراع في ايرلندا الشمالية على أنه صراع بين طائفتين ذات مذهبين مختلفين " البروتستانتي و الكاثوليكي " لنفس الدين و هو المسيحية أما الصراع قي لبنان فهو متعدد الأوجه يحتل موقع الوسط إذ أنه مزيج بين الأول و الثاني فهو يعتبر صراع بين المسلمين و المسيحيين كما أنه يضم صراعين أولهما السنة و الشيعة و الآخر بين المارونيين و بعض الطوائف المسيحية و يمكن القول ان النموذج اللبناني يدخل حيز التميز لاستيعابه لأكثر من نوع من الصراعات الدينية إذ يعتبر بحق الحالة الفسيفسائية الجامعة لأكثر من صراع ديني متعدد الأبعاد.

2.الصراع النيجيري و الأيرلندي يمثلان في النهاية صراعا داخليا و مسألة محلية بحتة ، غير أن الصراع في لبنان تعتبر مسألة دولية، بدليل وضعها على أجندة الأمم المتحدة .

3.الصراع الأيرلندي تتزعمه أقلية كاثوليكية، بينما الصراع النيجيري و اللبناني لا يخضعان لزعامة الأغلبية أو الأقلية.

4. الفرق الأساسي هو البيئة المحيطة بالصراع ، فملف الازمة في ايرلندا الشمالية كان يبدو غريبا عن محيطه الذي

يعيش فيه وهو القارة الأوروبية التي تعلمت بعد حربين عالميتين سقط فيهما عشرات الملايين من القتلى كيف تتعايش وتعاون سلميا مع بعضها، وتمكنت من خلق ازدهار اقتصادي لشعوبها نتيجة لذلك، بينما البيئة المحيطة بالملف النيجيري و اللبناني غير مستقرة وتموج بالتوترات و الإنفجارات العنيفة التي تغذي بعضها بما في ذلك الصراع نفسه، وبما يجعل الترابط بين حل الصراع وحل مشاكل المنطقة شديد الارتباط .[124] فمثلا الأهمية الإستراتيجية للمنطقة [الشرق الأوسط] جعلت من الصراع اللبناني قضية بالنسبة للمجتمع الدولي ككل، وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة و إسرائيل و بعض الأطراف الهامشية كالسعودية معقل السنة و إيران معقل الشيعة و هو ما لم نلمسه في الجزيرة التي تنتمي إليها ايرلندا الشمالية أو نيجيريا باعتبارها ضمن القارة الإفريقية المشهورة بالصراعات و الحروب الأهلية بمعنى أن ما يحدث لها ليس بجديد عليها ضف إلى كونها لا تتمتع و ايرلندا الشمالية بنفس الاهتمام الذي يحظى به الشرق الأوسط ومنه لبنان .

5.الأمن كان أكثر إلحاحًا في قضية الصراع الطائفي في لبنان مما كان عليه في ايرلندا أو نيجيريا . حالة لبنان شهدت حروبًا أهلية و إقليمية (مع إسرائيل) ذات تداعيات إقليمية و دولية تأثرت فيها الدول المجاورة كذلك. وبالمقارنة كان الصراع في نيجيريا صامتاً نسبيًا، وتميّز بانخفاض أعمال العنف الكبرى أو الحروب الأهلية .

6.ثمة عامل وجوديّ فاعل في لبنان والذي كان غائبًا إلى حد كبير في حالة نيجيريا أو ايرلندا. ويتضح هذا في حقيقة انه في حين أن أغلبية الطوائف اللبنانية قبلت شكلاً من أشكال التعايش في دولة واحدة- و قد ظهر ذلك من اتفاق الطائف، فإن مفهوم الحل القائم على الانفصال و تشكيل كل طائفة لوضع جديد يسمح لها بحرية اكبر و تمييز اقل يتمتع بقبول واسع في كل من المجتمعات المحلية على الجانبين النيجيري و شمال ايرلندا ففي القضية النيجيرية تأتي مطالب الانفصال من طرف المسيحيين و محاولتهم تأسيس لدولة مسيحية خالصة بعد تطبيق قانون الشريعة الذي مثل في نظرهم فرض و ترسيخ للوجود الإسلامي على حساب الطائف المسيحية هو شبيه بحالة شمال ايرلندا التي وقعت بين شقين كلاهما رافض للتعايش ضمن إطار يسمى ايرلندا الشمالية دون الإشارة إلى انتمائه لطرف دون الآخر فالبروتستانت يريدون الانضمام إلى بريطانيا و يؤكدون انتمائهم الهوياتي إليها بينما يرفض الكاثوليك بقائه كأقلية تابعة لبروتستانت بريطانيا في ظل اقتناعها على انها قادرة على تحويلها إلى مسار يخدم توجهاتها كطائفة و هو الانضمام الى ايرلندا الجنوبية والابتعاد ثم الانفصال عن كل ما هو بروتستانتي بريطاني .

7.تعدد قيادات الطوائف الدينية لحالة لبنان عمل على تعقيد الحالة الصراعية فيها إذا ما قورنت بالحالتين النيجيرية و الايرلندية ، ففي حالة ايرلندا الشمالية كانت القيادة عاملاً حاسمًا في الوصول إلى حل الصراع الديني . إذ كانت القيادة قادرة على قيادة مجتمعهم إلى وضع لم يكونوا يعتقدون انه ممكن في السابق. يمكن القول أن هذه الدرجة من الثقة المتبادلة غائبة في حالة الصراع اللبناني، وأحسن دليل على ذلك هو استمرار إفشال محاولات السلام الرامية إلى

[124]- يرجع ذلك الى كون أن منطقة الشرق الأوسط التي تتوسط القارات الثلاث افريقيا و اوروبا و آسيا لتعتبر من بين أكثر المناطق تأثرا و تأثير على مجريات و أوضاع الصراع في لبنان و العلاقات الدولية لدرجة وصفها من طرف الكثير من المحللين قلب العلاقات الدولية إذ أنها تمثل منذ القدم منشأ الحروب الدينية "الحروب الصليبية " خاصة إذا ما عرفنا أنها الأرض التي احتضنت الأديان السماوية الثلاثة و ما الصراع الفلسطيني الاسرائيلي و الصراع في لبنان إلا مثال حي عن ذلك .

الفصل الثالث

تحسين الأوضاع الأمنية و الوصول إلى الحل الوسط . وهناك عامل هام آخر في ايرلندا هو عزل الفصائل المتطرفة والقبول العام بضرورة وجود ' حل وسط 'فالجزء الأكبر من كلتا الطائفتين اتفق على استراتيجيه يجري تدشينها، في حين انه في حالة الصراع اللبناني فان الطوائف المتشددة على مختلف الجوانب تشارك بصورة كبيرة في التأثير على مسار الصراع الطائفي.

من خلال ما تقدم في الفصول الثلاثة وجدنا أن دور الدين في العلاقات الدولية بالتحديد في الصراعات المدروسة لا تشكل العامل الأساسي و الوحيد في تفسيرها و يمكن القول بعد دراسة و مقارنة متأنية، أن الصراع النيجيري و اللبناني طبقا للفئات الدينية التي قسمها جوناثان فوكس الى صراعات دينية و صراعات الهوية الدينية يدخل ضمن صراع ديني إذ كان الدين قضية رئيسية فبدون مشكلة الدين ما كان للصراع أن يحدث بينما يأخذ الصراع في ايرلندا الشمالية فئة الصراعات الهوية الدينية إذ أن هناك تفسيرات عدة ذات منطلقات متنوعة تأخذ من العوامل السياسية و الاقتصادية ،كما تأخذ من العوامل الدينية و الاثنية و الثقافية لذلك نستطيع القول إذا كان الدين ،يلعب دورا واحد في الصراع في الفترة المعاصرة،فإنه لا يلعب دورا محددا فالمعارضات الدينية ذاتها تتعايش مع أنماط مختلفة تماما من العلاقات الاجتماعية و السياسية ، على سبيل المثال، فإن الدولة الايرلندية و بالرغم من المعارضة الدينية كانت أكثر جدلا، فهناك أدوار تستعصي على الدين القيام بها ،حيث فوارق القوة المؤسساتية ، وعدم المساواة ، والخلافات العرقية و الأهداف القومية و عدم إحراز تقدم سياسي والمشاكل الاقتصادية والتمييز بين المستوطنين و السكان الأصليين في ايرلندا الشمالية تعتبر أيضا مشاكل أنتجت صراعات متعددة و بالتالي تلعب أيضا دورا منافسا، هذا لا يعني أن الدين لا يشكل عامل مهما حيث يمكن الاستغناء عنه في تفسير مثل تلك الصراعات .

الخاتمـــــــة

كان التساؤل عن عدد من القضايا الدولية التي فرضت نفسها على دراسة العلاقات الدولية ، و ما سيصبح عليه وضعها عقب التغيرات و التحديات التي فرضتها تلك المرحلة من العلاقات الدولية السبب في إبراز الاهتمام لمجال و تراجعه في آخر، و كانت الثقافة من بين القضايا التي حازت على الاهتمام الأكاديمي الغير المسبوق في تاريخ تطور العلاقات الدولية و ارتباطها بمجال الصراعات خاصة المعاصرة منها فكثيرا ما تثير مثل هذه القضايا الدولية نقاشات أكاديمية متميزة و تضيف الى حقل العلاقات الدولية الزخم اللازم لاستمرارية حركية تلك المجالات نظريا و واقعيا ، إذ تعتبر هذه الدراسة حالة تجمع بين اثنين من أهم القضايا التي نوقشت مؤخرا في حقل العلاقات الدولية و السياسية و إن كانت معظم تلك النقاشات تهتم بدراسة قضية دون أخرى على اعتبار أن لكل منهما مجال أكاديمي مختلف عن الأخر، فالبعد الثقافي لطالما كان بعيدا عن التنظير الأكاديمي بل و ظل في هامش كونه يفتقر الى الدقة و يصعب قياسه مقارنة بغيره من الأبعاد التقليدية ، و باعتباره عاملا لا ترقى أهميته كغيره من العوامل التي شكلت بأهميتها تطور الحقل بكل نظرياته . تلك النظرة التي ترجمها التنظير الوضعي بكل عوامله المادية ساهمت في تعميم فكرة التقليل من المكانة العلمية للتنظير الما بعد الوضعي لأجل ذلك خلصت الدراسة الى عدة نقاط نوجزها فيما يلي :

أولا / أضحت مفاهيم الهوية و الدين وثقافة العولمة بكافة جوانبها و في جانبها الثقافي تحظى باهتمام وافر في الادبيات **أصبح العامل الثقافي يحظى بإهتمام وافر في الأدبيات** الحديثة **الخاصة بحقل** الصراعات **الدولية لما لهذا العامل من أثر على العلاقات الدولية**. رغم كونه ليس بالجديد و لكن عدد مرات تكراره و كثافة الاهتمام به زاد كثيرا في أعقاب نهاية الحرب الباردة في ظل بروز مستجدات حول الحروب الداخلية وكثافة الصراعات و الاثنية و الثقافية ، من جهة و تطور النظريات القائمة على الأبعاد القيمية في حقل العلاقات الدولية من جهة أخرى، و هو ما انعكس ايجابا على البعد الثقافي باعتباره منظورا لا يقل أهمية عن بقية المنظورات المهيمنة في العلاقات الدولية و هو ما تمت الاشارة اليه في الفرضية الأولى بالقول أن اتكال معظم محللي الصراعات المعاصرة على مفاهيم بعيدة عن الصبغة المادية و الطرح الوضعي مهد السبيل لظهور منظور ثقافي / حضاري، يأخذ على عاتقه معظم القضايا التي فشلت المنظورات التقليدية من التعرض اليها أو تفسيرها تفسيرا يتجاوب مع معطيات الفترة الحالية. فمؤخرا انصبت الجهود التنظيرية بوجه خاص على توجيه الاهتمام للتنظير المعياري و للمنظور الثقافي في العلاقات الدولية و هو ما يخلق مناخا ملائما للاهتمام بقضايا و مفاهيم معينة كالثقافة ، الحضارة،الدين ،الأخلاق،الهوية و القيم بعد أن تم رفض تعميمات الوضعية و مقولاتها المطلقة فما صبغت به الوضعية نظريات العلاقات الدولية من افتراضات و مبادئ كثيرا ما تم انتقادها و كانت السبب الرئيسي وراء تطوير المنظور الثقافي في العلاقات الدولية .و النتيجة المنطقية المترتبة على ما سبق أن هذا المستوى يفتح الطريق أمام إسهامات حضارية أخرى للتنظير في العلاقات الدولية . و يقبل بها لطالما انها تتماشى و اتجاهه الناقد للأسس الوضعية . فعدم الاهتمام بمكونات البعد الثقافي في مجال الصراعات يجعل من موضوعات دراسة العلاقات الدولية أكثر تعقيدا عن غيرها و حتى المنظورات السائدة في علم العلاقات الدولية في ادعائها التحرر من القيم لا يمكن تصديقها لأن كل منها ينطلق من فهم مسبق لتقييم الواقع و عدم الاخذ بمفاهيم كالهوية و الدين و اللغة ينقص من فهمنا لأسباب الصراعات المعاصرة .

ثانيا / تنطلق الفرضية الثانية من أن تزايد الاهتمام بالبعد الثقافي كان على حساب الأبعاد الأمنية والاقتصادية و هو ما أعطي أسبقية لهذا البعد في تفسير مستجدات الظواهر الدولية منها الصراعات المعاصرة و هنا لا يمكن الادعاء بأن المراحل السابقة من تطور العلاقات الدولية كظاهرة و مجال للدراسة لم تحفل بدراسة الثقافة فحقيقة أن أمورا خاصة بحالة العلم من ناحية هيمنة مقولات الوضعية على التنظير له و من ناحية أخرى حالة الواقع الدولي في الفترات السابقة على انتهاء الحرب الباردة و التي منحت الأولوية للمتغيرات السياسية الأمنية و الاقتصادية على التوالي و أدت الى تقلص حدود الاهتمام بالثقافة خاصة و أن معظم المهتمين بدراستها عانوا من محاولة اخضاعها لأبجديات القياس المادي و استحالة التوافق بين دراستها و بين أساليب و مناهج العلم، لكن هذا لا يعني أن عودة الاهتمام بالبعد الثقافي قد قلل من الاهتمام ببقية الأبعاد الأمنية و الاقتصادية السائدة، رغم أن قدراته برزت في مجالات استعصيت على الأبعاد السابق ذكرها ، إذ يرى البعض أن الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات يمثل تجسيدا واضحا لبروز الاهتمام و تجدده و انبعاثه و احيائه بالبعد الثقافي الحضاري باعتباره مجالا تتجسد على صعيده صراعات جديدة للقوى. و نظرا لأن دور العوامل الاجتماعية و الثقافية قد برز أو تجدد بروزه في العلاقات الدولية بالمقارنة بالبروز السابق للعوامل السياسية- الاستراتيجية و هي العوامل التي حازت على الأولوية حتى نازعتها الصدارة منذ بداية السبعينيات العوامل السياسية – الاقتصادية -بمعنى أنه حازت المداخل و القضايا الواقعية التقليدية الأولوية لدى دارسي وممارسي العلاقات الدولية في مرحلة الحرب الباردة و بعدها برزت أولوية المداخل و القضايا المتصلة بعلاقات الاعتماد المتبادل و التبعية الاقتصادية في مرحلة الانفراج و تبرز الآن – في مرحلة العولمة- أولوية نظائرها الاجتماعية و الثقافية - و عموما هدفنا في هذا الدراسة ليس الوصول الى اعتبار ان ثقافة عامل محدد في الصراع بقدر الوصل الى عدم تجاهل ذلك العامل أو مكوناته في تحليل و تفسير الصراعات المعاصرة، و ما التطرق للمنظور البنائي في الصراعات المعاصرة الا لتوضيح الرؤية التي دافع عنها وندت بالقول ان الثقافة و دواعي الاهتمام بها في حقل العلاقات الدولية لن يكون بعيدا عن المفاهيم الأخرى خاصة القوة و الاقتصاد فهو في محاولته لتبيان دور البعد الثقافي في العلاقات الدولية لم يسعى الى وضع مفهوم الثقافة كبديل عن مفهوم القوة مثلا و إنما حاول ايضاح ان الثقافة و القوة كل منهما امتداد للآخر و أن تحليل أي الصراع سيكون ناقصا دون الأخذ بالاثنين ، و كنتيجة يمكن القول أن البعد الأمني و الاقتصادي .... سيبقى له نفس الأهمية التفسيرية لكن بالموازاة مع البعد الثقافي و هو ما يفند الفرضية الثانية.

ثالثا / تؤكد الأدبيات الأكاديمية للصراعات المعاصرة صحة الفرضية الثالثة في كون الصراعات الثقافية/ الحضارية ذات الخصوصية الدينية تلعب الدور البارز و الحلقة الأثقل في الصراعات المعاصرة اليوم. حيث كان من المنطقي بعد نهاية مرحلة الحرب الباردة أن يتم التساءل عما إذا كانت المسائل الاثنية و الثقافية مهمة في الصراع في ظل تحول معظمها الى صراعات داخلية تتم في شكل مواجهة عنيفة التي تحدث بين جماعتين أو أكثر، وتكون الاختلافات والفوارق بينهما في الثقافة، أو في الدين، أو على مستوى الصفات والمميزات الجسمانية، أو اللغوية .

– هذا التأخير في استخدامها هو ما يبرر طرح تلك التساؤلات إذ أن تناولها الجزئي من طرف التفسيرات الاجتماعية والنفسية والبيولوجية البعيدة عن حقل السياسية عمل على تصميم تلك الخصائص الاثنية و الثقافية الضيقة و ذلك النوع من التفسير لم يتجاهل فقط تلك الحالات الصراعية حيث أنها لا تملك مثل هذه الخصائص ولكن أيضا ، فشل على نحو كاف لوصفها أو

شرحها حيث ألغي العديد من التفسيرات التي تقوم عليها الاثنية أو الثقافة و منها على سبيل الذكر لا الحصر دور الدين في مختلف أشكال الصراع للحالات السابق تناولها .

و في هذا المجال يمكن القول أنه في أعقاب نهاية القرن العشرين والدخول في الألفية الجديدة ، كانت هناك آمال كبيرة في أن الأمور سوف تتغير للأفضل من حيث السلام والأمن البشري والتنمية للمجتمعات المتنوعة نتيجة لموجات جديدة للحكم الديمقراطي في جميع أنحاء المعمورة .خلافا لهذا الأمر ، أنتجت مثل تلك الآمال أقل النتائج توقعاً: فبدلاً من أن تهدأ العواطف القومية و الاثنية، فإنها تعرف، في أيامنا، تجدداً مؤكداً.لا يكاد يمر يوم في عناوين الصحف أو التلفزيون من دون الإبلاغ عن الصراعات الاثنية العنيفة في دولة واحدة أو بين منافسين يحددون أنفسهم ويتم تحديدهم من قبل الآخرين كالطوائف العرقية أو الجماعات الدينية. لقد أصبحت الصراعات المعاصرة منها الاثنية و الثقافية و الدينية في السنوات الأخيرة هي الشكل الشائع للعنف الجماعي والسبب الرئيسي لتعاظم مشكلة اللاستقرار و يؤكد هذه الحقيقة الأساسية من أن الانقسامات الثقافية و الخلافات الاجتماعية و السياسية هي الاسباب الرئيسية لعدم الاستقرار والانهيار في المجتمعات التحولية حيث الصراع ينطوي على المطالبة مجموعات الاثنيو-قومية أو الاثنو-دينية ، الاعتراف و محاولة لإعادة تعريف هياكل الدولة والوصول إلى السلطة .

رابعا / عن تصاعد حدة الصراعات الثقافية و الدينية ، يبدو أنه لا يوجد اليوم جواب مقنع وشاف عن تصارع المجموعة الدينية ، ونظرا لوجود عدة أنواع من الصراعات الدينية، وتعدد حالات الصراعات الدينية ، فإن هذه المسألة تتطلب إعطاء عدة أجوبة على المدى الطويل مرتبطة فيما بينها.كذلك الصراعات التي لها خصوصيات، فإننا نحتاج إلى أخذ في اعتبارنا الطبيعة الأساسية والعوامل الظرفية التي يمكن أن يتولد عنها التضامن أو المنافسة الدينية، وكذلك الأسباب الراهنة التي صاغتها تلك الجماعات. و في محاولة فهم تنامي دراسة الصراعات التي تمثل الخصوصية الدينية يشير هذا الموضوع الى قدرة تحول الخلافات الدينية الى أزمات تحرر من خلالها كم معتبر من الصراعات و اللاستقرار في تلك الدول التي تعاني من اختلافات أو تعددية دينية.و بينت هذه الدراسة كيف ان المكون الديني يستطيع أن يحلل و يفسر على أكثر من محمل ، و كيف أن كل واحد من تلك الصراعات الدينية في العالم متميز عن الآخر فالصراع الديني في السودان لا يشبه الصراع الديني في الهند أو الصين أو سيريلانكا أو في أي دولة تعاني من صراعات دينية .و بعد التطرق الى الحالات الثلاثة نستطيع أن نستنتج عدة نقاط منها :

1 هناك عدد كبير من الخبراء الذين يعتقدون حاليا أن أغلبية الصراعات الثقافية و خاصة الدينية منها يتعذر إيجاد حلول لها، وأنه يجب على المجموعة الدولية والحكومات الوطنية في هذه الدول أن تستثمر مواردها وأن تراقب وتضبط هذه الصراعات بدل الإجهاد في البحث عن الحلول مثل الصرعات الاثنية بقبرص، وإيرلندا الشمالية، والبوسنة، وسيريلانكا وشمال غرب الهند، بعد حلها عن طريق الاتفاقيات انفجرت من جديد واستمرت.

2 إن المصالح التي توجد وراء الصراع الثقافي هي بالنسبة للمتصارعين، أو حسب اعتقادهم ذات أهمية قصوى : البقاء والحفاظ على وجود الجماعة الاثنية أو الدينية، والسيطرة وإخضاع جماعة اثنية لجماعة أخرى. هذه هي القضايا التي يتولد عنها التضامن الاثني القوي ، ومن أجل هذه القضية يكون أفراد الجماعة الاثنية على استعداد للموت من أجل قضيتها.

3 إن الصراعات الدينية ليست صراعات بسيطة من أجل أهداف واضحة وظاهرة، بل ينتج عنها كذلك كراهية للأجانب وشعور بالتعصب ورموز تتجلى في ردود الفعل مثل البحث عن كبش الفداء، ونماذج تترع إلى جعل هذه الصراعات مستعصية على الحل بطريقة عقلانية.

4 إن الحقوق والصراعات الدينية ليست معترفا بها قانونيا، وليس هناك قانون ينظمها على المستوى الدولي، ويتم التعامل معها إلى حد ما كقضايا داخلية على الدولة المعنية أن تحلها. وما يؤسف له هو أنه في غالب الأحيان نجد الدولة المعنية تتدخل مباشرة في هذه الصراعات أو ترى من مصلحتها أن تهزم هذه الجماعة وتنتصر على الأخرى. ولذلك تكون الدولة دائما وباستمرار مهتمة ومعنية كطرف إلى جانب هذه الجماعة وضد الجماعة الأخرى، وتكون عاجزة عن البحث عن الحلول لوضع حد للصراع الديني أو الاثني بصفة عامة وإرضاء جميع الأطراف.

خامسا / ليست كل الصراعات الثقافية و منها الدينية متشابهة، بل كل صراع يأخذ شكلا مختلفا. وهناك ميزة أساسية لكي نفرق بين الصراعات التي تبرز في حالات ليس لها نظام هرمي ومقابلتها مع الحالات التي لها نظام هرمي، في الحالة الأولى تكون للجماعات الاثنية أو الدينية سلطة نسبيا متكافئة، و يمثلها النموذج النيجيري أو هكذا تتصور كل واحدة منهما العلاقة التي تحكمها وتحكم فيما بينهما. وفي الحالة الثانية، تكون الجماعات الاثنو-دينية التي تقطن وطنا واحدا منتظمة وفق تراتبية السلطة ، من المنطقي أن تكون الصراعات الاثنودينية شائعة و مراقبتها وضبطها صعبة جدا من الحالات التي لا تخضع لنظام هرمي و منها النموذج اللبناني، حيث إن الجماعات تتصارع وتتنافس من أجل المكانة والسلطة، وحيث لا توجد طائفة لها ما يكفي من القوة لقمع الطوائف الأخرى و كثير ما تنتج مثل تلك الصراعات إذا ما توفرت الشروط الثلاثة التالية الشعور بالظلم والتمييز و الشكوك والمخاوف و الأمن :

• الشعور بالظلم والتمييز : من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الصراع الطويل في الحالات الصراعية الثلاثة أبرز قدرا من الفوارق الاجتماعية والثقافية بين الطائفتين المتصارعتين وقد جادلت تلك الطوائف باستمرار أن السلام يجب أن يكون مصحوبا بالعدالة استنادا الى الحجة التي تتفق على أن العنف الناجم كان جزئيا و على الأقل نابعا من غياب العدالة المساواة بين الطائفتين في الحكومة المحلية وعدم قدرة أو عدم الرغبة في التعامل مع هذا التصور و استمرار أعمال العنف لفترة طويلة كان بسبب غياب الثقة من جهة و ميل الدولة لاحدى الطائفتين او المجموعتين من جهة أخرى و الذي قد يودي بها الى فقدان شرعيتها أمام شعبها. هذا الافتقار للتفاعل البيني يعني أن هناك نقصا في التفاهم والثقة والشعور المشترك بين المجموعتين ، وغالبا ما يؤدي إلى العداوة و الصراع .

•الشكوك والمخاوف : يمكن القول أن استمرار المخاوف والشكوك في كلا الجانبين او الطائفتين لا تزال عميقة الجذور. تلك الأطراف قد أشارت بالقول إن السياسة وحدها لن توفر الحل النهائي لعدم الثقة المتبادل مثلا بين المجتمعات البروتيستانتية و الكاثوليكية ، أو المجتمعات المسيحية و الاسلامية في نيجيريا أو حتى المجتمعات التعددية في لبنان .

• الأمن : غياب الأمن يأتي تلقائيا من المبدأين الأول و الثاني فالشعور بالتمييز بين طائفتين أو أكثر يثير المخاوف و الشكوك حول استمرار ضمان العدالة و الأمن لتلك المجموعات المتمايزة خاصة إذا ما كانت أحد أو كلا الطوائف المتصارعة تملك ترسانة أسلحة، إذ ترى أو يعتقد كلا من الطائفتين ان عددا كبيرا من تلك الأسلحة مملوكة بشكل غير قانوني ، يمكن أن تشكل تهديدا فعليا لبقاء الآخر و هو ما يخلق معضلة أمنية في ظل صعوبة إقناع الطرفين على نزع السلاح في جو يسوده الشك و انعدام الثقة بين الطرفين فعمل نزع السلاح مثلا في ايرلندا الشمالية يخضع للعناد على سبيل المبدأ ، وحتى التخلي عن الأسلحة هو مشكلة بالنسبة لكلا الجانبين.و الحجة الأكثر استخداما هنا هو أن الجانبين الجمهوري والقوات شبه العسكرية الوحدوية سيفقدان الاحترام اذا لجأ الى أسلحتهم بطريقة غير متوازنة.

إن تجمع المبادئ الثلاثة السابق ذكرها غالبا ما يتولد عنها ما هو أكثر من صدام بسيط بين جماعات اثنية أو دينية مختلفة ، وفي بعض الأحيان تتواجه طوائف تنتمي إلى نفس الجماعة، ينتج عنه القتل والاضطراب بين طوائف دينية تنتمي إلى نفس الجماعة يتولد عنه العنف مثلا بين المسلمين السنة و الشيعة في لبنان ونفس الحالات وقعت في إيرلاندا الشمالية، و في جهات أخرى التي انفجر فيها الصراع بين الخصوم الدينين وأتباعهم من أجل الحصول على النفوذ والسلطة. كثيرا ما يقوم الخلاف الديني الأساسي بين هذه الطوائف التي تنتمي إلى نفس الجماعة الاثنية على أن بعضها يساند الحلول السلمية التي تراهن على الاتفاقيات ،والأخرى التي تقوم على العنف والسيطرة .

سادسا / يمكن القول أن التطرق الى الصراعات الدينية اليوم لم يكن بهذا الاندفاع و الحماس من قبل فقد تم تجاهل الصراعات الدينية التي كانت تعاني منها بعض الدول في الكثير من المناسبات ليتم التركيز على ابعاد أخرى كانت جديرة بالدراسة و التقصي أكثر من غيرها في تلك الفترة و النماذج المتطرق لها في هذه الدراسة لخير مثال ، إذ انها تعبر حقيقة عن الصراعات الدينية غير أنها ليست الصراعات الوحيدة التي تعاني منها تلك الدول فنيجيريا مثلا تحوى على أكثر من صراع فإضافة الى كونه دينيا يمكن أن يفسر على أنه أيضا صراع اثني و لغوي و قبلي بين مختلف القبائل النيجيرية كما أنه قد يدور حول السلطة النفوذ و المكانة في المقابل مثلا يأخذ الصراع في دلتا نيجر طابعا اقتصاديا بحتا و الفكرة هنا توضح ان تعدد الصراعات داخل النموذج الواحد قد تؤدي الى طغيان صراع على غيره من الصراعات مهما كانت أهميتها كما أن بروز عامل أو مكون دون آخر يأخذ في الحسبان العوامل الظرفية ، الأوضاع و المتغيرات الدولية و الاهتمامات السائدة في ذلك الوقت.لذلك فعودة مثل تلك الصراعات يمثل عودة لدور الدين باعتباره مكونا أساسيا من بين مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية . ومع ذلك علينا أن نحذر من الميل شبه عالمي إلى الإفراط في الدور الذي يؤديه الدين في الشؤون الدولية. الدين لا يعتبر عادة العامل الوحيد أو حتى السبب الرئيسي للصراع ، ومع الكثير من التركيز على الدين كمصدر للصراع ، دور الدين كقوة في صنع السلام عادة ما تغفل.

سابعا / أظهر الوضع في النماذج الصراعية الثلاثة السابق دراستها ، على انها صراعات دينية بين طائفتين دينيتين او أكثر ، من خلال إدراك أنه إذا كان الموضوع مـــجرد قضية سياسية او قضية أرض متنازَع على مـــلكيتها، لكان بالإمكان حلـــها منذ

سنوات طويلة، ولكن الواقع هو أن أطراف الصراع يــؤمنون بأنها قضية معتقد و دين ، ولذلك، أصبح للحالات الثلاثة خاصة قضية ايرلندا أبعاد مختلفة تماما، فعند الإمعان بالنظر مثلا في قضايا السياسية و الصراع في إفريقيا او الشرق الأوسط، نجد بــزوغ العنصر الديني في صِــراعات اندلعت في مجتمعات تضُــم اختلافات بين جماعات دينية مثلما حدث في نيجيريا و السودان ، كانت أكثر من غيرها في بلدان متجانسة دينيا ، وهكذا اتَّــضح لنا أكثر فأكثر أن كثيرا من الصراعات التي أعقبت الحرب الباردة، كانت لها علاقة بالدين، ولذلك أصبح يتعيــن على المهتمــين بشؤون السياسة الخارجية و الدولية عموما أن يتفهــموا دور الدين كقُــوة في قضايا السياسة الدولية وكيفية استخدام البُــعد الديني في العُــثور على العناصر التي تجمــع بين أطراف الصراع. و يمكن القول أيضا أن الصراع في ايرلندا الشمالية كان واحدا من أطول الصراعات في تاريخ أوروبا التي كان يعتقد استحالة حلها ، و أن ما حقق في ايرلندا الشمالية وينبغي أن يقف كمصدر الهام -- و ربما التوجيه —للصراعات الأخرى لأن تذهب حول حل الصراعات و هو نموذج يبين أن هناك الأمل حتى لأكثر الخلافات مرارة التي تبدو المستعصية عبر المعمورة فهي بكل بساطة يقدم كدليل لأي صراع ديني يريد ان يحل.

ثامنا / و أخيرا هناك الحاجة إلى أن تقاس الحقائق الصراعية الملاحظة حاليا في المجتمعات المتعددة مثل ايرلندا الشمالية و لبنان و غيرهما. لذلك فإن التحدي أمام صانعي السياسات والأكاديميين هو كيفية تحويل تلك الصراعات الثقافية/الحضارية و الهوياتية على امتداد أكثر من مسارات حميدة ، أي من العنف والإقصاء الى الإقامة و التعاون السلمي بين الطائفتين. في ظل صعوبة التوصل الى حل نهائي لمثل هذه القضايا المصيرية المرتبطة بالمسائل العقائدية و الهوياتية هذا البحث هدف إلى إسقاط الضوء مستقبلا على مثل تلك العمليات ، ودراسة ما يمكن عمله داخل الدول ، وكيف يمكن أن تساعد هذه الدراسة بالإشارة إلى دور المكونات الثقافية ليس فقط باعتبارها مدخل تفسيري لما هو قائم من الصراعات و إنما في بناء إطار نظري يكون المدخل في البحث عن الأمن و السلام المستدام ، فالمصالحة بين الطوائف ، و بين الدينات في مجتمع تعددي يمكن أن تكون مستدامة من خلال تعزيز معايير ثقافية جديدة من السلام والعدالة والتنمية المستدامة الممارسة ، وتقدمية واجتماعية شاملة ، السياسات الاقتصادية والسياسية. وعلاوة على ذلك نعتقد أن مناقشة عملية بناء السلام بعد انتهاء الصراع في ايرلندا الشمالية يمكن أن تكون بمثابة نموذج مهم للنجاح ، و ركود أو فشل بالنسبة للمجتمعات الأخرى في عملية بناء الدولة ، أو الشفاء من الصدمة النفسية الجماعية بين الطوائف العنف و هو ما ينطبق بالضرورة على الحالتين المتبقيتين .

فهرس الأشكـــــال

فهرس الأشـــــــــكال

1- المثلث : تناقض- اتجاه سلوكي – سلوك------------------------ ص15

2- مراحل الصراع[مخطط من تصميم الباحثة]------------------------ ص19

3- دائرة الصراعات-- ص21

4- الثالوث المفاهيمي للواقعية [مخطط من تصميم الباحثة] ------------------ص36

5- تأثير العوامل المثالية على الهويات و المصالح المنتجة للفعل [مخطط من تصميم الباحث]ص57

6- ثقافات الفوضى و درجات الاستعباب [Wendt]-------------------- ص59

7- مخطط تأثير الثقافة في العلاقات الدولية-------------------------ص89

8- خريطة الحضارات حسب التقسيم الهنتغتوني -----------------------ص92

9- خريطة السياسة الكونية للحضارات الانحيازات البازغة---------------- ص94

10- خريطة شدة الصراعات الحضارية عبر خطوط الصدع------------------ص95

11- خريطةأديان العالم ------------------------------------ص98

12- مخطط التوزيع المئوي للأديان ------------------------------ص99

13- خريطة توزيع الأديان في العالم------------------------------ص108

14- خريطة الصراعات المسلحة في العالم--------------------------ص108

15- خريطة الكتل الاثنية الإقليمية في نيجيريا------------------ ص123

16- خريطة توزيع المسلمين عبر الولايات النيجيرية-------------------- ص125

17- الشكل 1و 2-- ص 148

18- الشكل 3--- ص149

19- الشكل 4و 5 --ص 150

20- الشكل 6و 7 --ص 151

21- الشكل 8 --ص 152

22- خريطة ايرلندا السياسية-----------------------------------ص165

23- الانقسام الطائفي في ايرلندا الشمالية ------------------------- ص166

24- خريطة لنسبة الكاثوليك --------------------------------- ص 167

فهـــرس المـــــراجع

المراجع باللغة العربية

I -الموسوعات :

1 . الكيلاني (عبد الوهاب) ،**موسوعة السياسة**، الجزء الثاني ، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981).
2. الكيلاني (عبد الوهاب)،**الموسوعة السياسية ، الجزء الأول[أ- ث]** ،(المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت لبنان، الطبعة الاولى 1979).

II- الكتب :

1. ابراهيم بغدادي (عبد السلام): **الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا** , (مركز الدراسات الوحدة العربية , بيروت لبنان , الطبعة الاولى 1993).
2. ابي عاد (ناجي) ــ جرينون(ميشيل) ترجمة نجار (محمد) :**التزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط–الناس ،النفط ، التهديدات الامنية** (الأهلية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1999).
3. التازي (نادية) و آخرون ، ترجمة قنيني (عبد القادر)،**مفاهيم عالمية الهوية – من أجل حوار بين الثقافات** ، (المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب الطبعة الاولى 2005).
4. الحديثي (عباس)، **نظريات السيطرة الاستراتيجية و صراع الحضارات** ،(دار أسامة للنشر و التوزيع عمان الأردن، الطبعة الأولى،2004).
5. السعدي (محمد) ، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام**، (مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2006).
6. الصاوي(على) ، **النخبة السياسية في الوطن العربي** ، (مركز البحوث و الدراسات الاستراتيجية، جامعة القاهرة ،1996) .
7. بن عنتر (عبد النور): "**البعد المتوسطي للامن الجزائري الجزائر اوروبا والحلف الاطلسي**"،(المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع 2005).
8. بطرس غالي (بطرس) ، **العلاقات الدولية في إطار منظمة الوحدة الافريقية** ،(مكتبة الأنجلو المصرية،مصر 1987).
9. بوعشة (محمد) ، **العرب و المستقبل في الصراع الدولي**،(الدار العربية للنشر و التوزيع، الجزائر الطبعة الأولى 2000).
10. براون(كريس) ، **فهم العلاقات الدولية**،(دبي ،مركز الخليج للأبحاث الطبعة الأولى، 2004).
11. رزيق المخادمي (عبد القادر)، **التزاعات في افريقيا إنكسار دائم أو انحسار مؤقت!!!!** ، (دار الفجر للنشر و التوزيع،القاهرة ،الطبعة الأولى 2005).
12. بن نعمان (أحمد) ، **التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا و كيف؟** (شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية 1997).
13. بن نعمان(أحمد) ، **هذي هي الثقافة** ،(شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر ، الطبعة الاولى1996) .

14. بن نعمان (أحمد) ، **الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات**، (شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر بدون سنة نشر).

15. بن نبي (مالك) ،**مشكلات الحضارة :مشكلة الثقافة** ،(دار الفكر،دمشق ، الطبعة الرابعة ، 2000).

16. بيليس (جون) و سميث (ستيف) ،**عولمة السياسة العالمية**، ترجمة و نشر مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى،2004) .

17. جندلي (عبد الناصر)، **التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية** ،(دار الخلدونية للنشر و التوزيع،الجزائر، الطبعة الأولى 2007) .

18. حماد (كمال)، **النزاعات الدولية :دراسة قانونية دولية في علم النزاعات**،(الدار الوطنية للدراسات و النشر و التوزيع، الجرائر ،الطبعة الأولى،1998) .

19. خطاب (سمير)، **التنشئة السياسية و القيم** ، (اتراك للنشر و التوزيع ، القاهرة- مصر، الطبعة الاولى، 2004).

20. رياض(محمد) عبد الرسول (كوثر)، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة** ،(دار النهضة العربية بيروت ،لبنان،الطبعة الثانية) .

21. زعيمي (مراد) ، **دراسات نقدية :علم الاجتماع –رؤية نقدية** ،(مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية،قسنطينة ، الجزائر ،بدون طبعة،2003).

22. زوزغبيب(شارل), **الحرب الاهلية** ,ترجمة برو (أحمد),(دار منشورات عويدات بيروت-باريس , الطبعة الاولى 1981).

23. سعد أبو عامود (محمد) ،**العلاقات الدولية المعاصرة** ،(دار الفكر الجامعي الاسكندرية، 2008) .

24. صادق صبور(محمد) : **الصراع في الشرق الأوسط و العالم العربي** ، (لبنان ،دار أمين للنشر و التوزيع الطبعة الأولى 2006).

25. عبد الحميد أحمد رشوان(حسين)،" **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي** "،(مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية ، مصر،بدون طبعة 2006) .

26. على خريسان (باسم)، **العولمة و التحدي الثقافي** ،(دار الفكر العربي مؤسسة ثقافية للنشر و الطباعة،بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001) .

27. عبد الوهاب الكيلاني ،**موسوعة السياسة**، الجزء الثاني ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981) .

28. عبد الله العايد (حسن) ، **المتغيرات الدولية و سيناريوهات الثقافة العربية** ،(دار النهضة العربية بيروت لبنان،2004) .

29. عبيد الله مصباح (زايد) ،**السياسة الدولية بين النظرية و الممارسة**،(دار الرواد،ليبيا،الطبعة الأولى2002) .

30. عامل (مهدي)،**القضية الفلسطينية في ايديولوجية البرجوازية اللبنانية :مدخل الى نقض الفكر الطائفي** (مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت الطبعة الأولى 1980).

31. عبد الحميد أحمد رشوان ،" **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي** "،(مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية ، مصر،بدون طبعة 2006).

32. عماد (عبد الغني)، **سوسيولوجية الثقافة المفاهيم و الإشكاليات :من الحداثة إلى العولمة**،(مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت لبنان ،الطبعة الأولى، 2006) .

33. غريفيثس (مارتن)و أوكالاهان (تيري) ، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية** ،(مركز الخليج للأبحاث دبي الامارات العربية المتحدة الطبعة الأولى 2008) .

34. قادري (حسين) ،**دراسة و تحليل النزاعات الدولية**،(منشورات خير جليس، 2007 باتنة الجزائر).

35. قادري (حسين)،**لبنان الحرب الاهلية و التدخلات الخارجية**،(درا قانة للنشر و التوزيع ، باتنة الجزائر، الطبعة الأولى، 2008).

36. ميلاد (زكي)،**المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية في الثقافة**، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى 2005) .

37. محمود غانم (أماني)، **البعد الثقافي في العلاقات الدولية-دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات**،(برنامج الدراسات الحضارية و حوار الثقافات-كلية الاقتصاد و العلوم السياسية-جامعة القاهرة،مصر 2007) .

38. منذر (محمد)، **مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة**،(بيروت ،المؤسسة الجامعية مجد للدراسات والنشر و التوزيع ،الطبعة الأولى ، السنة 2002).

39. مصباح (عامر)، **الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006).

40. محمد جابر (سامية) ، **قضايا العالم العربي** ، (دار النهضة العربية، بيروت لبنان ،الطبعة الاولى ، 2003).

41. محمد خليفة (عبد اللطيف)، **إرتقاء القيم :دراسة نفسية**، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب بدون طبعة 1992) .

42. مجموعة باحثين ،**اللغة العربية و الوعي القومي** ،(مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1984).

43. محمودي (عبد القادر) ،**النزاعات العربية – العربية و تطور النظام الاقليمي العربي (مع التركيز على النزاعات حول القضية الفلسطينية)1945-1985**، (نشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر و الاشهار الجزائر، الطبعة الأولى 2002).

44. محمد اسماعيل (فضل الله) -د (خليفة عبد الرحمن)،**في الأيديولوجيا و الحضارة و العولمة**، (مكتبة المعرفة لطبع و نشر و توزيع الكتب، مصر الطبعة الأولى، 2001) .

45. وندت (الكسندر)، **النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية**، (ترجمة.جبر صالح العتيبي)، (الرياض: النشر العلمي والمطابع للنشر والتوزيع، طبعة الأولى ،2006) .

46. وهبان (أحمد)، **الصراعات العرقية و إستقرار العالم المعاصر:دراسة في الأقليات و الجماعات و الحركات العرقية** ،(أليكس لتكنولوجيا المعلومات الاسكندرية،2007).

47. ياكوب (جوزيف)، ترجمة عمر (حسين)، **ما بعد الأقليات** ،(المركز الثقافي العربي ،المغرب، الطبعة الأولى 2004) .

48. يوسف حتي (ناصيف)،**النظرية في العلاقات الدولية** ،(بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، السنة 1985).

III-**رسائل الماجستير** :

1. عمار حجار، **السياسة الأمنية الأوروبية تجاه جنوبها المتوسط**، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، جامعة باتنة، دورة جوان 2002).

2. حمايدي (عز الدين)، **دور التدخل الخارجي في النزاعات العرقية**، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، جامعة قسنطينة ،دورة2005).

IV- **المجلات و الدوريات** :

1. أبو زيد (سركيس)، **القومية و الطائفية**،(مجلة تحولات العدد 34 الثلاثاء 38 جوان 2008).

2. الزيدي(المنجي) ،**الثقافة و المال: دراسة في مستقبل التنمية الثقافية في الوطن العربي** ،(المستقبل العربي،جويلية2003 العدد 293 السنة 26).

3. الكروي (محمود صالح)،" **مكانة الدين في النظام الملكي بالمغرب**" ،(المجلة العربية للعلوم السياسية العدد 19 صيف 2008).

4. الحص (سليم) ، (رئيس وزراء لبنان الأسبق) ، "**ماذا يريد المسلمون من لبنان؟؟؟** " ،(مجلة المستقبل العربي،سبتمبر2007 العدد 343 السنة 30).

5. بلقزيز (عبد الإله) ، **جدليات الدين والسياسة في العالم المعاصر**،(جريدة الأخبار عدد الاثنين 31 آب 2009)

6. على سالم (أحمد)،القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة : هل باتت المدرية الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي? لبنان: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، أكتوبر 2008.

7. سليم (جيهان) ،**عولمة الثقافة و استراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة،من ملف" العولمة و آفاق المستقبل في الوطن العربي"** ،(المستقبل العربي، العدد 293، جويلية2003 السنة 26) .

8. حسن الربيعي (علي) ، "**تحديات بناء الدولة العراقية : صراع الهويات و مأزق المحاصصة الطائفية**" (مجلة المستقبل العربي ، مارس ، العدد337).

9. محمود بدوى (منير) ، **"مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع "**،(دراسات مستقبلية ، مركز دراسات المستقبل ـــ جامعة أسيوط العدد الثالث ، يوليو 1997م).

10. لكريني (إدريس) ، **"الإسلام و الغرب:بين نظرية الصدام وواقع الملتبس"**،(مجلة المستقبل العربي،جويلية2003 العدد 293 السنة26) .

IIV– مواقع الانترنيت:

1. بن عبد الباقي محمد (الخضر) ، **نيجيريا صراع يتجدد** (الجزيرة ملفات خاصة 2004–العوامل الاخلية للصراع في نيجيريا) .
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DE160462-4C72-4E2C-9476-BFEF2E371D65.htm

2. الأديان المختلفة : worldcultures.wikispaces.com/

3. خريطة أديان العالم : ocw.nd.edu/.../Lecture%206.html

4. منتدى طريق الايمان للدعوة الى الله ، إعداد–الدعاة–لمواجهة–التنصير – **المسلمون في مواجهة التبشير في نيجيريا**
http://www.imanway.com/vb/forumdisplay.php?59

5. **سكان أيرلندا الشمالية NISRAالوكالة الايرلندية الشمالية للبحث والإحصاء** www.nisra.gov.uk

6. زقاغ(عادل):**تدخل الطرف الثالث في النزاعات الإثنية** ،
www.geocities.com/adelzeggagh/IRapproches-Intevention

7. وولت (ستيفن)،(**العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة**) ترجمة عادل(زقاغ) و زياني(زيدان) ، نقلا عن ،. www.geocities.com_adelzeggagh_IR.html

8. وكالة الأنباء الكويتية: الشؤون السياسية – **بان كي مون يناشد القادة في نيجيريا حل النزاع الطائفي**
20/01/2010 11:27:00
http://www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSite/ArticleDetails.aspx?id=2055929&Language=ar

المراجع باللغة الأجنبية

I - books / livres :

1- Clayton, P. **Religion, ethnicity and colonialism as explanations of the Northern Ireland conflict**. In Miller, D. (Eds) Rethinking Northern Ireland: culture, ideology and colonialism, (London by Longman: 1998).

2- Dougherty (James E.) & Pfaltzgraff (Robert L.), **Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey** (New York: Longman, Fifth Edition, 2001).

3- H (Robert), Georg Sorensen (Jackson) :**Introduction to International Relations;; Theories and approaches(** OXFORD University Press 3 erd Edition 2007).
4- Herzog (Roman) [et al.], ***Preventing the Clash of Civilizations: A Peace Strategy for the Twenty-First Century***, Edited by Henrik Schmiegelow (New York: St. Martin’s Press,1999).
5- JOSEPH S. NEY JR, **Understanding International conflicts An Introduction To Theory And History**,(Pearson International Edition 2007).
6- LIAUZU(Claude) **,EMPIRE DU MAL contre GRANDE SATAN**,(Edition Armand Colin 2005).

7- McC Adams (Robert)and others :**Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies: Proceedings of a Russian-AmericanWorkshop** ,(National Academy of science 2004).
8- Rashid (Salim,) ed., ***The Clash of Civilizations?: Asian Responses*** (Karachi; New York: Oxford University Press, [1997]).
9- *Xintian* (*Yu);* **Cultural Impact On International Relatin**; XX Cultural Heritage and Contemporary Change ;(Series III, Asia, Volume2 Washington . library of Congress Cataloging -in- Publication . 2002).
10- Zehfuss (Maja); **Constructivism in International Relations: The Politics of Reality**. (Cambridge University Press. 2002).

II-Periodicals / working paper:

1- Abu Nimr(Mohammad), **Conflict Resolution** Cairo: (National Center for Middle East Studies, 1994) .
2- A. JOHN(IME); Z . MOHAMMED (AMINU); D . P INTO (ANDREW); A . NKANTA (CELE S T INE):" **Gun Violence in Nigeria: A Focus on Ethno-Religious Conflict in Kano"**; Journal of Public Health Policy (2007) VOL. 28, NO. 4 , 420–431.
3- Bercovitch (Jacob) and Elgström (Ole); **CULTURE AND INTERNATIONAL MEDIATION: EXPLORING THEORETICAL AND EMPIRICAL LINKAGES,** International Negotiation, Volume 6, Number 1, 2001 , pp. 3-23(21) **.**
4- Ercan Yılmaz(Muzaffer) ; **Resolving Internal Conflicts in the Post-Cold War Era: Is Peacekeeping Enough? ;** Journal of Economic and Social Research 8(2), 27-42 .
5- Forker (Martin),"**The Role of Motherhood Symbolization in the Conflict Imagery of Northern Ireland "** Visual Culture & Gender, Vol. 2, 2007 an annual peer-reviewed international multimedia journal **.**

6- Fox (Jonathan) ; **The Rise of Religious Nationalism and Conflict: Ethnic Conflict and Revolutionary Wars, 1945-2001**; Journal of Peace Research, Vol. 41, No. 6, 715-731 (2004)Sage pep.
7- FAKHOURY (TAMIRACE), "LE LIBAN D'APRES GUERRE – UNE RECONCILIATION PRECAIRE QUI OSCILLE ENTRE UNE COEXISTENCE FRAGILE ET LA TUTELLE SYRIENNE"International Conference "FROM DEALING WITH THE PAST TO FUTURE COOPERATION. REGIONAL AND GLOBAL CHALLENGES OF RECONCILIATON" January 31 – February 2, 2005 in Berlin.
8- Galtung (Johan);"**Cultural Violence"**, Journal of Peace Reserch 27(3):291-305 (1990).
9- INFORMATION INTERNATIONAL SAL, and CENTER FOR DEMOCRACY AND THE RULE OF LAW Identifying with Lebanon vs. Identifying with Religious Communities; New CDRL Public Attitude Survey Examines the Lebanese Choices of Identity Executive Summary (For release on October 10, 2005).
10- IBRAHIM (MOHAMMED**), Understanding Peace Building Process in Plural Societies, And Lessons Learnt from Post Conflict Northern Ireland** ,pdf, Centre for Democracy and Development CDD Lagos-Nigeria ,Visiting Commonwealth Professional Fellow Commonwealth Policy Studies Unit (CPSU) **Institute of Commonwealth Studies University of London March 2005.**
11- Ned Below (Richard) ; **Identity and International Relation** ***International Relations*** Vol. 22, No. 4, 473-492 (2008) On behalf of: David Davies Memorial Institute for International Studies Sage Publications http://www.sagepublications.com.
12- M.A. Kwaja(Chris); **Strategies for [Re]Building State Capacity to Manage Ethnic and Religious Conflict in Nigeria;** Centre For Conflict Management and Peace Studies: *The Journal of Pan African Studies*, vol.3, no.3, September 2009 .
13- Nuruzzaman (Mohammed), **Paradigms in Conflict: The Contested Claims of Human Security, Critical Theory and Feminism;** Journal of the Nordic International Studies Association, Vol. 41(3): 285–303. Copyright ©2006 NISA www.ps.au.dk/NISA. Sage Publications www.sagepublications.com.
14- O'Hagan (Jacinta) ;**Civilization Conflict Looking for Culturel Enemies** ;Third World Quarterly ; mar 95 ,Vol16,Issue1**.**
15- Lebaron(Michelle); **Transforming Cultural Conflict In An Age Complexity;** Berghof Handbook for Conflict Transformation 30 Mar 2001

(First launch Jul 2000);" Berghof Research Center for Constructive Conflict Management" .

16- Price(Richard) and REUs- smit(Christian) ‹**dangerous liaisons? Critical international theory and constructivism (European journal of international relation** , volume4Number3september)- 1998pp 264.sage publications, London: thousand oaks .

17- S. Lantis (Jeffrey);" **Strategic Culture: From Clausewitz to Constructivism "** Center for Contemporary Conflict *Strategic Insights*, Volume IV, Issue 10 (October 2005).

18- TUSICISNY(ANDREJ); **"Civilizational Conflicts: More Frequent,Longer, and Bloodier?*"** *Journal of Peace Research, vol. 41, no. 4, 2004, pp. 485–498 Sage Publications (London, Thousand Oaks, CA and New Delhi) www.sagepublications.com.*

19- Wendt(Alexander) : "**Anarchy is what states make of it :the social construction of power politics**",International organization,world peace fondation and massachusttes institute of technology,1992,46,2,spring,page394.

III-Internet links :

1- Abazi(Enika), "Intrastate Conflicts, International Interventions and their Implications on Security Issues, Case of Kosovo" University of Bilkent, Turkey; www.peacestudiesjournal.org.uk/dl/July05Carla.**pdf**
2- Akbaba (Yasemin); **Religious Discrimination: Unique to the Middle East or Muslim Majority States?** http://www.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/1/7/8/8/4/p178842_index.html
3- Academic Leadership Support" **"What is a Conflict"** http://www.ohrd.wisc.edu/onlinetraining/resolution/aboutwhatisit.htm
4- Babalola Raji (Rashid) ;**Globalization and Identity Mobilization in Nigeria: Muslim and Christian Youth Violence in the 1990s.** http://www.monitor.upeace.org/pdf/rashid.pdf
5- **Christian-Muslim Mix Is Boiling Over in Africa ;** Ripples from Sept. 11 Attacks Reaching Farther 2001-10-20; "zenith" pdf ; - http://www.zenit.org/phpdf.php
6- David Kellerhals(Merle) ; **Clinton Calls for Enhanced Political Reforms in Nigeria;12 August 2009** http://www.america.gov/st/peacesecenglish/2009/August/20090812162501dmslahrellek0.386883.html
7- Edward E(Azar). et al., **The Emergence of a New Lebanon: Fantasy or Reality? Toronto, Holt,Rinehart and Winston of**

Canada Ltd., 1984, 302 p.Études Internationales, vol. 18, n° 4, 1987, p. 899-902. http://www.erudit.org/revue/ei/1987/v18/n4/702281ar.pdf

8- *Fox (Jonathan): **Religion and International Relations*** -**The Multiple Impacts of Religion on International Relations:Perceptions and Reality .** http://www.ifri.org/files/politique_etrangere/4_2006_Fox.pdf

9- Gilgrist (James) :" **The Security Dilemma and South Asian nuclear relation India-Pakista "**www.eir.info/?p=276&article2pdf

10- ISOLA(JUSTINE);**One Nation Under Gods**; INTERVIEWS FEBRUARY ARTICLE TOOLS sponsored by: **The Atlantic** 19, 2008. http://www.theatlantic.com/doc/200802u/nigeria-islam-christianity#

11- Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver) : **"Conflict – a literature review "** pdf Duisburg, 23rd February 2006 http://www.europeanization.de/downloads/conflict_review_fin.pdf

12- Jyri (Raitasalo);" **Reconstructing War after the Cold War : The Transformation of Shared Western Understandings of War".**http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/1/2/5/pages71257/p71257-2.php

13- KARACASULU(Nilüfer)- UZGÖREN(Elif**), EXPLAINING SOCIAL CONSTRUCTIVIST CONTRIBUTIONSTO SECURITY STUDIES*** http://www.sam.gov.tr/perceptions/volume%20xii/ExplainingSocial.pdf

14- Kursad (Turan), Menderes (çinar) : The Role of Religion in Intra-state Conflicts: The Misevaluation of Religion-Based Conflicts http://www.allacademic.com/meta/p_mla_apa_research_citation/3/1/2/6/0/p312600_index.html

15- Marc(Ross) : "**Cultural Strategies of Ethnic Conflict Mitigation** http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/2/4/7/pages72473/p724731.php

16- **Lebanon Religious Conflicts** ; Source: The Library of Congress Country Studies http://workmall.com/wfb2001/lebanon/lebanon_history_religious_conflicts.html

17- Mearsheimer(John):**The Tragedy of Great Power Politics**;pdf; Survival, Volume 44, Issue 3 January 2002

18- Morten(Valbjorn); Culture and IR � Culture in IR; Ignoring, introducing, up-dating or forgetting the concept of culture in International Relations pp 6-7. http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/0/7/4/1/0/pages74105/p74105-2.php

19- Mason (Barry) and Talbot (Chris);**Religious conflicts in Nigeria**; 28 February 2000 http://www.wsws.org/articles/2000/feb2000/nige-f28.shtml

20- Nye, Jr (Joseph S) ;" SOFT POWER" *.pdf pp 145* http://www.foreignpolicy.com/Ning/archive/archive/080/SOFT_POWER.PDF

21- Nukhet (Sandal);Patrick (James) : **Religion and IR Theory: Towards a Mutual Understanding.** http://www.allacademic.com//meta/p_mla_apa_research_citation/3/1/2/4/5/pages312458/p312458-1.php

22- Posen R (Barry) : **The Security Dilemma and Ethnic Conflict pdf** survival 35 pp 27-47 spring 1993 pp 28-29.

23- *radio nederland wereldomroep* *http://static.rnw.nl/migratie/www.rnw.nl/hunaamsterdam/amsterdamforum/alh-redirected*

24- Roe (Paul**),” The Societal Security Dilemma**”, www.ciaonet.org/wps/rop01/#12

25- Roger T -(Johnson), David W. (Johnson) : "**About conflict and Conflict Resolution "** the coopirative learling at thz univesity of Minnesota http://www.co-operation.org/pages/conflict.html.

26- “**SOURCES AND TYPES OF CONFLICT”** pdf http://www.docstoc.com/docs/3558748/Conflict-Resolution-Part-Module-RS-SOURCES-AND-TYPES-OF-CONFLICT

27- Smock (David) **: Religion in World Affairs: Its Role in Conflict and Peace** , February 2008 | Special Report No. 201 pdf . http://www.usip.org/resources/religion-world-affairs-its-role-conflict-and-peace

28- Sorensen (Jackson) :**Introduction to International Relations**; CHAPTER 6 **Social Constructivism ;** pdf pp 166. www.oxfordtextbook.co.uk/orc/Jackson_sorensen3e/ .

29- Summary**: A Symposium on Religious Conflict in Nigeria ; May 8, 2007 pdf** pp 1

http://www.cfr.org/content/meetings/nigeria_symposium_summary.pdf

30- THUAL (François) ;**Les Conflits Identitaires** ;(paris : éditions du marketing 1995)

31- **Voll O.(John) ,** Muslim-Christian Relations in Lebanon: From Conflict to Dangerous Alliances **Source:** *The Prince Alwaleed bin Talal Center for Muslim-Christian Understanding* - Feb 20, 2007 http://cmcu.georgetown.edu/68783.html

32- *Wuori (Misti)* : « **International Conflict Mediation Organizations in the Post-Cold War World Order”**, Pdf ;*Conflict Mediation Project PlanningMelton Alumni Educational Conference Berlin, March 2000* . www.connectedforever.org/projects/cr/negotiationdraft1.pdf

خاص

منتديات بحور المعارف

WWW.ELMA3ARIF.BA7R.ORG

مكتبة منتديات بحور المعارف

هذا الكتاب

مقدم من طرف منتديات بحور المعارف

- كتب دينية
- علوم القرآن
- علوم السنة النبوية
- تاريخ إسلامي
- موسوعات
- روايات عالمية
- أدب عربي
- كتب الشعر
- سياسة

- تاريخ
- اقتصاد
- إدارة
- فلسفة
- علم نفس
- شخصيات ومشاهير
- معالم وأماكن
- كتب علمية
- كتب الطب

- كتب المرأة
- كتب الطبخ
- كتب انجليزية
- كتب فرنسية
- كتب تربوية
- كتب ثقافية
- كتب أطفال
- إعلام آلي
- بحوث ورسائل جاهزة

للمزيد من الكتب والموسوعات الحصرية زوروا منتديات بحور المعارف وأحصلوا عليها مجانا